

مكتبة مدبولي
Madbouly Bookshop

الدار العربية للعلوم ـ ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

حرب كسر الإرادة

بين المقاومة
والمشروع الصهيوأمريكي

فلسطين ولبنان 2006

الدار العربية للعلوم ـ ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

مكتبة مدبولي
Madbouly Bookshop

إسلام أون لاين.نت
www.islamonline.net

حرب كسر الإرادة

بين المقاومة والمشروع الصهيوأمريكي

فلسطين ولبنان 2006

...وعلى صعيد القضاء على المقاومة في المنطقة قامت إسرائيل تحت غطاء أمريكي بإحداث تطوير نوعي في هجومها على الشعب الفلسطيني لأجل كسر إرادته، عبر ما عرف بعملية «أمطار الصيف» العسكرية العدوانية، التي بدأها الجيش الإسرائيلي في فجر يوم 28 حزيران (يونيو) 2006، ومن هنا بدأت حرب كسر الإرادة والقضاء على المقاومة.. وتسارعت الأحداث من خلال نقل مسرح العمليات إلى جنوب لبنان لكسر إرادة المقاومة اللبنانية المتمثلة في مقاتلي حزب الله في 12 يوليو 2006، على خلفية أن حزب الله ومقاتليه يمثلون تهديدا كبيراً للحدود الشمالية لإسرائيل، واستمرت المواجهات في جنوب لبنان لفترة تجاوزت الشهر، انتهت بنصر نسبي لكنه مستحق لرجال المقاومة على الآلة العسكرية الصهيونية بكل عدتها وعتادها وجنرالاتها، ليثبتوا أن إرادة الشعوب القوية غير قابلة للكسر على عكس ما تخيّل التحالف الأمريكي الصهيوني.

وفق كل ما سبق جاء هذا الكتاب ليحكي قصة «حرب كسر الإرادة» من خلال ما نشر على فضاء [illegible] ون لاين.نت» من مواد وتحليلات قبل وأثناء و[illegible] بره إلى حد بعيد توثيقا لما جرى خلال هذه ا[illegible] عيد العسكري الميداني أو على صعيد العمل الس[illegible]



ISBN 9953-87-030-6
9789953870304

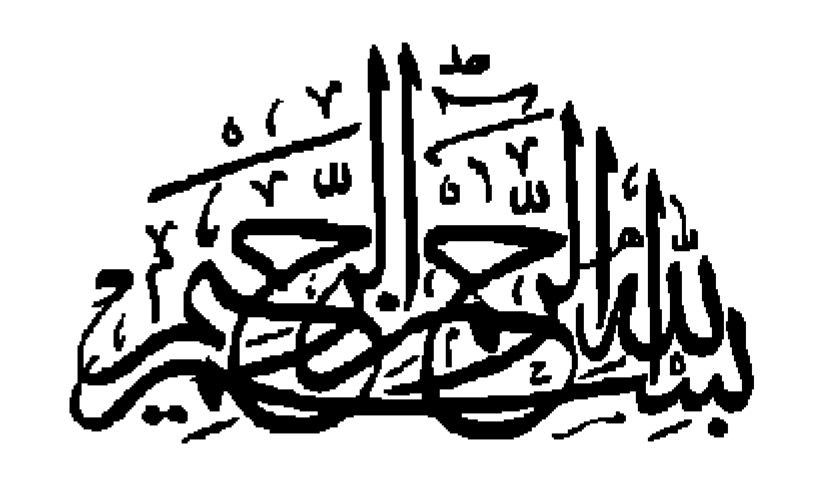
الدار العربية للعلوم ـ ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com
ص. ب. 5574-13 شوران 2050-1102 بيروت – لبنان
هاتف: 785107/8 (1-961+) فاكس: 786230 (1-961+)
البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

مكتبة مدبولي
Madbouly Bookshop
6 ميدان طلعت حرب – القاهرة
هاتف: 5756421 – فاكس: 5752854
البريد الإلكتروني: info@madboulybooks.com


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

حرب كسر الإرادة




بسم الله الرحمن الرحيم

حرب كسر الإرادة

بين المقاومة والمشروع الصهيوأمريكي

فلسطين ولبنان 2006





الطبعة الأولى

1428 هـ - 2007 م

ردمك 9953-87-030-6



الدار العربية للعلوم - ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL
عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (961-1)
ص.ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: 786230 (961-1) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف 785107 (9611)

الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف 786233 (9611)

المحتويات

تقديم..

تعرضـــت الـــدول والشعوب الإسلامية منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 لحمـــلات عديدة لتشويه صورتها، والنيل من دينها، وإلصاق تهمة الإرهاب لكـــل فـــرد فيها، عبر حرب ضروس سماها الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش "الحرب على الإرهاب"، بدأت بتدمير أفغانستان، ثم احتلال العراق وإدخال أهله في دوائر الفتنة والفرقة، وصولاً إلى التدخل في شؤون الدول العربية والإسلامية تحت دعاوى الإصلاح السياسي، ومن نافلة القول أن نتحدث عن المعاناة اليومية للشعب الفلـــسطيني، وأخيـــراً العدوان على لبنان من قبل إسرائيل ومن ورائها أمريكا في صيف 2006.

هـــذه الإجراءات الأمريكية الصهيونية كانت كفيلة بتركيع أي أمة.. لسحقها.. والقضاء على أي إرادة للصمود والمقاومة فيها.. غير أن الذي حدث على الأرض كـــان مخيّباً لآمال الطامعين في السيطرة عليها.. محبطا لهم على مستويات عديدة؛ فاحـــتلال أفغانـــستان والعراق لم يقض على إرادة الشعوب فيهما.. ويدفع مارينز أمريكا في هذه البلدان أثمانا فادحة من دمائهم، وتدفع دولتهم ثمناً هائلاً من سمعتها المتدهورة، واقتصادها الذي بات على المحك.

و"عفـــريت" الإصلاح السياسي وإحلال الديمقراطية الذي حضّره السيد بوش لتخويف الحكومات العربية المهزوزة وتحريكها حيث شاءت إرادته، وربما إزاحتها لـــتحل محلها قوى ليبرالية بدلاً منها، ما كان منه إلا أن انقلب عليه، ويسعى الآن لـــصرفه بعـــد أن وضـــع الحركات الإسلامية التي تناهض مشروع بلاده الساعي للهيمـــنة على المنطقة في مقدمة الصفوف، كما في حالة حماس في فلسطين، وبدرجة أقل الإخوان المسلمون في مصر والعدالة والتنمية في المغرب.

كـــل هذا الفشل جعل صانع القرار الأمريكي يغيّر حساباته، ويعيد التفكير في إســـتراتيجياته، فهداه تفكيره إلى خلق "شرق أوسط منزوع الديمقراطية ومجرّد من المقاومـــة"، حتـــى تتمكن بلاده من تحقيق أطماعها في المنطقة دون أن تجد من

يقاومهـــا. وهذا باختصار المفهوم الذي تبلور على ألسنة المسؤولين الأمريكيين منذ اندلاع أزمتي غزة وجنوب لبنان في صيف 2006، والذي أكدته وزيرة الخارجية الأمـــريكية رايـــس والرئيس بوش وأركان اليمين المتطرف في الإدارة الأمريكية، ضمن أفكارهم الجديدة لنشر الإمبراطورية الأمريكية والهيمنة على العالم، وفرض مفهوم للاستقرار يتوافق مع المصالح الأمريكية.

المعطيات التي أشرنا إليها توّاً جعلت الولايات المتحدة وإسرائيل يتحركان لإيجاد الشرق الأوسط الجديد المنزوع الديمقراطية والمجرد من المقاومة، فعلى صعيد نزع الديمقراطية بدأوا في مسلسل تجويع الشعب الفلسطيني عقابا له على اختـــياره لحركة المقاومة الإسلامية حماس في الانتخابات التشريعية التي جرت في فبراير 2006، والتي فازت فيها، وتمكنت من تشكيل الحكومة على حساب حركة فتح.

وعلـــى صعيد القضاء على المقاومة في المنطقة قامت إسرائيل تحت غطاء أمريكـــي بإحـــداث تطوير نوعي في هجومها على الشعب الفلسطيني لأجل كسر إرادتـــه، عبـــر مـــا عرف بعملية "أمطار الصيف" العسكرية العدوانية، التي بدأها الجـيش الإســـرائيلي فـــي فجر يوم 28 يونيو 2006، ومن هنا بدأت حرب كسر الإرادة والقضاء على المقاومة.. وتسارعت الأحداث من خلال نقل مسرح العمليات إلى جنوب لبنان لكسر إرادة المقاومة اللبنانية المتمثلة في مقاتلي حزب الله في 12 يوليو 2006، على خلفية أن حزب الله ومقاتليه يمثلون تهديدا كبيراً للحدود الشمالية لإســـرائيل، واســـتمرت المواجهات في جنوب لبنان لفترة تجاوزت الشهر، انتهت بنـــصر نـــسبي لكنه مستحق لرجال المقاومة على الآلة العسكرية الصهيونية بكل عـــدتها وعتادها وجنرالاتها، ليثبتوا أن إرادة الشعوب القوية غير قابلة للكسر على عكس ما تخيّل التحالف الأمريكي الصهيوني.

وفق كل ما سبق جاء هذا الكتاب ليحكي قصة "حرب كسر الإرادة" من خلال ما نشر على فضاء شبكة "إسلام أون لاين.نت" من مواد وتحليلات قبل وأثناء وبعد الحـــرب، ونعتبـــره إلى حد بعيد توثيقا لما جرى خلال هذه الحرب على الصعيد العسكري الميداني أو على صعيد العمل السياسي.

وجـاء الكتاب في خمسة فصول ومقدمة: الفصل الأول تحت عنوان "أمطار الـصيف والتمهيد لكسر الإرادة" لاجتياح غزة بدءاً من عملية تبديد الوهم وأمطار الصيف ودلالات عملية الوهم المتبدد، وعودة حرب الأسرى بين العرب وإسرائيل، وتاريخ عمليات تبادل الأسرى بين العرب وإسرائيل.

وجـاء الفـصل الثانـي تحت عنوان "كسر إرادة حزب الله وشرق أوسط منـزوع المقاومـة!" ليعرض دوافع الإدارة الأمريكية وإسرائيل لخوض حرب كـسر الإرادة، وأسباب تحويل مسرح العمليات إلى جبهة حزب الله في الجنوب اللبنانـي، وموقـع حـزب الله على الأجندة الأمريكية، ويوضح أيضاً كيف أن أمـريكا ورطـت إسـرائيل فـي هذه الحرب التي أفقدتها هيبتها على الصعيد المعنوي والعسكري الميداني.

أمـا الفصل الثالث فتعرّض لصمود حزب الله في مواجهة الآلة العسكرية الـصهيونية، وكـيف أنـه تفوق بشكل لافت عن كافة الأفرع الرئيسية للجيش الإسرائيلي، بعد أن فاجأهم بفنون للقتال تختلف عن تلك التي تعلمها الجنرالات الـصهاينة فـي أكاديمـياتهم العسكرية ذائعة الصيت، بعد أن طالت صواريخه شـرفات مـنازلهم وفـي أعمـاق متفاوتة لديهم، ولم يفلح في مواجهتها سلاح الجو أو الدفاع الجوي، ناهيك عن انهيار أسطورة الدبابة "الميركافا" أمام بسالة رجـال المقاومـة، فـضلاً عن الفشل الاستخباراتي الذي انكشف بقوة في هذه الحرب.

كمـا تـناول الفصل الرابع المعركة السياسية التي كانت تسير بالتوازي مع المعـارك علـى جبهات القتال، والتراجع التدريجي في سقف الأهداف الأمريكية والإسرائيلية من الحرب نتيجة صمود رجال المقاومة أمام الجيش الإسرائيلي، فبعد أن كان لا تنازل عندهم عن القضاء على حزب الله ونزع سلاحه، تحوّل الأمر إلى مجـرد إبعـاده عن الحدود مع إسرائيل، وإحلال قوات دولية مكانه. كما تعرّض الفـصل لملابسات ظهور قرار مجلس الأمن 1701، المنبثق عن مشروع أمريكي فرنسي لوقف إطلاق النار.

أمـا الفـصل الخـامس والأخير فتعرّض للتداعيات التي خلفتها حرب كسر

الإرادة علــى الصعيدين العربي والإقليمي، وعلى الداخل الإسرائيلي بعد الهزيمة التي مني بها جيشها في مواجهاته مع المقاومة في جنوب لبنان، كما تعرّض للدعم الشعبي اللافت للشعوب العربية والإسلامية لخيار المقاومة.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل..

خالد أبو بكر

المحرر بشبكة إسلام أون لاين.نت

تنويه:

الآراء الـــواردة في هذا الكتاب منسوبة لأصحابها، ولا تعبّر بالضرورة عن آراء تتبناها شبكة "إسلام أون لاين.نت".

الفصل الأول

أمطار الصيف والتمهيد لكسر الإرادة

جاء صيف 2006 ساخناً جداً في فلسطين ولبنان؛ حيث عزمت إسرائيل ومن ورائها الولايات المتحدة على القضاء على المقاومة في المنطقة؛ وذلك بهدف إعادة رسم خريطة المنطقة من خلال إيجاد شرق أوسط جديد منزوع المقاومة، بعد أن ثبت أن المقاومة وحدها هي التي تقف حجر عثرة أمام المشروع الأمريكي الصهيوني في المنطقة، وبالتالي كسر إرادة المقاومة في فلسطين بعد وصول حركة حماس للسلطة في فبراير 2006، وكسر إرادة حزب الله لما يمثّله من تهديد للحدود الشمالية للدولة العبرية أصبح مطلباً ملحاً.

وكانت بداية معركة كسر الإرادة على الأراضي الفلسطينية على خلفية أنها الحلقة الأسهل، ومن ثم لا مانع من القيام بعمليات الإحماء من خلالها قبل تحويل مسرح العمليات إلى جبهة حزب الله في الجنوب اللبناني؛ فبدأت فجر الأربعاء 28 يونيو 2006 عملية "أمطار الصيف" العدوانية العسكرية على قطاع غزة؛ بدعوى إطلاق سراح الجندي الذي أسرتْه ثلاثة أجنحة عسكرية للمقاومة في عملية نوعية عُرفت باسم "الوهم المتبدد"، استهدفت يوم 25 - 6 - 2006 موقعاً عسكرياً إسرائيلياً بجنوب القطاع؛ وهو ما أسفر أيضاً عن مقتل جنديين إسرائيليين، واستشهاد اثنين من منفذي العملية.

ولا يمكن وصف هذه العملية - التى أطلق عليها عملية معبر كرم أبو سالم (كير شالوم) - النوعية التي قام بتنفيذها كتائب عز الدين القسام (الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية "حماس")، وألوية الناصر صلاح الدين (التابعة للجان المقاومة الشعبية) يوم 25 يونيو 2006.. إلا بالعملية النظيفة؛ فهي تأتي بمثابة رد فلسطيني عسكري على قتل إسرائيل لمدنيين فلسطينيين، وتقطع كل السبل أمام وصفها بالإرهابية أو الانتحارية أو حتى الاستشهادية؛ لكونها عملية عسكرية خالصة، تعدّ تطوراً في التفكير والتخطيط والتنفيذ، بغض النظر عن النتائج والتبعات المتوقعة.

وكما لم يكن متوقعاً أن تقترف حكومة إسرائيلية يرأسها مدنيان (هما رئيس الوزراء "إيهود أولمرت"، ووزير الدفاع "عمير بيريتس") كل هذه الجرائم والانتهاكات بحق المدنيين الفلسطينيين في الأسابيع الثلاثة التى سبقت القيام بهذه

العملية، والتي قتل فيها ما يقرب من 80 مدنياً فلسطينيا بينهم أطفال، ناهيك عن الحصار وقطع الأموال؛ فإن الرد الفلسطيني جاء أيضاً حازماً وغير متوقع للجانب الإسرائيلي في عملية أطلق عليها منفذوها اسم "الوهم المتبدد".

فقد وضعت هذه العملية – التي أسفرت عن مقتل جنديين وخطف ثالث هو "جلعاد شاليت" (20 عاماً) – الإسرائيليين أمام خيارات ضيقة، وأصابت كلا من الجيش والقيادة السياسية بالارتباك.

ورغماً عن ذلك.. فإنه لا يوجد في الأفق ما يشير إلى أن الاجتياح الإسرائيلي لقطاع غزة يأتي ردا مباشرا وحتميا على عملية معبر كير شالوم؛ فالتقارير الإسرائيلية المختلفة تشير إلى أن هذا الاجتياح كان مخططا له بعناية من قبل الإسرائيليين منذ ثلاثة أشهر؛ انتظارا لما ستؤول إليه أوضاع الداخل الفلسطيني.

ولم تسهم عملية الوهم المتبدد إلا في التسريع من توقيت هذا الاجتياح، الذي ربما سيأتي مخالفاً لما خطط له كل من "أولمرت" و"بيريتس"؛ إذ كان من المتصور أن تستمر إسرائيل في القيام بسلسلة منتظمة من العمليات العشوائية على الفلسطينيين بشكل محدود؛ لخلخلة ما يدور في الأروقة الفلسطينية من حوار، ولتعميق هوة الخلاف بين حركتي فتح وحماس، أو بالأحرى بين كل من الرئاسة والحكومة الفلسطينية، وتقوم إسرائيل في الوقت ذاته باغتيال بعض القادة والناشطين من الأجنحة العسكرية للفصائل، واحدا تلو الآخر، مستغلة انشغال الفلسطينيين اليومي بتدبير سبل حياتهم، ومطالبهم المتكررة بتحصيل رواتبهم.

وتهدف هذه السلسلة من التحركات الإسرائيلية إلى تحقيق هدفين رئيسيين:

أولهما تنفيذ عمليات اغتيال واسعة النطاق على الناشطين الفلسطينيين؛ الأمر الذي يعمّق من هوة الخلاف وابتعاد المواقف بين فتح وحماس، واحتدام صراعهما الأمني والسياسي.

والثاني هو سعي أولمرت داخليا لتثبيت ركائز خطته لاستكمال الفصل الأحادي من أجزاء من الضفة الغربية؛ بل والسعي حثيثاً نحو مزيد من الخطوات الإجرائية لتنفيذ تلك الخطة.

ويمكـــن القـــول بأن اجتياح قطاع غزة كان يعد بمثابة الحلقة الأخيرة في سلسلة التحركات التي ستقذفها الحكومة الإسرائيلية في وجه حركة حماس وحكومتها على حد سواء، بعد أن فشلت كل محاولات الإقصاء والحصار في انتزاع اعتراف من الحركة بحق إسرائيل في الوجود، أو في إسقاط ذاتي لحكومة فلسطينية تقودها حماس، وهو ما يُـدخل الفلسطينيين - حكومة وشعبا - في انتخابات تشريعية جديدة، ربما تعيد الكرة على ما هي عليه بين الحركتين الكبيرتين في الساحة الفلسطينية.

وبالتالـــي فقـــد كانـــت عملية معبر كرم أبو سالم بمثابة انقطاع لهذه السلسلة الإســـرائيلية؛ حيث لم يكن يتوقع الإسرائيليون مثل هذا الرد الفلسطيني القوي على مـــا ارتكـــبوه في الأسابيع الأخيرة من قتل لأبرياء ومدنيين فلسطنيين، كما لم يكن متوقعاً كذلك أن يشارك في تنفيذ هذه العملية الجناح العسكري لحركة حماس؛ وهو ما وضع "أولمرت" أمام بديلين؛ إما التفاوض حول إطلاق الأسير الإسرائيلي الذي اختطفه منفذو العملية؛ الأمر الذي يمكن أن يثبت في ذهنية المقاومة الفلسطينية فيما بعد، وإما الرد باجتياح قطاع غزة في أسرع وقت وهو ما حدث بالفعل.

العدوان لإسقاط الحكومة
وإفشال الوفاق الوطني

نفـــى إســـماعيل هنـــية - رئيس الوزراء الفلسطيني - أن يكون الهدف من العملـــيات العـــسكرية الإســـرائيلية علـــى قطـــاع غزة هو إطلاق سراح الجندي الإســـرائيلي الـــذي أسرته المقاومة، وأوضح أنها تهدف إلى إسقاط الحكومة التي انتخبها الشعب، وإفشال الوفاق الوطني الفلسطيني على وثيقة الأسرى.

وخـــلال خطـــبة الجمعة (30 - 6 - 2006) قال هنية: "هناك تحالفات ضد الـــشعب الفلسطيني.. يريدون للشعب أن يُذَل، وللحكومة أن تموت، لن يكون هناك انتزاع لمواقف سياسية".

ورأى أن "مـــا يجـــري هو تنفيذ لمخطط إسرائيلي يهدف لإسقاط الحكومة.. فاعـــتقال الـــوزراء والنواب، وقصف وزارة الداخلية سيؤدي إلى نتيجة واحدة كما يتصورون هي إسقاط الحكومة".

وأضـــاف أن "الحـــرب الشاملة الإسرائيلية تأتي ضمن خطة مبيّتة للفَتّ في معـــنويات الـــشعب الفلـــسطيني، والتأثيـــر علـــى ثـــباته ووحدته وعلى الحكومة الفلسطينية".

ورداً علـــى هـــذا التصور قال هنية: "نحن نقول لهم: لن تهدموا شيئاً عماده الـــرحمن، ولـــن تـــسقطوا خـــياراً خطّه الرجال والنساء، ولن تؤثروا في مسيرة الحكومة".

وفي أول ظهور علني له منذ أسر الجندي الإسرائيلي "جلعاد شاليت" على يد 3 فـــصائل للمقاومة.. تعهّد هنية بألا يقدّم تنازلات تحت الضغط، في الوقت الذي تواصـــل فـــيه إســـرائيل هجومها على قطاع غزة. وأعرب هنية عن اعتقاده بأن "العدوان على شعبنا" يذهب إلى أبعد من قضية الجندي الأسير.

وبالـــتوافق مـــع مـــا ذهب إليه هنية رأى خبراء سياسيون أن ما يجري من عـــدوان على الفلسطينيين واعتقالات لقادة الحكومة رداً على أسر جندي إسرائيلي في قطاع غزة هو محاولة إسرائيلية لإسقاط حكومة حماس.

وكانـــت قـــوات الاحـــتلال الإسرائيلي قد اختطفت فجر الخميس 29 – 6 – 2006 نحـــو 64 عـــضواً من حماس بالضفة الغربية المحتلة، بينهم 24 نائباً في المجلـــس التشريعي، و8 وزراء، أي ثلث وزراء الحكومة الفلسطينية البالغ عددهم 24 وزيراً.

وعلى الصعيد نفسه رأى هنية أن "الهدف الثاني من وراء هذه الحرب الشاملة هو محاولة التأثير على الاتفاق الفلسطيني الفلسطيني؛ لأن هناك حوارا وطنيا أسفر عـــن الاتفـــاق علـــى وثـــيقة الأسرى، وهذا الاتفاق له نتائج إيجابية على ساحتنا الفلـــسطينية". وأوضـــح أن "أول هـــذه النتائج هو إلغاء الاستفتاء في حال التوصل للاتفـــاق الوطنـــي، واستكمال الحوار الوطني، والعمل على تشكيل حكومة وحدة وطنية".

وتابع هنية: "واحد من أهم الأهداف وراء هذه الحرب هو تعطيل العمل بوثيقة الـــتوافق الوطنـــي.. هـــم لا يريدون هذا التوافق.. هم يريدون فشل الحوار لتسقط الساحة الفلسطينية".

ولإحباط هذا الهدف قال هنية: "نؤكد أن على كل القوى والفصائل الفلسطينية التوقيع على ما تم التوصل إليه خلال الحوار والشروع في تنفيذ متعلقاته سواء في الداخل أو الخارج.. وعلينا ألا نقع في شرك الاحتلال".

وجاءت العملية العسكرية التي بدأت بقصف مواقع في قطاع غزة فجر الأربعاء 28 - 6 - 2006 تحت اسم "عدوان الصيف" بعد إعلان مصادر فلسطينية أن الحوار الفلسطيني الفلسطيني حول برنامج الإجماع الوطني الوارد في وثيقة الأسرى انتهى إلى التوافق بين حركة فتح وحماس والقوى الأخرى على أغلب النقاط الخلافية.

وكانت مصادر فلسطينية قد كشفت عن توصل الفصائل الفلسطينية بقيادة فتح وحماس إلى اتفاق على كافة بنود وثيقة للوفاق الوطني، تعترف ضمناً بإسرائيل، فيما رفضتها حركة الجهاد الإسلامي.

هنية: العدوان يهدف لكسر إرادة الصمود

أرجع رئيس الوزراء الفلسطيني إسماعيل هنية العدوان الإسرائيلي الحالي على الأراضي الفلسطينية ولبنان إلى عدة أهداف؛ أبرزها كسر إرادة الصمود والمقاومة لدى الشعبين، وخلق فوضى إقليمية يجري بعدها ترتيب المنطقة ليكون الاحتلال هو المهيمن عليها.

وفي خطبة الجمعة 21 - 7 - 2006 بغزة قال هنية: "أول الأهداف من وراء هذه الحرب المجنونة هو كسر إرادة الصمود على الأراضي الفلسطينية واللبنانية، وإسقاط مواقع الممانعة التي ترفض السياسات الأمريكية والإسرائيلية في المنطقة".

وتابع: "هذه الحرب إنما تهدف لكسر إرادة الشعب الفلسطيني والمقاومة التي تجلت رغم الحصار السياسي والاقتصادي والإعلامي.. ورغم هذا الحصار فإن الحكومة الفلسطينية بقيت دون أن تقدم تنازلات.. أعداء هذه الأمة شنوا هذه الحرب لأنهم لا يريدون أصواتا عنيدة.. ونحن تعهدنا بالبقاء على الثوابت".

وكانت إسرائيل قد شنت هجوما على قطاع غزة عقب عملية لعدد من فصائل المقاومة الفلسطينية في نهاية الشهر الماضي، أسروا فيها جندياً إسرائيلياً، ورفضوا

تسليمه دون تبادل لأسرى فلسطينيين، وبعد هذه العملية بنحو أسبوعين نفذ حزب الله عملية مماثلة يوم 12 - 7 - 2006 أسر فيها جنديين إسرائيليين ورفض تسليمهما؛ الأمر الذي قوبل بعدوان إسرائيلي واسع على لبنان، خاصة المناطق الجنوبية منه.

وتحدث هنية عن الأهداف الإسرائيلية الأخرى من وراء عدوانها على قطاع غزة ولبنان، قائلاً: "إن الهدف الآخر هو خلق فوضى إقليمية يجري بعدها ترتيب الأوراق في المنطقة؛ ليكون الاحتلال هو المهيمن، وهذا ما تسميه الإدارة الأمريكية بالفوضى الخلاقة، وهي سياسة معتمدة".

وأضاف: "ما نلاحظه اليوم من محاولات فرض إرادة خارجية على المنطقة.. إنما يهدف إلى إعادة ترتيب الأوراق في منطقتنا العربية على أساس إسقاط كل المواقع والقلاع، ويبقى صوت واحد وقوة واحدة، هذا هو الهدف الذي نستشعره من وراء هذه الحرب في لبنان وفلسطين".

واعتبر أن "الهدف الثالث هو العمل على إسقاط الشرعيات المنتخبة خاصة على أرض فلسطين من خلال اختطاف لوزراء ونواب منتخبين، ثم امتد ذلك وضرب الوزارات.. كل هذا يشير إلى أن الهدف هو إسقاط الحكومة، وتحقيق الهدف الذي فشلوا في تحقيقه من خلال الحصار.. فشنوا حربا مباشرة".

وتابع: "كما أن هناك تهديدا للوزراء بالاغتيال، وهذا مؤشر خطير على أنهم يريدون الالتفاف على إرادة الشعب. أما الهدف الرابع فهو إعطاء الفرصة لقادة الاحتلال بتنفيذ مخططاتهم لتصفية القضية الفلسطينية من خلال خطة (رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود) أولمرت أحادية الجانب القائمة على انتزاع جزء كبير من الضفة الغربية وأن القدس موحدة لهم".

أما الهدف الأخير الذي ذكره هنية فهو "محاولة خلق صراعات داخلية، وبث الأكاذيب بين الشعوب والمقاومة وبين الشعوب والحكومات المنتخبة".

وللتصدي لهذه الأهداف قال هنية: "المطلوب منا أولا الاعتصام بحبل الله المجيد.. وثانياً الثبات والصمود في وجه هذه الغطرسة التي تهدف إلى زعزعة استقرارنا، ثم التركيز على وحدتنا الداخلية وتماسكنا الداخلي".

وأضـــاف: "وكــذلك وضــع خطـــة طوارئ وطنية عاجلة من قبل الحكومة لمواجهة آثار العدوان.. ولقد أعدت الحكومة خطة بالفعل لذلك".

وكانـــت الحكــومة الفلــسطينية قد تشكلت في مارس الماضي بقيادة حركة المقاومة الإسلامية حماس بعد فوزها بالأغلبية في الانتخابات البرلمانية، غير أنها واجهــت حــصارا اقتصاديا من الغرب الذي جمَّد مساعداته المالية عن الحكومة؛ الأمر الذي تسبب في أزمة على كافة الأصعدة.

الوهم المتبدد تحت أمطار الصيف

مــن أهــم الكتابات التي تناولت بالتحليل عملية الوهم المتبدد المقابلة لأمطار الــصيف مـــا كتـــبه صلاح الدين حافظ في جريدة الأهرام المصرية يوم 5 يوليو 2006، تحـــت عنوان "الوهم المتبدد تحت أمطار الصيف"؛ حيث قال: من الواضح أنـــه تـــم اختـــيار العبارات بدقة لتعبر عن المعاني المقصودة بدقة أكبر ووضوح أعمق.

هكــذا بدأ الصدام الدموي الأخير بين المؤسسة السياسية العسكرية الإسرائيلية – مالكة أقوى ترسانة مسلحة في المنطقة – والشعب الفلسطيني الأعزل المحبوس في ســجن يــسمى غزة؛ الصغيرة المساحة الضيقة الحدود، وعلى رقعتها الضيقة هذه يعيش مليون ونصف مليون خلف القضبان الكهربائية والحوائط الإسمنتية.

الــوهم المتبدد، اسم ومعنى لعملية فدائية جريئة، حفر خلالها رجال المقاومة الفلــسطينية نفقـــا أرضيا، وصلوا من خلاله إلى مركز تجمع عسكري إسرائيلي، وفاجئوه بخوض معركة مباشرة، وقتلوا جنديين وأسروا ثالثا.. ولم يكن الهدف فيما أظـــن هو مجرد اقتحام مركز إسرائيلي محصن، ولكن الهدف الأبعد والأعمق هو إيـــصال رســـالة لإسرائيل أن المقاومة تستطيع أن تصل وتقتحم أي موقع في أي مكـــان فـــي الأرض المحتلة، مهما تكن الصعوبات والتضحيات.. ومعنى ذلك أن المقاومة قادرة على تبديد أسطورة الوهم الزائف التي نجحت إسرائيل في ترويجها، ورددهـــا مـــن خلفها بعض العرب، من أنها قوة نووية لا تقاوم، وجيشها لا يقهر، وترسانتها العسكرية لا تنفد، وقدرتها على الرد والانتقام لا تنتهي أو تتوقف!

ومعنى ذلك أيضاً أن اقتحام المقاومة الفلسطينية لموقع عسكري إسرائيلي، ومقاتلته بالسلاح أجدى ألف مرة، من تلغيم فتى أو فتاة لتفجير نفسه أو نفسها في مقهى أو سينما أو حافلة لنقل الركاب؛ لأن مباغتة مدنيين وقتلهم مدان ومستنكر إنسانيا، أما مهاجمة عسكريين فهو مبرر وفقا للشرائع والقوانين؛ لأنه دفاع عن النفس والوطن، ولأنه مقاومة للمحتل الغاصب.

وبقدر ما أن إسرائيل تنجح في إثارة مشاعر العالم كله شرقا وغربا، استنكارا لعملية فدائية تصيب مدنيين إسرائيليين، باعتبارها إرهابا، بقدر ما أن إقدام إسرائيل على ممارسة القتل اليومي للمدنيين الفلسطينيين، على غرار قصف العائلات بأطفالها ونسائها على شاطئ غزة لم يعتبر إرهابا، وإنما صنفته السياسات الأوروأمريكية على أنه دفاع عن النفس!

بعد أيام قليلة من عناق كاذب وأحضان خادعة بين أولمرت رئيس وزراء إسرائيل وأبي مازن الرئيس الفلسطيني، في ضيافة الأردن، أصدر أولمرت أوامره بحصار أبي مازن في غزة، ومنعه من العودة إلى مقره الرسمي في رام الله، في نطاق عملية أمطار الصيف، مذكّراً بقرار سلفه شارون بحصار الرئيس الراحل عرفات في مقره بالمقاطعة في رام الله، ولم يخرج منها إلا قبيل طلوع الروح غريبا في فرنسا!

أمطار الصيف إذن عملية اجتياح عسكري إسرائيلي واسع، ليس هدفها مجرد احتجاز الرمز الفلسطيني الأول أبي مازن في محبس داخل سجن غزة، وليس هدفها مجرد الانتقام لأسر المقاومة الفلسطينية الجندي الإسرائيلي "جلعاد" خلال عملية الوهم المتبدد، ولكن هدفها هو إنهاء مسلسل التحدي الفلسطيني المتصاعد والمتمثل في جناحين:

أولهما نشاط المقاومة خصوصاً بعد تطوير عملياتها، من مجرد إطلاق صواريخ على المستعمرات الصهيونية، إلى اقتحام المواقع الإسرائيلية المحصنة عسكرياً وتكنولوجيا، على غرار "الوهم المتبدد".

وثانيهما إطلاق الرصاصة الأخيرة والقاتلة على حكومة حماس المنتخبة والمتمركزة في غزة، بكل ما تمثله من معان ومبادئ!

يلفــت النظر بمزيد من القلق والاستنكار أن المواقف العربية والغربية تلتقي مــع الهــدف الإسرائيلي ذي الجناحين السابقين، المدعوم بمساندة أمريكية هائلة، ودليلنا على ذلك أن الضغوط والوساطات والتدخلات والمناشدات العربية والأجنبية تــزاحمت بقــوة لإجبار المقاومة على إطلاق سراح الجندي الإسرائيلي المأسور، بحجــة إنقــاذ غزة من الاجتياح الإسرائيلي، برغم إدراك الجميع أن الاجتياح كان سيتم حتماً، وجرى الإعداد له قبل أسر جلعاد.

وبنفس قوة الضغوط والتدخلات سعت الجهود العربية والأوروبية والأمريكية علــى مــدى الــشهور الماضــية، لمحاصرة حكومة حماس المنتخبة ديمقراطيا، وإجهاضــها وإجــبارها على الانسحاب أو السقوط المدوي، ولا أدل على ذلك من الحــصار المــشدد، ومنع المساعدات، ووقف حتى المعونات الإنسانية للمستشفيات والمدارس والعائلات الفقيرة، ناهيك عن وقف رواتب العمال والموظفين.

الهــدف هو كسر نفس الفلسطيني الذي انتخب حماس ورضي بها، وكسر عين حمــاس التي نجحت في الانتخابات الديمقراطية، وأرادت أن تحكم بالديمقراطية، فإذا بكــل القــوى المناوئة لها في الداخل وفي الخارج تتكاتف ضدها لتعريتها وإسقاطها، ووضــعها في اختبار صعب؛، بين أن تتهم تاريخياً بتجويع ومحاصرة وعقاب الشعب الفلسطيني، وأن تعيد إسرائيل احتلال غزة، بعد مسرحية فك الارتباط الشهيرة!

أمــا وأن هــذا وذاك قد صادفه الفشل، أو قل التباطؤ؛ فإنه كان ضروريا أن تسقط وتهطل أمطار الصيف في منطقة لا نعرف فيها أمطارا في الصيف، وبدأت إســرائيل ممارســة لعبتها المفضلة بالاجتياح والعدوان العسكري المباشر؛ بحجة استعادة جنديها المأسور، وفي سبيل ذلك تطوع المتحدث الرسمي الأمريكي بالقول: إن إســرائيل تدافــع عن نفسها وعن حقها الشرعي في الحياة، وهو يعلم جيدا أن عملــية أمطــار الصيف بدأت بتدمير محطات الكهرباء والماء والجسور والطرق، ودك المــنازل والمدارس والملاعب الرياضية والمستشفيات، بهدف تدمير ما تبقى مــن البنــية التحتية في غزة، مثلما دمرت من قبل مطار غزة، وميناءها البحري ومؤسسة الإذاعة والتليفزيون ومكاتب الإحصاء ومعسكرات الشرطة، بما في ذلك ما موّله الاتحاد الأوروبي نفسه من مشروعات!

وفـــي حـــين اعتبرت إسرائيل أن أسر جنديها في عملية الوهم المتبدد عمل إرهابي، ووافقتها في ذلك أمريكا وأوروبا، وأيدتها أصوات عربية معروفة، فرددته خلفهـــا قـــوات المتأمـــركين العـــرب أصدقاء إسرائيل في السر والعلن.. فإن قيام إســـرائيل بخطـــف واعتقال أكثر من مائة شخصية قيادية فلسطينية في يوم واحد، بيـــنهم أكثـــر مـــن ثلـــث حكومة حماس (9 وزراء و24 نائبا منتخبا في المجلس التـــشريعي والباقي من رؤساء البلديات)، ضمن خطوات عملية أمطار الصيف لم يـــصفه أحد من هؤلاء بأنه إرهاب، بينما هو إرهاب دولة وفق كل تعريف قانوني أو سياسي!

لقـــد راهـــنت إســـرائيل وحلفاؤها وأصدقاؤها من العرب والغرب، على أن الاقتـــتال الفلـــسطيني الداخلي واقع لا محالة، عبر صدام فتح مع حماس، والرئيس الفلـــسطيني مـــع رئيس وزرائه، والأمن الوقائي مع قوات الأمن الخاصة، ونواب المجلـــس التشريعي معا، وبدأت نذر الصدام تبدو في الأفق، لكن الغريب أن يتفق الفـــرقاء الفلـــسطينيون الرئيسيون خاصة فتح وحماس والجبهة الشعبية على وثيقة الحوار الوطني، وأن تبدأ عملية أمطار الصيف الإسرائيلية في نفس توقيت إعلان الـــتوافق الفلـــسطيني، وكأنمـــا الرســـالة تقـــول: "غيـــر مسموح أن يتفق الفرقاء الفلسطينيون تحت أي ظرف؛ بل المسموح هو أن يقتلوا بعضهم بعضا، ومن يبقى علـــى قـــيد الحـــياة يتولى مسؤولية حراسة الأمن الإسرائيلي، وحمايته من خطر المسجونين داخل سجن غزة"!

ربمـــا تـــنجح الترســـانة العسكرية الوحشية الإسرائيلية - المدعومة أمريكيا وأوروبيا - في اغتيال قيادات حماس، وتقويض الحكومة الفلسطينية المنتخبة، وفي قـــتل أو اعتقال الوزراء والمديرين والنواب، وفي تدمير باقي البنية التحتية، وفي إظلام قطاع غزة وتجويع شعبها، تحت شعار "أمطار الصيف"، ودون أن تلقى رد فعـــل عربياً على مستوى هذا العدوان، ودون أن تصادف إدانة دولية واحدة، كما حدث من قبل عشرات المرات.

لكن المؤكد أن الوهم قد تبدد؛ وهم الأمن الإسرائيلي، والجيش الذي لا يقهر، والدولـــة الديمقـــراطية، والمواقع الحصينة والصواريخ التي تطير إلى أبعد مدى،

والحمايـــة الأمريكية الإستراتيجية، فوق وتحت الترسانة النووية قدس أقداس الدولة اليهودية.. كل ذلك يتبدد وهمه درجة بعد درجة بكل خطورته على أمن المنطقة!

وبقدر ما سبق أن عاشت إسرائيل حالة تبدّد هذا الوهم، في أيام حرب أكتوبر المجـــيدة عام 1973، بقدر ما هي الآن تستعيد ذات الذكرى الرهيبة، برغم غياب الجـــيوش وصـــمت المدافـــع عبر الحدود العربية؛ ذلك أن إرادة المقاومة والحق الـــشرعي فـــي الدفاع عن شرف الوطن، والتضحية بالنفس دفاعا عن مبدأ وقيمة وموقـــف يظـــل هو محرك الشعب الفلسطيني، حتى وهو تحت الحصار والعقاب الوحـــشي، يقاتل عرياناً من أي غطاء، عربياً كان أو دولياً؛ فقد تخلى الكل، وقال: "نفسي نفسي"، هلعاً من أي عقاب أو حتى كلمة عتاب، من سيدة الكون.

وبالمناسبة.. هل ما زال المتأمركون العرب يعتبرون كلمة أمريكا هي الكلمة العلـــيا الوحيدة، وأن أمطار الصيف هي وحدها التي ستفك عقدة الصراع، وتنهي الصداع، وأن انفلات القوة الصهيونية يوجب علينا قبول الاستسلام لإرادتها؟!

حماس تجني ثمار "الوهم المتبدد"

اتفـــق خبراء وسياسيون فلسطينيون على أن حركة المقاومة الإسلامية (حماس) ستكون الطرف الرابح في أي مخرج لتداعيات حادثة أسر الجندي الإسرائيلي، وأن ما يجري من أحداث في قطاع غزة يصب في صالح الحركة في كل الأحوال، واعتبروا أنـــه لا شيء أمام حماس لتخسره، وأنه في حال إسقاط الحكومة فإن ذلك "يُعد مخرجاً مُـــشرفاً" للحركة، وفي حال استجابة إسرائيل لشروط الإفراج عن الجندي الإسرائيلي الأسير فإن حماس تكون قد انتصرت بمعركتها، وكسبت مزيداً من التأييد.

وكانـــت الأجـــنحة العسكرية الفلسطينية الثلاثة (كتائب القسام، ألوية الناصر صـــلاح الدين، جيش الإسلام) التي قامت بأسْر الجندي الإسرائيلي "جلعاد شاليت" طالبت بالإفراج عن ألف أسير فلسطيني وعربي في السجون الإسرائيلية، بالإضافة إلى النساء والأطفال تحت سن الثمانية عشرة مقابل الإفراج عن الجندي الذي أسر فـــي عملـــية نوعـــية للفصائل الثلاث يوم الأحد الماضي، أطلق عليها اسم "الوهم المتبدد"، قتل خلالها جنديان إسرائيليان ومقاومان.

وأوضحت الأجنحة العسكرية أن الأولوية في الإفراج عن الأسرى الألف ستكون لجميع قادة الفصائل الفلسطينية، وجميع ذوي الأحكام العالية، وجميع المرضى ذوي الحالات الطبية الصعبة والإنسانية. وأضافت إلى مطالبها "وقف كل أشكال العدوان والحصار على الشعب الفلسطيني".

ورأى الدكتور "فواز الشرقاوي" أستاذ العلوم السياسية بالجامعة الإسلامية في غزة أن "ما يجري على الساحة الفلسطينية الآن يصب لصالح حماس في كل الظروف والأحوال، فإذا استجابت إسرائيل لشروط الإفراج عن الأسير الإسرائيلي وقامت بإطلاق سراح أسرى فلسطينيين فإن ذلك يُعد انتصاراً حقيقيّاً لحركة حماس؛ فهي بذلك لم تخذل صيحات وأنات الأسرى وذويهم".

أما في حالة فشل العملية في جني ثمارها، وازدياد العدوان الإسرائيلي مستهدفا رموز الحكومة الفلسطينية فإن الشرقاوي اعتبر ذلك مكسبا ونصرا لحماس أيضاً، قائلاً: "إذا ما سقطت الحكومة فإن ذلك مخرج مُشرف لحماس من مأزق الحكم والحصار، ويكفيها فخرا ساعتها أنها أول حكومة فلسطينية سقطت في مواجهة العدو... في كل الأحوال هي الرابحة".

ويشير الشرقاوي إلى مكسب جديد إذا ما نجحت صفقة التبادل هذه، قائلاً: "كانت حماس تُتهم في السابق بأنها تركت المقاومة المسلحة، واستبدلت بها العمل السياسي، ولكن جاءت العملية ونتائجها لترد على هذه الاتهامات. ومع تصميم الحركة (ضمن الفصيلين الآخرين اللذين شاركا في أسر الجندي الإسرائيلي) على عدم إطلاق سراح الأسير دون ثمن يعني أنها ما زالت تقود المقاومة؛ فهي تقود الآن عملية متقنة التخطيط والتنفيذ".

ويرى الشرقاوي أنه ليس أمام حماس سوى أن تحارب حتى الرمق الأخير بشأن قضية أسر الجندي، وأنها لا يُمكن أن تسلمه بدون ثمن، قائلاً: "الشارع الفلسطيني يُجمع على هذه الحقيقة؛ فالعملية أعادت له ثقافة الانتصار والكرامة".

واتفق المحلل والكاتب السياسي "حسين حجازي" مع الشرقاوي، ورأى أن استئناف "حماس لنهج المقاومة بعد أن كان الجميع يعيّرها بعدم فعل أي شيء..

بمثابة الإلقاء ببعض أوراقها الرابحة على الطاولة". وأوضح حجازي أن نتائج واقعة الأسير "السعيد منها والمأسوي يصب في مصلحة حماس.. فإذا خاطرت إسرائيل ودخلت غزة، وانهارت السلطة؛ فإن انهيار حكومة حماس بهذه الطريقة يكون هو السقوط المشرّف، بل البطولي، وتكون هذه نهاية موفقة لأول حكومة فلسطينية أقصيت في موقع الشرف، خلال المواجهة مع العدو".

ويرى أنه إذا ما خضعت إسرائيل لشروط حماس بإطلاق سراح جزء من الأسرى بل حتى لو تم الاتفاق من تحت الطاولة على صفقة تعيد فيها إسرائيل الـ 400 مليون دولار التي تحتجزها كمستحقات للفلسطينيين، مقابل هذا الجندي؛ فإن هذا "نصر لحماس؛ حيث يمكن حينئذ دفع مستحقات الأشهر المتأخرة للموظفين، وتحطيم الحصار المالي الذي يفرضه الأمريكيون، وبهذا تنتهي الأزمة بضربة معلّم".

وتعد مشاركة حماس في مثل هذا النوع من الهجمات (على معبر كرم أبو سالم) الأولى من نوعها منذ يونيو 2004، عندما نفذت كتائب القسام هجوما مشابها عبر نفق أسفل موقع "أورحان" العسكري الإسرائيلي على مدخل مستوطنات "غوش قطيف" جنوب قطاع غزة؛ وهو ما أدى إلى مقتل جندي إسرائيلي وإصابة 5 آخرين.

وقد اعتبر رئيس الوزراء الفلسطيني إسماعيل هنية في خطبة الجمعة 30 - 6 - 2006.. أن العمليات العسكرية الإسرائيلية على قطاع غزة تهدف إلى إسقاط الحكومة التي انتخبها الشعب، وإفشال الوفاق الوطني الفلسطيني على وثيقة الأسرى، وليس إطلاق سراح الجندي الإسرائيلي الذي أسرته المقاومة.

وأضاف: "هناك تحالفات ضد الشعب الفلسطيني.. يريدون للشعب أن يُذل، وللحكومة أن تموت، لن يكون هناك انتزاع لمواقف سياسية".

ورداً على هذا التصور قال هنية: "نحن نقول لهم: لن تهدموا شيئاً عماده الرحمن، ولن تسقطوا خيارا خطّه الرجال والنساء، ولن تؤثروا في مسيرة الحكومة".

دلالات عملية الوهم المتبدد

مــن أهم تبعات عملية الوهم المتبدد أنها تترك مجالا قوياً لغلاة المستوطنين والأحزاب الدينية المتطرفة ويمين كديما وحزب الليكود لانتقاد خطة الانسحاب من قطــاع غــزة، وأنهــا جاءت بنتائج عكسية، وأعطت الفلسطينيين مساحة للتحرك، وتنفيذ عمليات، وإطلاق صواريخ على المستوطنات الإسرائيلية، وهي الحملة التي ســيتم استخدامها للإطاحة بأفكار أولمرت غير المكتملة حول الانسحاب من أجزاء من الضفة الغربية في المستقبل القريب.

وواضــح أن الطرف الإسرائيلي يدفع ثمن تعمّده حصار الحكومة الفلسطينية وتجويع الشعب الفلسطيني، وعدم استثماره لما أعلنته الفصائل الفلسطينية – وعلى رأسها حركة حماس – منذ عامين عن القبول بهدنة، وكانت في كل المرات أقرب لهدنــة مــن طــرف واحد؛ فلم يتوقف الإسرائيليون عن الاعتقالات والاغتيالات، وإفــساد كل محاولات الحوار حتى مع الرئيس الفلسطيني الذي يصفونه بالمعتدل، رغــم عــدم الــرد الفلسطيني في أكثر من مناسبة، واعتراف الإسرائيليين أنفسهم بالتــزام حركة حماس بوقف إطلاق النار وعدم مشاركتها لأكثر من عام كامل في عمليات نفذت ضد مدنيين إسرائيليين.

أخيــراً.. فإن أكبر الدلالات التي تفرض نفسها على هذا المشهد تكمن في أن الخطوات الانفرادية الإسرائيلية لم توفر أمنا أو سلاما بين الطرفين ولن توفر ذلك، وأنه لا انسحاب دون حديث واتفاق مع الفلسطينيين، كما أن الجدار العازل لم ولن يوفــر هو الآخر الأمن الإسرائيلي المزعوم، كذلك لم تنجح الاغتيالات سابقاً أو ما تهدد به إسرائيل حالياً من استهداف كل الفلسطينيين دون استثناء.. كل ذلك لم ينجح فــي حل معضلة الأمن الإسرائيلية. ولتبق إسرائيل رغماً عن ذلك دولة أمنية من طراز فريد؛ قوية عسكرياً، ومكشوفة أمنياً.

تكتيك "انتزاع الأمان" يفشل حرب أولمرت

كــان "الفشل السياسي" متوقعاً للعملية العسكرية الإسرائيلية التي أطلق عليها "أمطــار الــصيف"، ورأى خبراء أن العملية العسكرية عجزت عن تحقيق أهدافها

المعنوية والسياسية، وفي مقدمتها: تصفية حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، ومنعها من إطلاق الصواريخ في العمق الإسرائيلي، والعثور على الجندي الإسرائيلي الأسير جلعاد شاليت. ونوهوا في المقابل إلى الصمود الذي أبدَتْه حماس رغم الغارات الإسرائيلية المتتالية، وإصرارها على تنفيذ سياسة "انتزاع الأمان" من قلب إسرائيل من خلال إطلاق الصواريخ المحلية - رغم محدودية تأثيرها - على مدنها المجاورة لقطاع غزة.

وقال الخبير والمؤرخ العسكري العربي د.محمد الجوادي: "الفشل هو المصير الذي ستؤول إليه أمطار الصيف الإسرائيلية على غزة". وأضاف: "الهجوم العسكري الإسرائيلي لم يستطع أن يخلق حالة من الخوف في قلوب المقاومة ويجعلها تتراجع، أو أن يبث الرعب في صفوف السلطة الفلسطينية لتهادن"، معتبرا أن هذا هو الهدف المعنوي للهجوم.

وأشار الجوادي إلى أن العكس هو ما يحدث، مستحضرا في هذا الشأن سقوط صاروخ فلسطيني محلي الصنع الثلاثاء 4 - 7 - 2006 في قلب مدينة عسقلان جنوب إسرائيل لأول مرة، كما سقط صاروخ ثان على المدينة بعد أن كان يصل فقط لأطراف المدينة؛ "لينقل بذلك الترويع النفسي إلى الجانب الإسرائيلي، وينجح في انتزاع الأمان منه"، مثلما كان يفعل ذلك حزب الله اللبناني ردا على الغارات الإسرائيلية على الجنوب اللبناني.

وأردف: أما ميدانياً فإن القوة العسكرية الإسرائيلية لم تستطع حتى الآن استعادة الجندي الأسير. وتوقع المؤرخ العسكري أن تنهي القيادة الإسرائيلية عملياتها العسكرية بما يحفظ ماء وجهها.

واتفق محمد بسيوني - السفير المصري السابق في إسرائيل - مع الدكتور جوادي قائلاً: "إسرائيل ستفشل في تحقيق نتائج من عملية أمطار الصيف؛ لأن القوة المسلحة يمكنها أن تفرض الأمر الواقع على الأرض، لكنها لن تستطيع توفير الأمن والسلام لمواطنيها".

وتابع يقول: إذا أرادت إسرائيل تحقيق أمنها في المقام الأول فلن يتسنى ذلك إلا من خلال الجلوس على طاولة المفاوضات والتوصل لاتفاق ينهي النزاع الحالي.

ولم تخرج رؤية د.محمد عبد السلام – الخبير العسكري ورئيس تحرير ملف الأهرام الإستراتيجي – عما ذهب إليه سابقوه، وقال: "العملية العسكرية بعيدة المدى الإسرائيلية غير المنطقية بقطاع غزة عملية انتقامية حتى لا يتكرر اختطاف جنود إسرائيليين من قبل المقاومة الفلسطينية". وأضاف: العملية هدفها استعراض قوة الحكومة الإسرائيلية الجديدة، وإعطاء انطباع بحجم قوتها، وضعف منافسها (حماس).

وفي أعنف غارة جوية على قطاع غزة منذ بدء العدوان على القطاع الأسبوع الماضي دمرت قوات الاحتلال الإسرائيلي بشكل كامل مبنى وزارة الداخلية الفلسطينية فجر الأربعاء 5 – 7 – 2006، وبعد فترة وجيزة قصفت الطائرات الإسرائيلية روضة أطفال تابعة لمدرسة "الأرقم" – التابعة لحماس – في حي التفاح شمال مدينة غزة؛ وهو ما أسفر عن تدميرها بشكل كامل وتضرر عشرات المنازل المجاورة؛ وهو ما أشاع حالة من الهلع في نفوس المواطنين.

يأتي هذا في الوقت الذي أعطت فيه الحكومة الإسرائيلية ضوءاً أخضر للجيش لإقامة منطقة أمنية عازلة موسعة في شمال قطاع غزة لوقف الصواريخ التي تطلقها المقاومة الفلسطينية على الدولة العبرية.

وعلى الجانب الإسرائيلي شكك بعض المعلّقين في إمكانية أن تؤدي خطة عسكرية إسرائيلية طويلة الأمد لتحقيق الأهداف المطلوبة؛ وهو ما أشارت إليه ورقة عمل لموقع "ريؤت" البحثي الإسرائيلي على الإنترنت في أن الوقت لا يصب في مصلحة شاليت وأسرته. واعتبرت الورقة أن حماس تلعب على وتر مرور الوقت دون نجاح الجيش الإسرائيلي في تحرير الجندي، حتى لو خسرت حماس في مقابلها عشرات الفلسطينيين.

وأكدت الورقة البحثية على أن احتفاظ حماس بالجندي لفترة طويلة يعني تحويله لقضية مماثلة للطيار رون أراد (وهو طيار إسرائيلي أسقطت طائرته فوق لبنان عام 1986، وأفرجت إسرائيل عن مجموعة من أعضاء بحزب الله اللبناني مقابل الحصول على معلومات عنه).

وشككت الورقة في إمكانية أن تؤدي أي خطة عسكرية طويلة الأمد لتحرير

الجندي؛ "لأن هذه العمليات ستخلف قتلى فلسطينيين في غزة؛ وهو ما سيفضي إلى مطالبة حماس ومن ورائها الشارع الفلسطيني بالانتقام من إسرائيل، والذي سيكون قتل الجندي شاليت هو رمزا له في نهاية المطاف".

من جانبها نقلت صحيفة "هاآرتس" العبرية يوم 5 – 7 – 2006 عن جنرال بقيادة الأركان قوله: "استمرار أزمة شاليت لأسابيع أو أشهر أو سنوات سيُقيِّد أيادي إسرائيل، ما دام الخاطفون يحرصون على التأكيد أن شاليت حي يُرزق؛ حيث ستخشى إسرائيل من الإقدام على عمليات قد تُلحق الأذى به".

وعن الحل الأمثل لأزمة الجندي "شاليت" يقول أمير أورن – المعلّق العسكري بصحيفة هاآرتس –: "الفلسطينيون يتحلون بصبر أطول. صحيح أن الخاطفين سيسعدون عقب تسلّمهم سجناء كثيرين وذوي وزن في الشارع الفلسطيني، لكن إذا عرضت إسرائيل في المقابل إطلاق سراح سجناء صغار وقلائل لتحبط الصفقة؛ فلن يكون ذلك سيئاً".

وأكد على أن الوقت لا يصب في مصلحة إسرائيل من الناحية الإستراتيجية. أما تكتيكيا، فالوقت يُمكّنها من جمع المعلومات والإعداد لعملية إنقاذ الجندي المخطوف. وينهي أورن تحليله بالقول: "في كل الأحوال، تبدو إسرائيل في الأسبوع الثاني من الأزمة بعيدة عن استعادة زمام المبادرة والتفوق".

حرب الأسرى بين العرب وإسرائيل

عادت إستراتيجية أسر جنود وضباط الاحتلال الإسرائيلي بقوة إلى الأضواء في ساحة المواجهة الفلسطينية الإسرائيلية بعد انحسارها خلال الأعوام العشرة الماضية، وذلك إثر تمكن المقاومة من أسر اثنين من العسكريين الإسرائيليين في أقل من أسبوع.

وبحسب إحصاءات أعدتها شبكة "إسلام أون لاين.نت" على الإنترنت الأربعاء 28 – 6 – 2006؛ فإن أسر الجنود من قبل المقاومة الفلسطينية يعتبر إستراتيجية قديمة؛ حيث شهدت السنوات الماضية محاولات متعددة من هذا القبيل..

فخـــلال الانتفاضة الأولى (1987 – 1994) شهدت الأراضي الفلسطينية سلسلة مـــن عمليات خطف الجنود الإسرائيليين، نفذت أغلبها كتائب الشهيد عز الدين القسام، الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية (حماس). ومن أمثلة هذه العمليات:

- فـــي تـــاريخ 17 – 2 – 1988 تمكنت عناصر تابعة لحماس من أسر رقيب إســـرائيلي يدعـــى "آفي سابورتس" من داخل إسرائيل بعد تجريده من سلاحه وأوراقه الرسمية، وتم في وقت لاحق تصفيته والتخلص من جثته.
- فـــي 3 – 5 – 1989 أسرت عناصر من القسام الجندي "إيلان سعدون" الذي كان بكامل عتاده العسكري، لكنه قتل في وقت لاحق؛ نظرا لصعوبة المساومة عليه، وتم إخفاء جثته.

ورغـــم اعـــتقال منفذي العملية ومحاولة مقايضتهم في أثناء وجودهم بالسجن لكـــشف مكـــان دفـــنه لم تتمكن المخابرات الإسرائيلية من العثور على رفات الجندي إلا بعد مرور نحو سبعة أعوام على العملية.

- شـــهد عـــام 1992 عمليتي أسر، كانت أولاهما يوم 18 سبتمبر عندما خطفت عناصر من كتائب القسام الجندي "آلون كرفاتي" قرب مخيم البريج وسط قطاع غزة، وتم قتله بعد تجريده من لباسه العسكري ومصادرة سلاحه.

أما العملية الثانية فكانت في 13 – 12 – 1992؛ حيث أسرت عناصر القسام العـــسكري الإســـرائيلي "نـــسيم طولـــيدانو"، وهو برتبة رقيب أول من داخل الأراضـــي المحتلة عام 48، وطالبت في ذلك الحين بالإفراج عن الشيخ أحمد ياسين زعيم ومؤسس حماس، إلا أن إسرائيل لم تستجب، فتم قتل الجندي.

- أمـــا العـــام التالـــي (1993) فـــشهد أكبر نسبة من عمليات أسر العسكريين الإســـرائيليين خلال فترة الانتفاضة الأولى؛ حيث بلغت الحصيلة 8 عمليات، قـــتل خلالهـــا 8 مـــن العسكريين و3 من رجال الشرطة الإسرائيليين. وهذه العمليات كانت كالتالي:

  - فـــي 7 – 3 – 1993 أســـرت عناصـــر بكتائب القسام الجندي "يوهوشع فريدبـــرج"، واســـتولت علـــى بندقيته الرشاشة، قبل أن تقتله عندما حاول المقاومة.

- في 20 – 4 – 1993 حاولت عناصر بكتائب القسام أسر الملازم "شاهار سـيماني" مـن داخـل أراضي 48، لكنه قاوم عملية الاختطاف، فتم قتله والاستيلاء على سلاحه ووثائقه الشخصية.
- في 6 – 5 – 1993 قتل أفراد من القسام العقيد جوالمة أحد قادة الحرس المدني خلال محاولة لأسره. واعترف جيش الاحتلال بالعملية، لكنه ادعى أن جوالمة أصيب بجروح خطرة فقط.
- فـي 6 – 7 – 1993 أسرت المقاومة الجندي "أرييه فرنكتال"، وتم قتله بعدما حاول المقاومة وتم الاستيلاء على سلاحه ووثائقه الشخصية.
- فـي 5 – 8 – 1993 أسرت عناصر من القسام العريف "يارون حيمس" مـن سـلاح الإشـارة، وتـم الاستيلاء على سلاحه، قبل أن يتم قتله إثر محاولته مقاومة محتجزيه.
- فـي 12 – 8 – 1993 حاولت عناصر من حماس أسر جندي إسرائيلي داخـل الدولـة العبرية، لكن القوات الإسرائيلية حاصرت سيارة عناصر المقاومة، وتحولت العملية إلى اشتباك مسلح، أسفر عن مقتل 3 من رجال الشرطة الإسرائيلية، وإصابة نحو 17 آخرين. وتم اعتقال اثنين من منفذي العملية، فيما استشهد اثنان آخران.
- فـي 22 – 9 – 1993 أسرت عناصر بالمقاومة جندي الاحتياط "بيجال فاكنين" من منطقة رعنانا شمال تل أبيب قبل أن تقتله.
- فـي 24 – 10 – 1993 قُتل الرقيب "يهود روك" والعريف "إيلان ليفي"، وتم الاستيلاء على جهاز لاسلكي كان بحوزتهما وأوراقهما الثبوتية.

• ومـع دخـول الانتفاضـة الأولى عامها الأخير أسر رجال المقاومة في يوم 11 – 10 – 1994 الجندي "نخشون فاكسمان"، وأمهلوا سلطات الاحتلال عدة أيام للإفراج عن الشيخ أحمد ياسين.

لكـن قـوة إسرائيلية خاصة تمكنت من التوصل إلى مكان إخفاء الجندي في قرية بير نبالا بالقرب من رام الله واقتحمته بعد 3 أيام من عملية الأسر. وأسفرت عملـية الاقـتحام عن مقتل فاكسمان وقائد الوحدة المهاجمة وجندي إسرائيلي آخر

وإصابة 20 جندياً، كما استشهد 3 من أفراد القسام واعتقل اثنان.

ومع انتهاء الانتفاضة وإنشاء السلطة الفلسطينية، بدأت أجهزة الأمن الفلسطينية ملاحقة وإفشال عمليات أسر الجنود الإسرائيليين؛ وهو ما أدى إلى تراجع هذه الإستراتيجية، وتركيز المقاومة على العمليات الاستشهادية داخل الخط الأخضر.

وبالرغم من ذلك فقد تمكنت مجموعة تابعة لكتائب القسام معروفة باسم "خلية صوريف" من أسر الجندي "شارون أدري" من مدينة القدس المحتلة في صيف 1996 قبل أن تقتله وتحتفظ بجثته سبعة أشهر كاملة.

ولاحقاً في 21 - 9 - 2005 تمكنت المقاومة من أسر "ساسون نورائيل" عضو جهاز الأمن الداخلي الإسرائيلي "شاباك" من مدينة القدس المحتلة، وقتلته قبل أن تتخلص من جثته التي عثر عليها بعد عدة أيام في قرية بيتونيا بالضفة الغربية.

أسر الجنود..
سلاح الانتفاضة يعود من جديد

بعد تمكن المقاومة الفلسطينية من أسر اثنين من العسكريين الإسرائيليين في أقل من أسبوع في الضفة الغربية وقطاع غزة، عادت بقوة "إستراتيجية الأسر" - التي كانت أحد أهم أسلحة الانتفاضة الأولى - إلى ساحة المواجهة الفلسطينية الإسرائيلية، بعد تراجعها خلال السنوات العشر الماضية.

وأجمع محللون فلسطينيون على أن هذه "الإستراتيجية" ذات جدوى سياسية أكبر من العمليات الفدائية التي تستهدف "أهدافا مدنية" داخل الدولة العبرية، وذلك على صعيد السياسة الدولية.

وينوه مراقبون للشأن الفلسطيني أنه بالرغم من أن الولايات المتحدة أبدت الأربعاء 28 - 6 - 2006 تفهمها للهجوم الإسرائيلي على قطاع غزة؛ فإنها - ومثلها فرنسا - امتنعت عن إدانة عملية أسر المقاومة الفلسطينية جندياً إسرائيلياً من أصول فرنسية بجنوب غزة الأحد الماضي، خلافا لما كان يحدث عندما يتعلق الأمر بعملية داخل الخط الأخضر ضد "مدنيين".

وبينما اكتفت واشنطن بالدعوة إلى الهدوء وحل الأزمة عبر المفاوضات، فقد شاركت باريس في مفاوضات مع الخاطفين لإطلاق سراح الجندي.

وفي تصريحات لشبكة "إسلام أون لاين.نت" على الإنترنت الأربعاء 28 - 6 - 2006.. أوضح إبراهيم أبو الهيجا - المحلل السياسي الفلسطيني، الخبير في شؤون الحركات الإسلامية - أن "أسر الجنود الإسرائيليين من قبل المقاومة كان إستراتيجية ثابتة خلال فترة الانتفاضة الأولى (1987 - 1994)؛ حيث شهدت العديد من محاولات أسر عناصر من قوات الاحتلال".

وأشار أبو الهيجا إلى أن "هناك عوامل أساسية تدفع المقاومة إلى اعتماد مثل هذه الإستراتيجية من جديد، منها: الأعداد الكبيرة من الأسرى الفلسطينيين الذين تحتجزهم إسرائيل في سجونها، والذين لا أعتقد أن إسرائيل يمكن أن تفرج عنهم بسهولة دون مقابل" مغرٍ؛ كاسترجاع جندييها الأسيرين.

واعتبر المحلل الفلسطيني أن هناك عاملا آخر يدعو إلى انتهاج إستراتيجية الأسر يتمثل في الموقف الدولي، وتحديدا الضغوط والإدانات الخارجية التي تفرض على المقاومة عند تنفيذها عملية فدائية ضد أهداف داخل إسرائيل باعتبار أنها تستهدف مدنيين.

واستطرد موضحا: "رغم أنه لا يمكن بشكل دقيق تصنيف الإسرائيليين بين عسكري ومدني؛ حيث إن الغالبية إما أنها تخدم في الجيش أو خدمت في الماضي، أو أنها من العسكريين الاحتياط؛ فإنه في حال أسر الجنود خلال خدمتهم يكون الهدف واضحا ولا جدال فيه".

وعن إمكانية تطبيق هذه الإستراتيجية بشكل مكثف على الواقع الفلسطيني كما هو الحال مع حزب الله اللبناني، أوضح أبو الهيجا أنه "إذا ما أدارت المقاومة القضية أمنيا وسياسياً بذكاء، وضمن جغرافية آمنة وشديدة السرية؛ فيمكن أن تتوج بتسجيل نجاح إستراتيجي، وهو الإفراج عن الأسرى".

لكنه رأى أن عدة عوامل تحول دون أن يشكل أسر الجنود أساس عمليات المقاومة الفلسطينية بشكل كامل على غرار حزب الله.

وأوضح أبو الهيجا قائلاً: "العامل الأول يتمثل في الطبيعة الجغرافية للأراضي الفلسطينية سواء بالضفة الغربية المحتلة أو قطاع غزة، والتي لا تساعد على سهولة إخفاء الأسرى عن عيون قوات الاحتلال، أو حتى إمكانية نصب كمين بهدف أسر أحد الجنود الإسرائيليين".

ونتيجة لاختلاف الواقع الجغرافي بين حالتي المقاومة الفلسطينية وحزب الله، دمرت القوات الإسرائيلية بسهولة منشآت البنية التحتية في القطاع فجر الأربعاء، قبل توغلها برياً داخل القطاع.

أما في حالة حزب الله؛ فإن الموقع الجغرافي له يتيح استخدام المضادات الأرضية للطائرات عند محاولة قصف أهداف في الجنوب اللبناني.

أما العامل الثاني – بحسب أبو الهيجا – فيتمثل في "وجود جملة من القضايا الأساسية في القضية الفلسطينية، والتي تحتاج لرد ومقاومة بأشكال مختلفة".

واستطرد موضحاً: "العدوان المتواصل، وكذلك تهويد القدس المحتلة، ومصادرة الأراضي وعمليات القصف، واستهداف المدنيين.. كل هذه الأحداث لا تسمح للمقاومة بالانتظار لفترة طويلة دون الرد عليها، وهو بالتالي ما يوجب على المقاومة استغلال أي فرصة كانت إذا ما أرادت إثبات وجودها".

ومتفقا مع ما طرحه أبو الهيجا، قال الدكتور عبد الستار قاسم – أستاذ العلوم السياسية بجامعة النجاح الوطنية –: "المقاومة الفلسطينية كان لا بد لها أن تبحث منذ زمن بعيد في آليات وطرق تطوير أسلوب أسر الجنود؛ لأن ذلك ضروري لتحقيق العديد من الأهداف".

واعتبر قاسم أن هناك اختلافاً بين تجربة حزب الله والمقاومة الفلسطينية في إمكانية أسر الجنود والحفاظ عليهم يتمثل في الخبرة والموقع الجغرافي.

وأوضح الخبير السياسي بقوله: "المقاومة الفلسطينية تعيش في ظل دولة احتلال؛ فهي على تماس وقرب جغرافي لا يمكن أن يتم البعد عنه بشكل كبير، كما أننا ما زلنا بحاجة إلى خبرة كبرى في هذا المجال، لا سيما أن خلايا المقاومة عندنا تتعرض لاستهداف بين الفينة والأخرى".

تاريخ تبادل الأسرى بين العرب وإسرائيل

لم تكن المطالبة الأخيرة بتبادل الأسرى مع حزب الله والفلسطينيين من جهة والكيان الصهيوني هي الصفقة الأولى، ولم يكن أسر حزب الله للجنديين الإسرائيليين آتيا من فراغ، وإنما من إستراتيجية ثابتة هي إستراتيجية توازن الأسر، وهي اللغة التي لا يفهم الكيان الصهيوني لغة غيرها.

وهنا نقدم سردا توثيقيا لعمليات تبادل الأسرى التي تمت بين الكيان الصهيوني من جهة والفلسطينيين واللبنانيين والدول العربية من جهة ثانية، بلغت عمليات تبادل الأسرى وجثث الجنود الإسرائيليين بين الدول والقوى العربية المختلفة وإسرائيل منذ حرب 1973 حتى الآن 15 عملية تبادل، وفي حالة قيام حزب الله بتبادل الجنديين الأسيرين مع المعتقلين اللبنانيين في سجون إسرائيل ستكون عملية التبادل رقم 16 في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي منذ عام 1973.

وكانت عمليات تبادل الأسرى وجثث الجنود بين إسرائيل والدول العربية والمنظمات الفلسطينية واللبنانية قد مرت بسلسلة طويلة من العمليات، فيما يلي أبرزها:

1. بعد شهر على حرب أكتوبر 1973 جرت أول أكبر عملية لتبادل الأسرى بين مصر وإسرائيل، بعدما أسرت القوات المصرية عدداً كبيراً من الجنود الإسرائيليين.
2. في 3 – 1974م أفرجت إسرائيل عن 65 أسيراً فلسطينيّاً مقابل إطلاق سراح جاسوسين إسرائيليين في مصر.
3. في 1 – 6 – 1974م أفرجت إسرائيل عن 25 أسيراً سوريّاً ومغربي واحد مقابل إطلاق سراح سوريا أسرى إسرائيليين غير معروفين.
4. في 6 – 6 – 1974م أفرجت إسرائيل عن 367 سوريّاً و10 عراقيين و5 مغاربة مقابل إطلاق سوريا لسراح 56 أسيراً إسرائيليّاً.
5. في 14 – 3 – 1979م أفرجت إسرائيل عن 76 فلسطينيّاً مقابل الجندي الإسرائيلي في قوات الاحتياط "أبراهام عمرام" الذي وقع في الأسر إبان عملية

اللبناني، بعد أن ضل الطريق وهو متجه إلى مدينة صور على يد الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، القيادة العامة منذ 1978م.

6. في 2 – 3 – 1983م أطلقت إسرائيل سراح 4700 من رجال المنظمات الفلسطينية من سجن أنصار في الجنوب اللبناني، و65 أسيراً من السجون الإسرائيلية، مقابل إطلاق سراح 8 جنود من قوات الناحال، أُسروا في منطقة بحمدون في لبنان في شهر أيلول عام 1982؛ أسرت حركة فتح ستة منهم، وأسرت الجبهة الشعبية (القيادة العامة) الاثنين الآخرين.
7. في 28 – 6 – 1984م أطلقت إسرائيل سراح 311 أسيراً سوريّاً مقابل 6 إسرائيليين في القنيطرة على هضبة الجولان في أكبر عملية تبادل للأسرى بين الجانبين منذ عام 1974م.
8. في 20 – 5 – 1985م أفرجت إسرائيل عن 1150 أسيراً فلسطينيّاً ولبنانيّاً، وعدد من الأسرى العرب مقابل الإفراج عن 3 جنود إسرائيليين "حزاي يشاي" و"يوسف غروس" و"نسيم سالم"، أسروا في لبنان على يد الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (القيادة العامة) بزعامة أحمد جبريل. وقد استمرت المفاوضات بين الجانبين نحو ثلاثة أشهر.
9. في 10 – 9 – 1985م أفرجت إسرائيل عن 119 لبنانيّاً معتقلين في سجن عتليت؛ ليرتفع بذلك عدد الأسرى العرب المفرج عنهم منذ 4 – 6 – 1985م إلى 1132، وذلك مقابل إطلاق سراح 39 رهينة أمريكية كانوا محتجزين على متن طائرة بوينغ أمريكية تابعة لشركة "تي دبليو آي" في حزيران من العام ذاته.
10. في 11 – 9 – 1991م أفرجت ميليشيا جيش لبنان الجنوبي عن 51 معتقلا لبنانيّاً من سجن الخيام، وقامت إسرائيل بتسليم رفات 9 مقاتلين من حزب الله.
11. في 13 – 9 – 1991م سمحت إسرائيل بعودة النقابي الفلسطيني المبعد علي عبد الله أبو هلال، واستردت في المقابل جثة الجندي الدرزي سمير أسعد الذي أسرته الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين في عام 1983. وكانت السلطات الإسرائيلية قد أبعدت "علي" عام 1986.

12. في 21 – 10 – 1991م أفرجت منظمة الجهاد الإسلامي لتحرير فلسطين عن أستاذ الرياضيات في الجامعة الأمريكية في بيروت "جيسي تيرنر" 44 عاماً في مقابل أن تطلق إسرائيل سراح 15 معتقلا لبنانيًا، بينهم 14 من سجن الخيام.

13. في 1 – 7 – 1996 سلمت إسرائيل 123 جثة لرجال منظمات سقطوا في اشتباكات مع القوات الإسرائيلية إلى السلطات اللبنانية مقابل استعادتها جثتي الجنديين رحاميم الشيخ ويوسف بينيك. وأطلقت منظمة "حزب الله" في إطار هذه الصفقة سراح 19 جندياً لحديًا، وأطلقت القوات اللحدية سراح 20 أسيراً من منظمة "حزب الله".

14. في 25 – 6 – 1998م قامت السلطات الإسرائيلية بإعادة 40 جثة لشهداء لبنانيين خلال عملية تبادل للجثث، تمت بين إسرائيل ومنظمة حزب الله، تم بموجبه تسليم رفات الرقيب "إيتامار إيليا" من وحدة الكوماندوس في سلاح البحرية في القسم العسكري في مطار اللد، مقابل إطلاق سراح 60 أسيراً لبنانـيًا (10 من السجون الإسرائيلية، و50 من سجن الخيام التابع لجيش لحد الجنوبي) و40 جثة لشهداء لبنانيين.

وقد تم إخراج 38 جثة من المقابر، وجثتين من مشرحة أبو كبير؛ إحداهما جثة هادي نصر الله نجل الأمين العام لحزب الله حسن نصر الله، وتشير مصادر مطلعة إلى أن الجثث التي أخرجت من مقبرة جسر "بنات يعقوب" أخرجت من ثلاث مناطق في المقبرة، وهي الجنوبية التي تبدأ بالأرقام من 122، والغربية التي تبدأ من 272، والجنوبية الشرقية التي تبدأ أرقام قبورها من 412 فصاعداً.

15. في 29 – 1 – 2004 أفرجت إسرائيل عن مجموعة من الأسرى اللبنانيين والفلسطينيين، مقابل إفراج حزب الله عن "رون أراد" وجثث جنود إسرائيليين آخرين، وقد أفرجت إسرائيل عن 32 أسيرا (22 لبنانيا و10 عرب) كانوا أمضوا أعواماً طويلة في السجون الإسرائيلية، في إطار أكبر صفقة تبادل بين "حزب الله" وإسرائيل بعد مفاوضات رعتها ألمانيا، استمرت نحو 40 شهراً من

"القتال" بالشروط والشروط المضادة. وكان في مقدمة الأسرى المحررين الذين أطلوا على الطوفان البشري الذي جاء لاستقبالهم الشيخ عبد الكريم عبيد والحاج مصطفى الديراني.

بعد هذه الصفقة الأخيرة وعدت إسرائيل بالإفراج عن عميد الأسرى اللبنانيين في السجون الإسرائيلية "سمير القنطار"، وعدد آخر من الأسرى اللبنانيين والفلسطينيين، ولكن إسرائيل أدارت ظهرها لوعودها التي قطعتها للوسيط الألماني، ولم تعد تفكر في الإفراج عن أي أسير لبناني أو فلسطيني.

الفصل الثاني

كسر إرادة حزب الله
وشرق أوسط جديد

قلنا إن الصيف على الصعيد اللبناني الفلسطيني الإسرائيلي كان الأكثر سخونة منذ سنوات، والذي أرادته إسرائيل ماطراً، فحولته المقاومة الفلسطينية إلى وهم متبدد، وأراد حزب الله أن يجعل كل وعوده في مقاومة المحتل صادقة، فبدءا من يوم الأربعاء 12 يوليو 2006 دخل حزب الله ساحة القتال ضد الاحتلال الإسرائيلي الذي كان غارقاً في حربه على الفلسطينيين لكسر إرادتهم، فقام رجاله بالقيام بعملية نوعية أطلق عليها "الوعد الصادق" داخل العمق الإسرائيلي، أسفرت عن أسر جنديين إسرائيليين، وقتل ثلاثة جنود آخرين، وجرح 21؛ وذلك لتخفيف الضغط الذي تفرضه الدولة العبرية على الفلسطينيين بعد خطف المقاومة الفلسطينية جندياً إسرائيلياً، ورفضها إطلاق سراحه إلا في صفقة لتبادل الأسرى.

واللافت، من وجهة نظر بعض المراقبين، هو دوافع اختيار نصر الله لهذا التوقيت بالذات للقيام بهده العملية. والتفسير الأكثر شيوعاً هو أن "حزب الله" أراد بمهاجمة إسرائيل الآن من الجبهة الشمالية إيجاد تخلخل قطاعي في جيشها تخفيفاً للضغط على "حماس" وغزة، ولتبديد الجهد الإسرائيلي في عملية "أمطار الصيف"، وأيضاً لمبادلة أسرى "حماس" والأسرى اللبنانيين بالجنديين الأسيرين.

أما الرد الإسرائيلي الأهوج بتدمير مرافق البنية التحتية اللبنانية، فالأرجح أنه جاء لتعزيز عوامل الاستياء في صفوف اللبنانيين من ممارسات "حزب الله" الفردية، و"انفلات سلاحه"، خاصة أن الموسم السياحي والاقتصاد اللبناني هما من دفع ثمن هذه العملية غالياً. وليس مستبعداً أيضاً أن قوة الرد جاءت لرفع العتب الداخلي الإسرائيلي عن رئيس الوزراء "أولمرت" وهو رجل مدني أدى خدمته العسكرية محرراً في صحيفة الجيش، ووزير دفاعه الرجل النقابي "عمير بيريتس" الذي لم يتجاوز في سلك الجندية رتبة نقيب.

هل الحرب لأجل الجنديين فقط؟!

وهنا يأتي السؤال المهم.. هل الحرب المفتوحة التى دفعت فيها إسرائيل بفلذات أكبادها وخيرة قوادها وجنودها كانت لأجل تحرير جنديين أسيرين لدى حزب الله فقط؟ وهل كل هذا الغطاء الأمريكي للاعتداءات الوحشية على الشعب

اللبناني كانت لدعم موقف إسرائيل لأجل تحرير هذين الجنديين فقط؟

الإجابة عن هذا التساؤل تأتي بالنفي بطبيعة الحال؛ لأن كلا من أمريكا وإسرائيل لهما أهدافهما من التخلص من حزب الله، وأن التخطيط لهذه العملية سبق القيام بها ربما بسنوات، وفيما يلي سنعرض لدوافع كل من الولايات المتحدة وإسرائيل لشن حرب كسر الإرادة على حماس في المقام الأول باعتبارها الطرف الأسهل، ثم حزب الله ثانيا، وهو ما أدركه حزب الله مبكرا؛ فأراد أن يأخذ بزمام المبادأة والمفاجأة وهما ركنان أساسيان في مبادئ الحرب الحديثة.

ومن أهم ما كتب حول التخطيط المسبق لهذه الحرب ما أوردته جريدة السفير اللبنانية التي نقلت عن صحيفة "سان فرانسيسكو كرونيكل" الأمريكية قولها إن الحرب التي تشنها إسرائيل براً وبحراً وجواً على لبنان، تم الإعداد لها منذ أكثر من عام. وذكرت أنه منذ إنهاء إسرائيل احتلالها للجنوب، وهي تراقب بحذر تعزيز حزب الله لوجوده العسكري في المنطقة؛ لذا، فإن جيشها كان مستعداً للرد فوراً على العملية التي أسرت المقاومة خلالها جنديين.

ويقول أستاذ العلوم السياسية في جامعة بار إيلان الإسرائيلية جيرالد ستاينبرغ إنه "من بين كل حروب إسرائيل منذ عام 1948 فإن هذه الحرب هي التي استعدت لها إسرائيل أكبر استعداد". ويضيف أن "التحضير بدأ عام 2000 مباشرة بعد الانسحاب الإسرائيلي، عندما بدا واضحاً أن المجتمع الدولي لن يمنع حزب الله من تخزين الصواريخ ومهاجمة إسرائيل" حسب قوله. ويضيف أنه "تقرر عام 2004 أن تستمر الحملة العسكرية (التي نختبرها اليوم) لحوالي ثلاثة أسابيع، كما أن الجيش الإسرائيلي تمرّن على الحملة مراراً، وعلى طول الحدود، خلال العام أو العامين الماضيين". وذكرت الصحيفة أنه منذ أكثر من عام، بدأ مسؤول عسكري رفيع المستوى تقديم الشروح إلى دبلوماسيين أمريكيين وغربيين وصحافيين ومراكز أبحاث، من أجل حبك تفاصيل الحملة.

وقد وزع المسؤول مهمات الحملة العسكرية على ثلاثة أسابيع: الأسبوع الأول يتركز على تدمير صواريخ حزب الله البعيدة المدى، وتفجير مراكز قياداته، واستهداف شبكات المواصلات والاتصال. وفي الأسبوع الثاني، يتحول التركيز إلى

الأمـــاكن الفـــردية التي تتواجد فيها قاذفات الصواريخ أو مخازن الأسلحة. أما في الأســـبوع الثالث، فتتدخل القوات البرية بأعداد كبيرة من أجل القضاء على أهداف اكتـــشفها الجيش خلال مهمات الاستطلاع، وذلك دون أي سيناريو لإعادة احتلال الجنوب على المدى البعيد.

موقع حزب الله على الأجندة الأمريكية

إن إلقـــاء نظرة سريعة على موقع حزب الله على الأجندة الأمريكية سيوضح إلـــى حد بعيد التواطؤ الأمريكي في حرب كسر الإرادة على حزب الله ولبنان، بل يجعلـــنا نـــتجاوز هـــذا الأمر للقول بأن هذا الوضع المهم لحزب الله على الأجندة الأمريكية جعل القوى العظمى تورط حليفتها في الشرق الأوسط إسرائيل في حرب دفعت ثمنها فادحا على المستوى المادي والمعنوي، بعد أن ضاعت هيبة مؤسستها العـــسكرية وانكـــشفت في أول اختبار عملي في ميدان للقتال مع قوة صغيرة لديها أبجديات العلم العسكري والتحرك الميداني على جبهات القتال.

وسنقوم باستقراء وضعية حزب الله المهمة على الأجندة الأمريكية من خلال ظاهـــرة جديـــدة تـــشهدها الحقبة الأخيرة في السياسة الأمريكية، متمثلة في التأثير الواضـــح لمراكز البحوث الأمريكية على صناعة القرار الأمريكي، وبخاصة فيما يـــتعلق بمـــنطقة الـــشرق الأوسط والعالمين العربي والإسلامي بعد انتهاء الحرب الباردة، وبعد 11 سبتمبر 2001 على وجه الخصوص.

هـــذه المراكز البحثية يطلق عليها في الأدبيات الغربية اسم "دبابات الفكر Think Tanks" وهي تعج بجيش من المفكرين الذين احترفوا تهييج القوة الأمريكية واســـتثارتها حتـــى تندفع أبعد كل يوم على طريق الحرب، للدرجة التي جعلت مجلـــة "الإيكونوميست" الشهيرة تقول في إحدى افتتاحياتها تعليقاً على نفوذ هذه المراكـــز: "إن أحـــدا لـــم يعد في مقدوره أن يناقش هذه المراكز البحثية التي أصبحت بذاتها حكومة الظل في أمريكا، بل وتأكد أنها الحكومة الخفية الحقيقية التـــي تـــصوغ القـــرار الـــسياسي وتكتبه، ثم تترك مهمة التوقيع عليه للرئيس ومعاونيه الكبار في الإدارة".

فـــي توصـــيات اللجنة الرئاسية لمعهد واشنطن 2005، ومجموعة الدراسات التـــي أعدت وصدر بعضها في مارس 2005 كتوصيات ملزمة للإدارة الأمريكية الحالية، يحتل حزب الله المرتبة الأولى في لوحة أهداف الإدارة الأمريكية للسنوات الأربـــع القادمـــة. فقد تضمن التقرير – وفق الصحفي اللبناني ميخائيل عوض – فقـــرات عديدة توصي الرئيس بالاستيلاء على لبنان، عبر تركيز عملية الاستيلاء على الدولة، وكسبها كعنصر حاسم في تجريد المقاومة من سلاحها وقلب لبنان إلى الـضفة الأخرى، وصدر عن المعهد لشهر مارس 2005 عدة دراسات حول كيف يجب على الإدارة أن تتصرف لسحب السلاح، وسحق حزب الله ومقاومته وتدمير نموذجه.

فقـــد كـــتب ماثـــيوس ليفيت تحت عنوان "حزب الله وعلاقاته الدولية أحداث خاصـــة" دراسة "افتراضية" عن علاقات حزب الله بالمنظمات الدولية، والقوى التي تتهمها واشنطن بالإرهابية، ووسع دائرة البحث ليتهم حزب الله بالعمل في مختلف قارات الكرة الأرضية، وخلص إلى اعتباره الخطر الأكبر والهدف الأول للسياسات الأمريكية في المرحلة القادمة.

وكتب إيلي كارمون تقريرا تحت عنون "حزب الله والحركة المناهضة للعولمة تحالـــف جديـــد" عـــرض فيه تصوره عن أن حزب الله دخل إلى حركة مناهضة العولمة، وتحول إلى عنصر جاذب ومحرك للكثير من القوى والفاعليات العاملة في هـــذا المـــناخ؛ ما يشكل خطرا على الإدارة الأمريكية وسياساتها، وعملية تطوير للحركة وحماية شعبية واجتماعية عالمية للحزب ودوره.

كما كتب إيلي كارمون دراسة أخرى تحت عنوان "القتال على كافة الجبهات حـــزب الله الحرب على الإرهاب والحرب في العراق" متهما حزب الله بلعب دور كبيـــر فـــي أحـــداث العراق من خلال علاقاته ومن خلال أدواته الإعلامية، وقوة نموذجه الذي تحتذيه كثير من القوى والمجموعات في العراق وفي مناطق عالمية أخرى تعتبر مناطق نفوذ ومصالح أمريكية وأوروبية.

وأخطـــر مـــا كتب في شأن حزب الله ما كتبه، ميشيل هيرزوغ تحت عنوان "لغـــز حزب الله" جاء في دراسته: على المجتمع الدولي أن يستثمر هشاشة الوضع

الداخلي الحالي في لبنان والضغط على الحزب، بما يتعلق بالإرهاب ونزع السلاح بدلاً من مجرد قبول قدرات التسلح الخطيرة التي يمتلكها.

وفـــي دراسته يقدم توصيفا للحزب وشبكاته الاجتماعية وحجم التأييد الشعبي وحرفيته في إدارة الملفات المختلفة، ويتهمه بأنه يخدم غايات إيران، ويعتبره عائقا أمـــام إمكانـــية تحقـــيق سلام إسرائيلي فلسطيني، إضافة لكونه عائقاً أمام الحملة الأمـــريكية من أجل الحرية والديمقراطية في الشرق الأوسط، ويصنفه بأنه الجهة الـــسياسية الأقـــوى في الحالة الشيعية، التي تشكل 35 – 40% من السكان، وبأن الـــشيعة غيـــر ممثلين بما يكفي في النظام السياسي اللبناني، ويفترض أن الحزب يمـــسك بمفـــتاح الوصـــول إلى أي اتفاق وطني مع المعارضة، وبأنه يتحكم بذلك بنتيجة الانتخابات، والحزب يعزز قوته السياسية، ويقول في دراسته إن الحزب بعد أن خرجت سورية ومن أجل تأمين نفسه وقوته سيصبح أكثر التصاقا بإيران، خوفاً مـــن مؤامـــرة تدميره، ويرفض الدعوات لنزع سلاحه، ويتوقع أن يستخدم الحزب قـــوته وقدراتـــه لتبديد أية قوة دولية ترسل من أجل نزع السلاح، ويفيد بأن أقوال وخطب السيد حسن نصر الله تدلل على أن نزع السلاح بقوة دولية غير واقعي.

ويفتـــرض ميـــشيل هيرزوغ أن حزب الله بعد مغادرة السوريين يستطيع أن يـــسلّح نفسه، من خلال شحنات أسلحة مباشرة من إيران، ويمكنه أن يهدد إسرائيل متحـــررا مـــن القبـــضة السورية الكابحة، وبأنه بات أكثر قدرة على تهديد العملية السلمية، وأنه في حال تدهور الأوضاع سيكون مستعدا لكونه القوة الوحيد والأكثر تنظـــيما وفاعلـــية، إلـــى توظيف قدراته في أزمات إقليمية محتملة عندما تتجاوز المـــصالح الخارجـــية الاعتبارات الداخلية كالنزاع مع إيران وقوى دولية أو زيادة حالة التوتر مع إسرائيل.

يجيب عن سؤال كيف نتصرف قائلاً:

يجب معالجة قدرات حزب الله التسليحية ضمن سياق تحرير ودمقرطة لبنان؛ فالطـــريق الأمـــثل للـــضغط عليه، هي تخييره بين الأجندة الداخلية وبين الأجندة الإقليمية، فإذا اختار الداخلية يجب كبحه والضغط عليه لنزع سلاحه، أما إذا اختار الإقليمية فعند إذن سوف يفقد الدعم الداخلي الحيوي وهذه توصيات البحث:

1. إنهـــاء الوجــود الإيراني المسلح، مع المعدات الثقيلة وسلاح الصواريخ لدى حـــزب الله عبر تطبيق 1559، والمرحلة التالية إنهاء ما تبقى لحزب الله من قدرات عسكرية.
2. الـــضغط علـــى ســـورية لوقـــف تسليح حزب الله، مباشرة أو عبر الأراضي الـــسورية، وبـــشكل متزامن يجب على المجتمع الدولي دراسة وضع مراقبين دوليين عند نقاط الدخول الحساسة إلى لبنان، على سبيل المثال: المجال الجوي الإيراني، والموانى البحرية، ونقاط العبور الرئيسية من سورية، وذلك لمراقبة الأشخاص وشحنات السلاح.
3. الاتحاد الأوروبي عليه أن يتصرف إيجابياً بخصوص تسليم حزب الله لسلاحه، وأن يتم وضعه على لائحة الإرهاب الأوروبية، وأن يمتنع الاتحاد من التعامل معه سياسياً، ووضعه أمام خيارات إما التخلي عن سلاحه أو العزلة.
4. تـــسليط الضوء، على أي نشاطات إرهابية مستمرة للحزب بما في ذلك تجنيد وتمويل وإرسال الإرهابيين إلى فلسطين.
5. يجـــب على المجتمع الدولي تنشيط المعارضة اللبنانية بما يتعلق بسلاح حزب الله، ويجـــب تشجيع المعارضة لوضع هذه المسألة على أجندة الحوار الوطني، خاصــــة فــــي هذه الفترة المصيرية، من مراحل الوحدة الوطنية اللبنانية، ومن أجـــل إظهـــار الثمن الذي يدفعه لبنان بسبب أعمال حزب الله قد يكون بإمكان المجـــتمع الدولي تقديم صفقة مساعدات هامة إلى لبنان مشروطة بتحقيق تقدم على هذه الجهة.
6. قـــد يقـــدم المجـــتمع الدولي صفقة مساعدات دولية لنشر الجيش في الجنوب، وتقـــوية الجـــيش، وزيادة الضغط الدولي الرامي إلى تحقيق ذلك، بحيث تكون مهمـــته التأكيد على السيادة، ومنع الهجمات عبر الحدود، إن هذا التحرك يلغي الـــسيطرة المسلحة لحزب الله على هذه المنطقة التي يمارسها بعذره التقليدي، وهو حماية لبنان من إسرائيل.

النتيجة: لا يمكن السماح ببقاء حزب الله كقوة مسلحة وغير حكومية، تدعيما للنظام الجديد قيد الولادة بفعل الحركة الديمقراطية والتحررية، الحركة الجديدة تمثل

شرائح بناءة في لبنان والشرق الأوسط، لحظات مصيرية للبدء بإنهاء محور التسلح الإيرانـــي لحزب الله، وإذا ما تم انتهاز هذه الفرصة فإن هذه اللحظة قد يكون لها أيضاً تأثير كبير على وضع إيران الإقليمي.

أمـــا إفـــي جوررييـــتش، فقد كتب تحت عنوان "منارة الضغينة داخل تلفزيون المنار التابع لحزب الله" يشرح خطر استمرار المحطة كقوة تأثير هائلة في صياغة الـــرأي العام ودورها وموقعها كمحطة تحتل مراتب أولى في العالم العربي وليس في لبنان فقط، ويقترح توصيات لإسكاتها بالقوة العسكرية، وبالإجراءات المختلفة

قمع الأمريكيين للإعلام الحر..
المنار نموذجاً

يأمـــر آفي جورريتش الرئاسة الأمريكية والمؤسسات المختصة للعمل بموجبها مع قناة المنار على النحو الأتي:

- لـــيس هـــناك إجـــراء مباشر لعدم توفر إمكانية المواجهة العسكرية المباشرة مـــن شـــأن إســـكات القناة، بشكل كامل (أي إنها الطريقة الفضلى لو توفرت الإمكانية).
- يجـــب علـــى وزارة المالـــية أن تـــضع المنار على قائمة العقوبات الخاصة بالإرهاب.
- يجـــب على واشنطن أن تطالب البنوك اللبنانية بحجز حسابات حزب الله وأي بنوك أخرى.
- يجب اتخاذ إجراءات ضد أي مؤسسات مالية أمريكية تستمر في تقديم خدماتها للبنوك التي تخالف التعاليم.
- يجب على مركز ملاحقة الأصول المالية أن يبدأ بمراقبة بث المنار لحساباتها المصرفية المعلن عنها، وكذلك "الموجهة للداخل الفلسطيني".
- يجـــب أن تطـــبّق القوانين النافذة أو تسن تشريعات جديدة من شأنها أن تمنع الشركات الأمريكية من وضع إعلاناتها في أي وسيلة تابعة لحزب الله.

- يجـب الـبدء بحـوار مـع مسؤولي الاتحاد الأوروبي بخصوص الشركات الأوروبية التي تعلن بالمنار.
- يجـب تطبـيق القوانين وسن تشريعات تمنع الوسائل الإعلامية الأمريكية من شـراء مواد صحفية من المنار أو تقديم أي مواد، وتشجيع أوروبا على القيام بذلك.
- يجـب تطبيق القوانين النافذة ومنع المواطنين الأمريكيين والشركات من العمل مـع هيـئات مـشمولة على قائمة الإرهاب، وعلى الحكومة الأمريكية إغلاق مكتب المنار في واشنطن، وتوجيه التهم الجنائية ضد مديره.
- يجب التحقق من المؤسسات الأجنبية التي قدمت المساعدة بما في ذلك التدريب الإعلامي.
- يجـب حـث مقدمـي الحـزم الفضائية الأجنبية لإزالة محطة حزب الله عن شبكاتها.
- يجب الطلب من السلطات العراقية إبعاد مراسلي المنار من العراق.
- يجـب الضغط على مصر وإيران والأردن والإمارات من أجل إغلاق مكاتب المـنار، وعلـى بلجـيكا وفرنسا ومصر وإيران والأردن وكوسوفو والكويت والمغرب والمناطق الفلسطينية وروسيا والسويد وسوريا وتركيا والإمارات من أجل منع مراسلي المنار من إرسال الأخبار من أراضيهم.
- يجب على واشنطن بالتالي أن تكثّف جهودها من أجل تعديل أو إسكات رسالة المنار، وهنا فقط تكون الولايات المتحدة قادرة على اتخاذ طريقة جدية لمعركة الأفكار في الشرق الأوسط.

ويذكـر أن توصـيات معهـد واشنطن لشؤون الشرق تعتبر منذ عام 1991 بمـثابة إجـراءات إلـزامية لأي إدارة أمـريكية، وتجـد طريقها إلى التنفيذ حال صدورها.

فـي هذه التوصيات، التي أخذت عملياً طريقها إلى التنفيذ من قبل أن تصبح نصا، كما فعلت فرنسا، والاتحاد الأوروبي بمنع البث الفضائي للقناة على حزمها، والمضايقات التي يتعرض لها مراسلو المنار في أكثر من عاصمة، كما في التزام

الشركات الأمريكية والأوروبية بعدم التعامل الإعلاني أو الإعلامي مع القناة، تتبين بقـوة مـا هـي الوسائل المختلفة التي تعتمدها الإدارة الأمريكية لإسكات القنوات والأصـوات التـي لا تقـبل إملاءاتهـا ولا تنخـرط في مهمة الترويج لأهدافها ومشاريعها.

شرق أوسط منزوع
الديمقراطية والمقاومة!

مـن أهـم الكتابات التى فندت دوافع الإدارة الأمريكية لدفع إسرائيل لخوض الحرب المفتوحة ضد لبنان وتصفية حزب الله ما كتبه محمد جمال عرفة في شبكة إسـلام أون لايـن.نت تحت عنوان: "شرق أوسط منزوع الديمقراطية ومجرد من المقاومـة!"، والذي قال فيه: يبدو أن الولايات المتحدة عازمة على تشكيل تحالف حكومـي عربـي – أمريكـي لمـواجهة حركات المقاومة الشعبية ذات الصبغة الإسـلامية التـي تحـارب الهيمـنة الصهيو – أمريكية بعدما استلمت الراية من الحكومات الضعيفة المستسلمة للضغوط الغربية.

ويـبدو أنهـا قررت ضمن هذه الخطط أن تتخلى عن فكرة نشر الديمقراطية التـي دعـا إلـيها الرئيس بوش قبل أربع سنوات، وكانت تعني ضمنا التخلي عن أنظمة الحكم العربية الصديقة والضغط عليها رغبة في وصول قوى ليبرالية أخرى بديلـة للحكـم تنهي احتقان الشعوب ضد الغرب، لصالح هذا الحلف الأمريكي – العربي الجديد الرافض للمقاومة لكونها خطرا على الطرفين.

أمـا الـسبب الجوهري لهذا التغير الإستراتيجي في الموقف الأمريكي واستبدال فكـرة محاربة "المقاومة" بنشر الديمقراطية في التفكير الإستراتيجي الأمريكي، فيرجع بالدرجة الأولى لإدراك واشنطن أن الديمقراطية الحقيقية تأتي بالتيار الإسلامي المقاوم علـى عكـس المصالح الأمريكية، وأن العودة للاعتماد على الأنظمة الحاكمة القديمة المـستقرة المواليـة هـي السبيل الأفضل للحفاظ على المصالح الأمريكية الإقليمية، خـصوصاً بعـدما أصبحت هذه الأنظمة أكثر طوعا بعد درس التهديد بالتخلي عنها والضغط عليها لفترة زمنية طويلة نسبيا إبان نشر فكرة الديمقراطية.

بعبارة أخرى أصبح مفهوم "الشرق الأوسط الجديد" الذي تتبناه إدارة بوش ليس هو "الشرق الأوسط الكبير" الذي تفرض عليه الديمقراطية، وإنما شرق أوسط خالٍ من المقاومة وحركات التحرير المعارضة للأهداف الأمريكية – الصهيونية.

هذا باختصار المفهوم الذي تبلور على ألسنة المسؤولين الأمريكيين منذ اندلاع أزمتي غزة وجنوب لبنان، والذي أكدته وزيرة الخارجية الأمريكية رايس والرئيس بوش وأركان اليمين المتطرف في الإدارة الأمريكية، ضمن أفكارهم الجديدة المتخبطة لنشر الإمبراطورية الأمريكية والهيمنة على العالم وفرض مفهوم للاستقرار يتوافق مع المصالح الأمريكية.

معالم الخطة

فمعالم الخطة التي وضعتها الإدارة الأمريكية تتركز في التخلص من المقاومة في فلسطين ولبنان على محورين:

(الأول) بالقوة المسلحة من خلال دعم آلة الحرب الإسرائيلية، بل الضغط عليها لرفض وقف إطلاق النار وتمديد المعارك و"سحق" مقاومة فلسطين ولبنان.

و(الثاني) بالقوة الناعمة من خلال التحالف مع أنظمة الحكم العربية المؤيدة للسلام مع إسرائيل والمتحالفة مع واشنطن؛ لكي تتعاون مع الخطط الأمريكية في لجم المقاومة وتجفيف الينابيع حولها باعتبار أنها الوسيط بينها وبين الغرب.

ويمكن أن نستشف معالم أوضح لهذه الخطط الخاصة بحصار وضرب وسحق المقاومة من خلال:

1. رفض أمريكا – على عكس الرغبة الإسرائيلية بعد انتهاء ضرب الأهداف الأساسية في لبنان – وقف إطلاق النار وحرصها على تمديد فترة التلكؤ في وقف إطلاق النار لمدة أسبوع آخر؛ لكي تستمر الضربات العسكرية في لبنان أملاً في ضمان إضعاف عسكري أكبر لحزب الله قبل التفاوض، وكذلك اختطاف الجهود الدولية في الأمم المتحدة واجتماع دول الثماني الكبرى لوقف

إطلاق النار لحين تنفيذ تل أبيب الأهداف العسكرية المتعلقة بضرب حزب الله.

2. بعــد أن اشــتكى الإسرائيليون من صعوبة ضرب أهداف حزب الله العسكرية واخــتفاء أنصاره كالأشباح في أعماق الأرض، ذكرت صحيفة نيويورك تايمز في 22 يوليو 2006 أن إدارة الرئيس الأمريكي جورج بوش سارعت بإرسال قــنابل موجهة بالليزر "قنابل الأعماق" إلى إسرائيل التي طلبت الشحنة العاجلة الأسبوع الماضي عقب بدء حملتها الجوية في لبنان، وهي نحو 100 قنبلة "جي بــي يــو - 28" تزن 2268 كيلوجراماً، مصممة لتدمير التحصينات وموجهة بالليزر والأقمار الصناعية.

3. جــرى الترويج - عربيا وأمريكيا - على نطاق واسع أن هذه المقاومة لا تنفّذ ولا تخــدم الأهداف اللبنانية، ولكنها تخدم أجندة خارجية إيرانية وسورية على حــساب لبــنان، ومــن ثــم فهي ليست مقاومة وطنية ولا تضع في حساباتها الخسائر البشرية اللبنانية، ولكنها تعمل لحسابها الخاص.. وآخر ما قيل في هذا الــصدد علــى لسان الرئيس بوش: "إن ممارسة حزب الله المتمثلة في إخفاء الــصواريخ فــي أحــياء مدنــية سعيا لتقويض ديمقراطية الحكومة المنتخبة ديمقــراطيا أظهــرت أن حزب الله ليس صديقا للبنان.. إن حزب الله عرض للخطر خطوات التقدم الهائلة التي حققها لبنان من خلال أفعاله.. وخان الشعب اللبناني".

4. ألمحــت قناة "فوكس نيوز" الأمريكية التي تعبّر عن تيار اليمين المتطرف في إدارة بــوش إلى أن الولايات المتحدة تشارك في التخطيط للعمليات العسكرية التي أطلقتها إسرائيل في لبنان، ما أزعج المسؤولين الأمريكيين، فسارعوا على لسان الناطق باسم البيت الأبيض "طوني سنو" لنفي هذا، والقول: "نحن لا نقوم بالتخطيط العسكري مع الإسرائيليين.. قلنا لهم إن عليهم التحلي بضبط النفس، بــيد أن الظــروف يجــب أن تتغير؛ إذ لا يمكن السماح لحزب الله بإضعاف الحكومة في لبنان، وبزعزعة استقرار المنطقة". وعاد سنو للقول لقناة "إن بي ســي" مجــددا إن الــولايات المتحدة "لا تقوم بالتخطيط أو بتدريبات عسكرية مشتركة مع إسرائيل"!

معالم الشرق الأوسط الجديد

كـــان التصور الأمريكي الأول بخصوص "الشرق الأوسط الكبير" يقوم على فكرة التخلص من الحكومات الديكتاتورية عبر فرض نموذج الديمقراطية والحريات الغربية؛ أملا في وصول قوى ليبرالية موالية للغرب، بيد أن هذا التصور اصطدم بعـــدة عقبات، خصوصاً في ظل بقاء الانحياز الأمريكي الأعمى لإسرائيل، أبرزها صعود التيار الإسلامي من جهة، وتضرر المصالح الأمريكية الإقليمية نتيجة فتور التعاون مع الأنظمة القديمة التي كانت تسهر على خدمة هذه المصالح.

ولهذا بدأ التخلي الأمريكي تدريجياً عن فكرة نشر الديمقراطية، وتفريغ مفهوم الـــشرق الأوسط الديمقراطي من مضمونه الحقيقي الأول وهو الديمقراطية بدعوى أن القـــوى الإســـلامية المتطرفة (خصوصاً حركات المقاومة) تسعى لتقويض هذه التجـــربة الديمقـــراطية واختطافها لصالحها، والتركيز على محاربة هذه المقاومة، وإقـــناع الأنظمة العربية القديمة بالمشاركة في هذه المعركة، باعتبار أن المقاومة خطر على الأنظمة وأمريكا معا!

أمـــا الهـــدف الحقيقي لهذه الخطة فهو الوصول إلى شرق أوسط جديد تهيمن علـــيه إســـرائيل وتقوده بالوكالة عن واشنطن، مع القبول بدولة فلسطينية صغيرة منـــزوعة الـــسلاح ومقسمة جزأين، وتعيش جنبا إلى جنب مع الدولة الصهيونية، ونزع سلاح المقاومة ووضعها تحت إمرة الحكومات المتعاونة مع مشروع الشرق الأوسط الأمريكي الجديد.

ولهذا يلاحظ أن التحرك الأمريكي – ضمن خطة تصفية المقاومة عقب حرب لبـــنان – تركـــز علـــى إنعاش الدور المصري في الوساطة مرة أخرى في قضية الجـــندي الإســـرائيلي المخـــتطف في غزة لإنهاء هذه القضية مقابل وعد للرئيس الفلـــسطيني عباس والرئيس المصري مبارك بإطلاق سراح بعض قدامى الأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية، بحيث يتم بهذه الصفقة حرمان "المقاومة" من قطف ثمار سلاح خطف الجنود الإسرائيليين وإلقاء الثمرة في يد "الدولة" الفلسطينية ورئيسها المتعاون وهدم حكومة حماس، فضلاً عن حرمان مقاومة لبنان "حزب الله" من الاستفادة من هذا الامتداد الجغرافي لقضية المقاومة وقصر الأزمة على لبنان.

إن جــزءاً مــن هذه الخطة ظهر في صورة لقاء وزيرة الخارجية الأمريكية رايس مع كل من المسؤولين المصريين في واشنطن – على هامش جلسات الحوار الإســتراتيجي بــين أمــريكا ومــصر – ومع رئيس الوزراء الإسرائيلي أولمرت والرئيس الفلسطيني عباس دون باقي الأطراف الفاعلة في لبنان أو سوريا.

أيــضاً تركّــز التحــرك الأمريكي على قمة روما والأطراف المشاركة فيها (الــولايات المــتحدة وفرنسا وبريطانيا ولبنان والاتحاد الأوروبي وروسيا ومصر والــسعودية وإيطالــيا والأمم المتحدة والبنك الدولي) لبحث قضية لبنان من زاوية محــددة تــتعلق بتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم 1559 الذي ينص على نزع سلاح حــزب الله وإبعاده عن الجنوب، ونشر قوات دولية "فاعلة" ومسلحة تمنع تنفيذ أي عملــيات عــسكرية ضد إسرائيل مستقبلا، والتعامل مع الحكومة اللبنانية بسياسة الجــزرة (امتداح رئيس الوزراء) والعصا (رفض وقف إطلاق النار قبل اضطلاع الحكومة بمسؤولية الأمن في الجنوب ونشر قوات حكومية).

ولأن الحــرب البــرية خطرة جداً على الإسرائيليين الذين باتوا يبحثون عن تحقيق أي إنجاز ينهون به الحرب ويحافظون به على ماء وجههم، فالتوقعات ربما تــرجح تأجــيل الهجــوم البري لحين وصول قنابل الأعماق بشكل عاجل لضرب مخابــئ وملاجــئ حــزب الله أولا بالتزامن مع قدوم "القابلة" رايس للمنطقة لتقود عملــية المخــاض والولادة الصعبة للشرق الأوسط الجديد بطرح فكرة نشر قوات دولية في الجنوب.

فقــنابل الأعمــاق الموجهة أشبه ما ستكون بالمشارط الجراحية التي ستقدمها القابلة رايس قبل إجراء الولادة لمشروع الشرق الأوسط الأمريكي الجديد، وخطط نشر القوات الدولية ستكون هي العلاج لخطر حزب الله في الجنوب على إسرائيل، أمــلا فــي أن يخرج الجنين الجديد "الشرق الأوسط الإسرائيلي" أكثر تحصينا من بطش المقاومة في فلسطين ولبنان.

ولهذا قالت رايس: إن "ما نراه هنا هو آلام مخاض لولادة شرق أوسط جديد، ومهما فعلنا فيجب أن نضمن أننا ندفع باتجاه شرق أوسط جديد وليس باتجاه الشرق الأوســط القــديم"، وركــزت علــى التعاون مع الدول الحليفة (مصر والسعودية

والأردن) لـــنجاح عملـــية الـــولادة، بحـــيث تتمكن من التأثير على سوريا وإيران المتهمتين برعاية حزب الله.

مستقبل الخطط الأمريكية

ولأننا اعتدنا مؤخراً على خطط أمريكية غير إستراتيجية أو تحمل أفقا واعيا، بـــل خططـــا مـــرتبكة ولـــيدة اللحظة، وتتجاهل الأطراف الفاعلة في الأزمات، فالمؤشـــرات تكاد تجزم بفشل خطة الولادة الأمريكية الإجبارية لشرق أوسط خالٍ مـــن المقاومـــة، ليس فقط لأن أطراف اللعبة الحقيقيين (إيران وسوريا وحزب الله وحماس)، لا يشاركون فيها وجرى استبعادهم قسراً، ولكن لأن أوراق اللعبة نفسها تغيّرت وبات في يد المقاومة القدرة على توازن الرعب والقوة مع العدو الإسرائيلي والقدرة على إيذائه في العمق لأول مرة بعدما كانت المعارك تجري خارج أراضيه غالباً، بل إنه يجوز القول إن تفكيك أي حركة للمقاومة لا يعني إلا عودة ظهورها في شكل أكبر من التنظيمات.

ويبدو أن بعض معالم فشل هذه الخطة موجود بالفعل مثل:

1. هناك مؤشرات انكسار ومعنويات ضعيفة للقتال لدى الجيش الإسرائيلي، وهو ما عمّق الحذر الإسرائيلي من إمكان الوقوع في فخ الحرب البرية التي يريدها حزب الله، ومن خطر الوقوع في "فيتنام لبنانية" خصوصاً مع توقف الحياة في إســـرائيل والخـــسائر وعـــدم الاعتياد على العيش في المخابئ لفترات طويلة، وبالتالي الرغبة في وقف القتال وفق خطة دولية (ولو لم تنفذ)، ولكنها ستحفظ لحكومة أولمرت ماء وجهها.
2. إدارة الرئيس بوش تعاني من خسائر ومشكلات كبيرة في أفغانستان والعراق، وبعـــد احـــتلال دام عامـــين يتحدث الجيش الأمريكي عن خطر هجوم واسع للمقاومـــة فـــي العـــراق وأفغانستان على العاصمة(!)، وإذا أضيف لهذا النقد الواسع فشلها في إدارة الحرب على الإرهاب وخلق مساحات واسعة من العداء لأمـــريكا في الخارج، واقتراب انتخابات التجديد النصفي للكونجرس بعد ثلاثة أشـــهر، فـــستظهر خطة الشرق الأوسط الجديد أشبه بالتمنيات التي لا يسندها

واقع حقيقي، في ظل صمود حزب الله وعجز إسرائيل وأمريكا عن توجيه ما يصفونه بالضربة القاضية له.

3. تجاهل واشنطن للأطراف الفاعلة في سوريا وإيران وللمقاومة ذاتها وسيطرتها على الأرض؛ وبالتالي رفضها لنشر قوات دولية في الجنوب ما دامت المشكلة لم تحل ككل، يجعل خططها للعب في المنطقة أشبه بمباراة يقوم بها فريق واحد دون المنافس الفعلي، ولهذا يتوقع محللون أمريكيون مثل "جون ألترمان" الخبير في شؤون الشرق الأوسط في مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية، أن تتفاوض واشنطن مع سوريا مباشرة بحلول سبتمبر أو يبقى الوضع على ما هو عليه.

معالم الشرق الأوسط الجديد ربما تحمل مع ذلك - في نهاية الأمر - معالم أخرى مدمرة للمصداقية الأمريكية وللحكومات العربية التي ستتعاون مع الغرب لتنفيذها في ظل حالة الاحتقان والإحباط والثورة الشعبية المتزايدة على المظالم الأمريكية والإسرائيلية وصمت الحكومات، بل ربما تكون نتائجها على عكس التوقعات أو التمنيات الغربية تماما، بحيث تحل المقاومة محل الحكومات في حروب التحرير، ويتعاظم دورها ويتزايد الالتفاف الشعبي حولها، خصوصاً بعدما أثبتت تجربة المقاومة في فلسطين ولبنان - رغم محدودية قوتها - قدرتها على مقارعة الآلة العسكرية الصهيونية الضخمة.

أمريكا تورط إسرائيل في المستنقع اللبناني

بعد أن قامت الإدارة الأمريكية ببذل كافة جهودها لمنع وقف إطلاق النار بين إسرائيل وحزب الله وإفشال كل الوساطات الأخرى وآخرها مؤتمر روما الذي عقد يوم 26 يوليو 2006، قررت الحكومة الإسرائيلية برئاسة إيهود أولمرت إطالة أمد العمليات العسكرية حتى تحقق أهدافها.

ويبدو واضحاً أن الأيام القادمة سوف تحدد وجهة التحركات وطبيعة التغيير الذي سيرد على المعادلة الإقليمية بعد أن أعلنت وزيرة الخارجية الأمريكية

كونداليزا رايس عن بدء آلام مخاض لشرق أوسط جديد، فكلما طالت المعارك دون حسم وتواصلت الخسائر على الجانبين، أدى ذلك إلى تصاعد الضغوط الإسرائيلية الداخليـة مـن أجـل وقف الحرب واستكمال المهام عبر الدبلوماسية، وكلما حدث إنجاز عسكري إسرائيلي وضعفت مقاومة حزب الله تم التقدم في طريق تغيير كبير بالشرق الأوسط.

وإذا سـارت الأمـور في الاتجاه الثاني، فإن تغييرا سيحدث، بدءاً بالجنوب اللبنانـي ويطـول لبـنان كله، ثم يمتد إلى فلسطين، تمهيدا لإعادة تغيير المعادلة الإقليمـية بالكامـل علـى نحو يرتب لشرق أوسط جديد حسب التعبير الأمريكي، والذي سينهض على الاعتماد على نظم الحكم الموصوفة أمريكيا بـ "الاعتدال" مع انـتهاء الحديث عن الشرق الأوسط الكبير الذي يرمي إلى تغيير النظم القائمة عبر "الفوضـى الخلاقـة"؛ فالتعبيـر الجديـد/القديم أي الشرق الأوسط الجديد سيعتمد بالأسـاس على هذه النظم، مع التراجع التام عن أفكار الإصلاح والتغيير؛ فالهدف دعـم أنظمة الحكم "المعتدلة" والحفاظ عليها مع دعوتها إلى مزيد من التطوير على ما هو قائم.

الموقف الإسرائيلي الأولي

ورغم أن القراءة الإسرائيلية الأولى للرد على عملية حزب الله العسكرية التي وقعت يوم 12 يوليو 2006، وما أعلنه الأمين العام للحزب من الإفراج عن سجناء لبنانيـين وعرب كشروط لإطلاق الجنديين الإسرائيليين الأسيرين، كانت تعني في كـل الأحوال القيام بعمل عسكري بشن غارات جوية على مواقع الحزب بالجنوب اللبنانـي كمقدمـة ضرورية للرد يتبعها الدخول في مرحلة المفاوضات، فإن هذا الموقف الأولي قد تطور سريعاً نحو ضرب جوي للبنان كله.

فقـد أدركـت إسـرائيل إقليمـياً أن الدول العربية الرئيسية وتحديدا مصر والـسعودية والأردن لن تساند حزب الله لاعتبارات مركبة تتعلق برؤيتها للتسوية السياسية، ولدور الحركات الراديكالية في المنطقة، وأيضاً حسابات طائفية، إضافة إلـى تقدير هذه الدول للعواقب التي يمكن أن تترتب على تصاعد شعبية حزب الله فـي الـشارع العربي، وما يرتبط بذلك من تزايد للنفوذ الإيراني، على اعتبار أن

عملية حزب الله جاءت لخدمة حسابات تتعلق بالسياسة الإيرانية، ولا علاقة لها بالمصلحة اللبنانية.

ودوليا قدرت إسرائيل أن الولايات المتحدة ستمنع مجلس الأمن من إصدار أي قرار يدين الهجوم الإسرائيلي؛ فالفيتو الأمريكي سوف يتكفل بوأد أي محاولة من هذا النوع، وهو ما حدث بالفعل حيث استخدمت الولايات المتحدة حق النقض - الفيتو - لمنع صدور قرار يطالب بوقف إطلاق النار، بل إن وزيرة الخارجية الأمريكية أكدت مرارا معارضتها لوقف إطلاق النار، مشيرة إلى أن الوقت لم يحن بعد لبدء الجهود الدبلوماسية، وهو ما اعتبر ضوءا أخضر لإسرائيل لمواصلة العدوان حتى تحقق الهدف المنشود، وهو تقليص قدرات حزب الله العسكرية على النحو الذي ييسر سبل تطبيق القرار 1559. أما القوى الدولية الكبرى الأخرى وتحديدا الاتحاد الأوروبي وروسيا الاتحادية والصين الشعبية فقد قدرت إسرائيل أن مواقفها لن تخرج عملياً عن التوجه الأمريكي.

وعلى الصعيد اللبناني تقول القراءة الإسرائيلية بأن سلاح حزب الله بات مطروحا على مائدة التفاوض، وأن حزب الله يتهرب من بحث هذه القضية، وأن العملية التي قام بها وأسر من خلالها جنديين إسرائيليين تستهدف تغيير قواعد اللعبة على الساحة اللبنانية على نحو يعطي لحزب الله ثقلا أكبر، ويتمكن عبرها من الاحتفاظ بسلاحه ورفع الملف من مائدة الحوار الوطني اللبناني. ومن هنا خلص صانع القرار الإسرائيلي إلى أن القضية خلافية في لبنان، والانقسام كبير ولبنان لن يكون موحدا وراء حزب الله في أي معركة مع إسرائيل.

وبناء على هذه الاعتبارات مجتمعة فقد وضعت إسرائيل في الأسبوع الأول من بداية الحرب، وتحديداً في 17 يوليو 2006، خطتها العسكرية بخلق منطقة عازلة بجنوب لبنان تقدر ما بين 20 إلى 40 كيلومتراً، وضرب كل الأهداف التي قد تكون معبرا لإمداد حزب الله مجددا بالأسلحة من سوريا وإيران، وذلك لإنضاج الشروط السياسية لإعادة الجنديين الأسيرين.

أما سلاح حزب الله فقد قالت إسرائيل بأن تفكيكه يتم بموجب قرار الأمم المتحدة رقم 1559، وهو ما كان يعني ضمنيا أن إسرائيل سوف تعمل على

إضـــعاف حـــزب الله عـــسكرياً، وتـــدع تنفيذ القرار للمجتمع الدولي بعد أن تهيئ الظروف لذلك.

إن هذه الأهداف على كثرتها كانت تعني أن إسرائيل وفي كل الأحوال ستقوم بعملية عسكرية محددة الوقت، وإن لم يذكر هذا تحديدا، وكانت كذلك تعني أنه إذا أسفرت جهود الوساطة عن شروط مناسبة لإسرائيل، فإنها ربما تقبل بها، ومن هنا كان الإعلان بداية من وزيرة الخارجية الإسرائيلية تسيبي ليفني بأن إسرائيل ستقوم بعملياتها العسكرية جنبا إلى جنب مع الجهود الدبلوماسية لإنهاء الأزمة.

بكلمـــات أخـــرى، رأت إسرائيل أن الظروف المحلية (اللبنانية والإسرائيلية) والإقليمـــية (العـــربية) والدولية مهيأة تماماً لإعادة صياغة المعادلة الثنائية بالكامل بينها وبين حزب الله على نحو يحقق حلاً جذرياً للوضع على الحدود الشمالية.

إسرائيل والشرق الأوسط الجديد

علـــى أن هذه المعادلة الثنائية قد انتقلت إلى معادلة إقليمية شاملة في الأسبوع الثاني من الحرب، وذلك بعد أن خرجت الولايات المتحدة بمشروع الشرق الأوسط الجديد.

ويـــبدو أن الـــولايات المـــتحدة قد أقنعت إسرائيل بأن هذه اللحظة تمثل قمة تحالـــف الدولتـــين معـــا مـــن أجل تغيير كل معادلات الشرق الأوسط، فشجعت الإســـرائيليين علـــى إنضاج فكرة الاجتياح البري وعلى المطالبة بوجود قوات من حلف الأطلسي تفصل بين شمال إسرائيل وجنوب لبنان.

الأكثـــر من ذلك أن الولايات المتحدة، وفي إطار اعتبارها الحرب على لبنان حربا على الإرهاب، تعهدت بتقديم كل أنواع الدعم السياسي والعسكري المطلوبين لإسرائيل من أجل القضاء على الوجود العسكري لحزب الله؛ فأمدتها بقنابل موجهة بالليزر تخترق تحصينات مقاتلي حزب الله، كما تكفلت الولايات المتحدة بإطلاق يد إســـرائيل دون أي قـــيود عبر التفنن في إجهاض كل الوساطات الدولية، ومنحت رايـــس أســـبوعا لإســـرائيل ينتهـــي في 20 يوليو من أجل إظهار قدر من الحسم العسكري.

من هنا دخل الأمريكيون والإسرائيليون في تحالف مباشر من أجل تنفيذ القرار 1559 عبر الآلة العسكرية الإسرائيلية المدعومة أمريكيا، وتعالت تصريحات الطرفين بإطالة أمد الحرب لأجل غير معلوم حتى يتم القضاء على حزب الله وعلى قدراته العسكرية، ثم إعادة تشكيل الداخل اللبناني باستبعاد حزب الله؛ وهو الأمر الذي جعل الإسرائيليين يغيرون من أهداف خطتهم العسكرية عبر محاولات اجتياح الجنوب اللبناني وبداية الحديث عن توغلات برية تصل لنحو 70 كيلومتراً، وكتهيئة للرأي العام الإسرائيلي للدخول في حرب مفتوحة، أعلن أولمرت أن الحرب قد تستغرق شهورا طويلة لحسم النتائج.

لقد رأت إسرائيل أن طريق الشرق الأوسط الجديد لا يغيّر فقط المعادلة الثنائية مع حزب الله، بل مع كل الأطراف الأخرى بالمنطقة حيث القضاء على حزب الله يقضي على آخر ورقة سورية، وينتزع ورقة كبرى من إيران التي تنادي بإزالة إسرائيل من خريطة العالم، ومن ثم التفرد فيما بعد بالقضية الفلسطينية دون وجود أطراف إقليمية معارضة أو متشددة.

وفي هذا السياق خرج قرار الكونجرس الأمريكي الذي يتأثر باللوبي اليهودي يحمل سوريا وإيران مسؤولية أطراف أخرى هي حزب الله وحماس "الإرهابيتان" عن الحرب الدائرة بالمنطقة، ويطالب بوش بالدعم الكامل لإسرائيل واتخاذ كافة الطرق للضغط على سوريا وإيران، ولم يكتف بذلك، بل امتدح إسرائيل التي تحاول التقليل من استهداف المدنيين.

وهكذا أخذت الأهداف الإسرائيلية مساراً آخراً، فشنت الحرب على كل لبنان، وبدأت خطواتها نحو الاجتياح البري، ووضعت أربعة شروط – تعجيزية – لوقف القصف والغارات هي: إطلاق سراح الأسيرين، إخلاء الجنوب من مقاتلي حزب الله الذي عليه أن يرحل إلى شمال نهر الليطاني، نشر قوات الجيش اللبناني في الجنوب، وتواجد قوات دولية أكبر عددا وأكثر تسليحا في المنطقة الفاصلة، وترى إسرائيل أن قوات حلف الأطلسي هي خير من يقوم بذلك الدور.

إن قبول حزب الله بهذه الشروط يعني نهاية وجوده العسكري وانتهاء دوره، إضافة إلى انتهاء الدور السياسي للأمين العام للحزب حسن نصر الله، وهو ما يقف

وراء تـشدد الحزب في رفض هذه الشروط، ورفضه الإعلان عن استعداده لقبول وقف غير مشروط للقتال، وهو ما يزيد الحزب مقاومة وإصرارا على تكبيد القوات الإسـرائيلية أقـصى الخـسائر الممكـنة؛ أملا في تحريك الرأي العام الإسرائيلي للمطالبة بوقف الحرب.

هل ينقسم الإسرائيليون؟

ومع تواصل الحرب التي شنتها القوات الإسرائيلية، وتوالي قصف حزب الله للمدن الإسرائيلية بالصواريخ، بدأت بوادر التباين في المواقف داخل إسرائيل؛ فقد بـدأ تـيار صغير ومحدود يتحدث عن مخاطر الانجرار إلى مواجهات برية تعيد إسرائيل مجددا إلى "المستنقع اللبناني". ولعل الانقسام الأبرز داخل إسرائيل قد دار حـول طبيعة الحرب التي تشنها إسرائيل حالياً على قوات حزب الله، فبينما أكدت القـيادة الإسرائيلية المدنية والعسكرية أنها تستهدف دفع مقاتلي حزب الله بعيداً عن الجنوب، إلى شمال الليطاني وتدمير قدراته الصاروخية، فإن أصواتاً أخرى عديدة بدأت تطالب بوقف الحرب والدخول في مفاوضات غير مباشرة لاستعادة الجنديين وبحث تطبيق القرار 1559.

فقـد حذر الكثير من المحللين الإسرائيليين من أن إسرائيل تدفع إلى مواصلة الحـرب مـن قـبل الإدارة الأمـريكية من أجل تنفيذ رؤية أمريكية عبرت عنها كونداليزا رايس عندما قالت إن ما يجري حالياً هو آلام مخاض ولادة شرق أوسط جديـد، ورأى بعض المحللين الإسرائيليين أن الحرب تجاوزت الهدف "الإسرائيلي" إلى تنفيذ رؤية أمريكية لا تصب بالضرورة في صالح إسرائيل.

حزب الله يجمد مشروع الشرق أوسطيين

ومـن أهم الكتابات الأخرى التى تناولت الأهداف الأمريكية من الحرب على لبـنان مـا كتبه الدكتور خالد محمد الأزعر على فضاء شبكة إسلام أون لاين.نت تحـت عنوان "حزب الله يجمد مشروع الشرق أوسطيين"، والذي قال فيه: لم يقتنع كثيرون بأن الحرب الإرهابية المفتوحة التي شنتها إسرائيل على لبنان، برّاً وبحراً

وجـوّاً، وأخذت فيها بمبدأ الأرض المحروقة، غداة عملية "الوعد الصادق" لحزب الله، هي مجرد عقاب يستهدف الانتقام من هذا الحزب واستعادة المؤسسة العسكرية لهيبتها الجريحة.

وقبل أن يتصاعد الجدل بشأن إمكانية نجاح هذه الحرب في تحقيق أهدافها المعلنة من جانب إسرائيل والتي يفترض أن تقضي على ما وصف بتغيير قواعد اللعبة مع حزب الله، وربما مع لبنان على حدودها الشمالية؛ إذ بوزيرة الخارجية الأمريكية كونداليزا رايس تفصح عما هو أعمق من ذلك.. فما يجري في لبنان بالنسبة لواشنطن هو "مخاض لولادة شرق أوسط جديد"!

بهذا التصريح، كشفت رايس بفجاجة تفتقر إلى الكياسة الدبلوماسية عما يفترض إخفاؤه من أهداف الحملة الإسرائيلية، وهو تغيير قواعد اللعبة ليس مع حزب الله ولا مع لبنان فقط، وإنما على الصعيد الإقليمي الأوسع: الشرق الأوسط برمته.

ونحسب أن أكثر المعنيين بتحري الأسباب الحقيقية لهذه الحملة الجبارة والمسعورة، لم يطمعوا في التوصل سريعاً إلى هذه النتيجة، فقد قصرت رايس الطريق أمامهم ووضعتهم في الصورة الشاملة لكُنْه ما يجري على الجبهتين الإسرائيليتين، الشمالية ضد حزب الله ومجتمعه، والجنوبية ضد حماس ومجتمعها، وما يجري هو أن الشرق الأوسط المطلوب – أمريكيّاً وإسرائيلياً – سوف يصبح سهل المنال بعد التخلص جذريّاً من قوى المقاومة المسلحة.

كأن لسان حال السياسية الأمريكية يقول بصيغة أخرى بأنه لا مكان لقوى الممانعة والمقاومة في الشرق الأوسط المزمع، جديداً كان أم كبيراً، وأنه طالما فشلت السياسات الالتفافية لإزاحة هذه القوى من الطريق عبر القرارات الدولية (كالقرار 1559) ومشروعات التسوية (كخريطة الطريق..) والضغوط المالية والسياسية (كتلك التي تمارس ضد حماس وعلى مؤازريها ومؤازري حزب الله الإقليميين: إيران وسوريا)، فليس من سبيل إلى تحقيق عملية الإخلاء والتطهير هذه سوى اللجوء للقوة العارية. هنا تبدو إسرائيل الحليف المتضامن بالأصالة والإنابة، الجاهز لأداء المهمة.

دحض نظرية المغامرة

من حيث لا تدري ولا تريد، قدمت رايس خدمة مجانية لحزب الله بالذات ولبقية قوى المقاومة العربية على المستويين الفكري والحركي بعامة.. فاستطرادها إلى الأبعاد الشرق أوسطية للفعلة الإسرائيلية الإرهابية، أعفى الحزب من الشروحات والدفوع التي خاض فيها مع المجادلين في حصافة عملية الوعد الصادق من جهتي التوقيت والمبادرة. وكان هؤلاء المجادلون قد أوشكوا على اكتساب أنصار لنظريتهم القائلة بأن الحزب إنما وقع في خطأ ظاهر جراء المبادرة بخطف الجنود الإسرائيليين، وعدم دقة حساباته لردود الأفعال الإسرائيلية التي جرت ويلات على لبنان، الشعب والدولة، وأنه يمارس أعمالاً أقرب إلى المغامرة والمقامرة منها إلى المقاومة الرشيدة.

المراد، أن رايس قدّمت تفسيراً لقسوة الحملة الإسرائيلية يتجاوز قضية الأسيرين، ويعزز صدقية الحزب بأن المسألة تتعدى الانتقام منه واسترداد الأسيرين إلى مصير الأمة العربية ونظامها الإقليمي وخرائط القوة والمكانات (جمع مكانة) في طول الشرق الأوسط وعرضه. ويمكن الاعتقاد باطمئنان إلى أن رايس أسهمت بتصريحها العابر حول قضية الأسيرين، بل حول الأهداف الإسرائيلية المعلنة ذاتها، في تبهيت وربما دحض نظرية "حزب الله المغامر المقامر" لصالح ما يقول به الحزب من أنه يقف في طليعة الذائدين عن حياض ليس لبنان الدولة والمجتمع فقط وإنما المصير العربي كله.

ولقد تعزز خطاب الحزب بهذا الخصوص أكثر وأكثر، بالنظر للتوسع الإسرائيلي في استخدام الآلة العسكرية ضد مكونات الدولة اللبنانية بلا استثناء.. فهذا التكتيك أكد الشكوك في أن الحزب هو المستهدف وحده، ووضع معظم خصوم الحزب المحليين ظهرهم إلى الحائط حتى إنهم تلعثموا عند محاولة إنكار تصرفات الحزب وخطواته الانفرادية.. كيف لا والمشروع المتوخّى يتعلق بما هو أبعد من حزب الله ولبنان؟!

وكذلك أسبغ التكييف الأمريكي للسلوك الإسرائيلي على حزب الله قوة مضافة تتعدى طاقته الذاتية ولم يَعُد خطاب الحزب وزعيمه عن الدور الملحمي الذي

يضطلع به مجاهدوه في صد الهجمة الشرق أوسطية، مجرد خطاب تعبوي دعائي يبغـي توسيع دائرة الأنصار، بل بات تعبيراً عقلانيّاً ومحسوباً عن واقع الحال وما ينتظـر المنطقة من مستقبل ومآل. ويصح القول بأن مساندة الحزب ولبنان الدولة والمجـتمع بـات مطلباً مُلحّاً، ولعلّه فرض عين أو على الأقل فرض كفاية، على مـنظومة تحـوي كـل العاملـين على صيانة النظام الإقليمي العربي، المناوئين للمـشروع الـشرق أوسطي البديل العاكف على أبواب العرب بالمعنيين النظامي والحضاري، المتطلعين لمنع استقرار السيادة والمكانة الأولى في العالم العربي بين يدي إسرائيل.

منازلة بين مشروعين

مما يقال في ذلك: إن التعجل الأمريكي في إظهار مكونات الحملة الإسرائيلية بـدا سلوكاً غبيّاً لا ينطوي على حكمة من يريد الاستفراد بحزب الله، وهذا صحيح إلى حد كبير.. ففي غمرة التصدي لهذه المكونات والنيات المعلنة والمبيتة، لم يَعُد مهمّـاً لـدى قطاعـات سياسـية وشعبية مدنية واسعة، دون استثناء بعض القوى الرسـمية عربيّاً، الاستغراق في التفصيلات التي ساقت إلى المعركة الجارية، وما إن كان حزب الله أخطأ أم أصاب. ما طغى وطفا على هذه التفصيلات هو القناعة بالـدلالات والمعاني الإستراتيجية العليا لصلابة هذا الحزب وصموده في المعركة، وبـشيء قلـيل من المبالغة، فقد أضحت هذه القطاعات ترى في دعم هذا الحزب وانتـصاره وفي الحد الأدنى منع الهزيمة عنه، حائلاً دون مرور المشروع الشرق أوسطي بعجره وبجره.

نـود الإشـارة إلـى أن حزب الله في معركته اكتسب جراء إطلالة الشرق أوسـطية والـشرق أوسـطيين، رمزية وطنية وقومية، ولا مانع من القول رمزية إسـلامية حضارية، عالية، رمزية لا تقل بالنسبة للمشروع التحرري العربي وصد الهجمـة الطغيانـية الأمريكية (الغربية)، قياسا بما تمثله إسرائيل من رمزية لدى القائمـين بهذه الهجمة. لا شيء يمنع هنا أيضاً من الاعتقاد بأن قطاعاً عريضاً من التـيارين القومـي والإسـلامي أصبح يستبطن النظر إلى حزب الله بصفته وكيلاً

ريادياً متقدماً لرؤاهم التحررية والتضامنية.. وهذا منظور يمكن مقارنته بالتكييف العربي العام للدور الإسرائيلي على الجانب الآخر من المواجهة.

وأغلب الظن، أن دحر حزب وإخراجه من المعادلة اللبنانية الإسرائيلية لموازين القوى، وبالتداعي إزاحته من مشهد المقاومين الممانعين للمشروع الشرق أوسطي سينظر إليه، ولعله سيكون حقاً، كدليل قوي على انكسار إرادة هؤلاء الممانعين ومشروعهم المقاوم المضاد لأجل يصعب تحديده.

وتقضي طبائع الأمور أن يكون عكس ذلك صحيحاً؛ فصمود الحزب واستعصاؤه على الانـدحار بالمفهوم الإسرائيلي سيعني طي الشرق أوسطيين مشروعهم إلى مناسبة أخرى في وقت آخر ربما كان بعيداً هذه المرة.

وتتعين ملاحظة الحيثية التي يدير بها الحزب معركته؛ ففي هذا الإطار التقطت قيادته بذكاء مدهش طرف الحبل الذي ألقته الهرولة الأمريكية الهوجاء خلف المشروع الشرق أوسطي وصلته بالحرب الدائرة في لبنان أو على الساحة اللبنانية، واستخدمته في خطابها لتجنيد الدعم الشعبي، والرسمي إن أمكن، خلف إستراتيجية المقاومة.. نلحظ ذلك في المساحة التي شغلها الحديث عن هذا المشروع ودوره في إشعال الساحة ومطاردة حزب الله بين يدي الإطلالة الإعلامية الثالثة للزعيم حسن نصر الله (منتصف ليل 26 يوليو 2006)، قياساً بإطلالاته السابقة.

ولا يقل عن ذلك استدعاء للاهتمام والتأمل مغزى الهرولة الأمريكية ذاتها على منظورات الدولة الإقليمية المركزية الداعمة لحزب الله وبقية قوى المقاومة، إيران وسوريا بخاصة؛ إذ لا بد أن تكون الإشارة الأمريكية حول دلالات المعركة المتفاعلة، ولا سيما صلة حزب الله بهذه الدول، حافزاً فاعلاً يدعوها لنصرة الحزب وتمتين ساعده وصولاً إلى عدم السماح بهزيمته على نحو قاطع، بمعنى أن هذه الدول صارت مدعوة أكثر لاعتبار هزيمة الحزب أو انتصاره المؤزر أو النسبي، تنطوي حتماً على نتائج سلبية أو إيجابية بالنسبة لمكانتها الإقليمية وخطابها السياسي وحدود نفوذها "الشرق أوسطي" مقارنة بإسرائيل.

بل لنا أن نتصور كيف أن دولاً عربية مركزية أخرى، من التي لا تستمرئ خطاب حزب الله ولا تنحاز إلى أهدافه ووسائله، ربما تأثرت بالمداخلة الأمريكية

- الإســرائيلية عــن الــشرق الأوسط الذي يصنع في لهيب الحرب على الحزب ولبنان، ولعلها تأبطت أو ستتأبط شراً من هذا التوجه، بما يسوقها إلى التخفيف من غلــوائها ضد هذا الحزب، صيانة لمكانتها في وجه التوحش الإسرائيلي المتربص وليس هياماً به.

انطلاقاً من هذا التحليل، يمكن تفهم التنظيرات والرؤى التي تتبصر تطورات القــتال الميدانــية فــي لبنان في ضوء تجلياتها وإشعاعاتها الإقليمية والدولية. هذه التنظيرات التي تدرج المنازلة الجارية على أنها جولة، قد لا تكون الحاسمة ولكنها مهمــة، مــن جــولات التدافع التاريخي المرير بين مشروعين ومستقبلين للمنطقة العربية.. مشروع أصيل وآخر وافد يروم فرض ذاته بالحديد والنار والدم.

ليست الجولة الأخيرة

وفي تقديرنا أن أخبار هذه التطورات لا تشي باحتمال تصفية حزب الله على قــياس الطمــوح الإسرائيلي أو الأمريكي الإسرائيلي المشترك. ولا تسمح عوامل كثيرة بالظن بأن الحزب بوسعه إيقاع هزيمة بائنة بإسرائيل. هذا يعني بغض النظر عــن التفــصيلات، أننا لسنا بصدد الجولة الأخيرة الفاصلة بين المشروعين، وأن محــصلة هــذه الجولة ستفضح بصورة قاطعة كم كانت الوزيرة الأمريكية، ومن خلفهــا دعاة الشرق أوسطية، متعجلين حين صرحوا أنهم إزاء ولادة هذا المشروع على وقع المعركة ضد حزب الله ومناصريه.

فــإذا كــان هــذا الحــزب أثبت بتكتيكاته وأدائه ميدانياً كم هو عصيّ على الانكــسار، وكم هو قادر على إيلام العسكرية الإسرائيلية، فإنه وأشياعه المباشرين وغير المباشرين سيظلون شوكة في حلق الفكرة الشرق أوسطية. لكن المدهش أن أصــحاب هذه الفكرة (المشروع) لا يملون الكمون ثم الإطلال على فترات زمنية مــتفاوتة.. وهكذا فإن علينا ألا نفترض أفول هؤلاء القوم ولا طي مشروعهم إلى الأبــد طالمــا أن هــزيمة نهائــية لم تحط بهم، وطالما أن الأمة العربية، بعمقها الحــضاري العربي الإسلامي، لم تلتقِ بشكل نهائي على المشروع البديل، مشروع المقاومة بمعناه الشامل.

على أن واحدة من فضائل صلابة حزب الله وصموده وأدائه في هذه الجولة، هـــي التعبيــر - المعمد بالدم والتضحوية الرفعية - عن حجم الممانعة التي تنتظر الـــبديل الـــشرق أوسطي المتضمن للهيمنة الإسرائيلية على العالم العربي وضفافه الإقليمـــية. ولـــنا أن نتخيل أي حجم ستصل إليه هذه الممانعة إذا ما قدر لقطاعات أوســـع مـــن الأمـــة، خـــارج الدائرة العراقية والفلسطينية واللبنانية، الاقتداء بهذه الـــصلابة وتعبيـــراتها. ولـــنا أن نتخـــيل عندئذ أي مصير ستلقاه الشرق أوسطية ودعاتها!

الفصل الثالث

صمود المقاومة
يكسر شوكة العدوان

أجهزت الحرب التي دارت رحاها في الجنوب اللبناني بين حزب الله وإسرائيل على كل ما كانت تدّعيه العسكرية الإسرائيلية من تفوّق نوعي وكمّي عن كل جيرانها العرب في مجال القوة العسكرية، للدرجة التي جعلت جنرالاتها يتفاخرون على الدوام بأنهم القوة الرابعة عالميا، وأن أي مواجهة مع أي دولة عربية ستحسم لمصلحة الجيش العبري في ظرف ساعات معدودات؛ وذلك لتطوّر السلاح الذي تقتنيه، ولكفاءة الكادر البشري الذي يستخدم هذا السلاح.

كل هذه الأوهام التي تجرعها جنرالات إسرائيل أمام شعبهم حتى الثمالة ذهبت أدراج الرياح أمام ميليشيا مقاومة غير نظامية، لا تصل قوتها بحال من الأحوال إلى صلب تنظيم فرقة مشاة في أي جيش نظامي عربي، وأحيل التفوق النوعي والكمي في العدة والعتاد العسكري وكفاءة المقاتل الإسرائيلي إلى فشل وعطب وبكاء، بعد أن عرفوا على أيدي حزب الله كيف تكون الحرب، بعد أن عرفوا للقتال فنونا تختلف عن تلك التي تعلموها في أكاديمياتهم العسكرية ذائعة الصيت، بعد أن فشلت نظرية أمنهم، وبعد أن طالت صواريخ حزب الله شرفات منازلهم وفي أعماق متفاوتة لديهم، وبعد أن فشلت كافة الفروع الرئيسية لجيشهم في تحقيق أهدافه؛ بداية من القوات البرية التي عجزت عن احتلال قرية صغيرة كـ "مارون الراس" و"عيتا الشعب" و"بنت جبيل"، وصولاً إلى قواتهم الخاصة والجوية.

موازين القوى مقابل موازين الإرادات

منذ بداية اندلاع المواجهات في الجنوب اللبناني بين مقاتلي حزب الله والقوات الصهيونية يوم 12 يوليو 2006، ولا حديث لوسائل الإعلام إلا عن قدرات حزب الله القتالية، على صعيد قوة تسليحه، واستعداده القتالي، ويلاحظ في هذا الشأن مبالغة الإعلام الإسرائيلي والمصادر الغربية في قوة حزب الله، والادعاء بأنه يملك ترسانة كبيرة من الصواريخ البعيدة المدى التي بإمكانها الوصول لتل أبيب والنقب في الجنوب، وكل هذا التضخيم في قدرات حزب الله وجناحه العسكري من قبل الإعلام الإسرائيلي والغربي يعود لإعطاء الدولة العبرية مبرراً قوياً لتصفيته

وتفكيكه على خلفية التهديدات القوية التي يسببها لحدودها الشمالية، وسنحاول رصد قـدرات حـزب الله القتالية التي أعلن الحزب نفسه عنها، أو التي تدّعي المصادر الغربية والعبرية امتلاكه لها.

أكثر ما كان يزعج الإسرائيليين في حربهم مع حزب الله ما يمتلكه من قدرات صاروخية مصدرها إيران بصورة رئيسية، ويليها سوريا، وما يجعلهم يتأكدون من وجـود هذه الترسانة اعتراف الأمين العام لحزب الله حسن نصر الله في 23 مايو 2006 بامـتلاك الحـزب لنحو 12 ألف صاروخ. ونقلت مجلة "جينز" الأسبوعية المتخصصة بشؤون الدفاع عن مصادر في أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية تقديرها بـأن حـزب الله يمـتلك ما بين 10 آلاف إلى 15 ألف صاروخ تلقاها من سوريا وإيران، ومن أهم الصواريخ التي تقول المصادر الغربية بأنه يمتلكها:

- صـواريخ **"كاتيوشا"**: معظم الصواريخ التي يمتلكها حزب الله من هذا النوع، الـذي يتراوح مداه بين 12 و22 كيلومترا؛ حيث أعلن الجيش الإسرائيلي أنه مـنذ بدء المواجهات في 12 يوليو سقط أكثر من 700 صاروخ كاتيوشا على المناطق الشمالية داخل إسرائيل.
- صواريخ **"فجر"**: وهي صواريخ كاتيوشا مطورة من قبل إيران، ويبلغ مداها ما بـين 35 و75 كيلومترا، وكانت مجلة "جينز" قد أشارت إلى امتلاك حزب الله لهذه النوعية من صواريخ.
- **صـواريخ "رعـد"**: وهي صواريخ إيرانية الصنع، وهي تقليد لصواريخ "فرو" الروسية، ويصل مداها إلى 70 كيلومترا. وقد أعلن تلفزيون "المنار" التابع لحزب الله، أن الصواريخ التي سقطت على حيفا هي من نوع "رعد 2" و"رعد 3".
- **صواريخ "زلزال"**: ذكرت مجلة "جينز" أن حزب الله يمتلك - فيما يبدو - 100 صـاروخ إيراني، من نوع "زلزال 1"، يبلغ مداها 150 كيلومترا تقريبا؛ وهو ما يعني أنه قادر على ضرب العاصمة الإسرائيلية تل أبيب.
- ونقلـت صـحيفة "هاآرتس" العبرية عن مصادر عسكرية إسرائيلية قولها: إن إيران زودت حزب الله بصواريخ "زلزال 2" التي قد يبلغ مداها 200 كيلومتر، إلا أن هـذا الـنوع من الصواريخ لا يصيب أهدافه بدقة؛ لأنه لا يحتوي على

أجهــزة تحكــم ذاتية تمكنه من تحديد الأهداف، وباستطاعة رأسه حمل مواد متفجرة قد تصل إلى 600 كيلوجرام.

وشــكك الخبير العسكري محمد علي بلال في دقة ما يقال عن امتلاك حزب الله لــصواريخ بعــيدة المــدى؛ لأنها تحتاج لمنصات إطلاق يصعب إخفاؤها عن إســرائيل، وبالتالي يسهل تدميرها، كما تحتاج هذه الصواريخ لأدوات توجيه معقدة ليس بإمكان الحزب امتلاكها. يأتي ذلك في الوقت الذي يقول فيه خبراء عسكريون إســرائيليون بامتلاك حزب الله 20 منصة لإطلاق صواريخ كاتيوشا بعيدة المدى، ويمــتلك الجــيش السوري 250 منصة أخرى، ويضيف الخبراء الإسرائيليون أن الخــط الصاروخي الذي يمتلكه حزب الله لا قدرة لأي مظلة إسرائيلية من التصدي لــه، خاصة أن الحزب نجح في مارس 2000 من إطلاق 100 صاروخ كاتيوشا دفعة واحدة، وهذا يفوق أي قدرة نارية لصده.

يأتي في الأهمية بعد القدرات الصاروخية لحزب الله قدرته على صعيد مواجهة القــوة الــضاربة للعدو الإسرائيلي المتمثلة في قواته المدرعة التي يعتمد عليها بشكل أساسي في حروبه البرية؛ لما تمتلكه من قدرة عالية على المناورة، وإنتاج كمية هائلة مــن النيــران وإصابة أهدافها بدقة، ناهيك عن توفير عنصر الأمان لطواقمها، وكان موقــع مجلة "جينز" على الإنترنت قد أشار إلى أن حزب الله يمتلك صواريخ مضادة للــدبابات روسية الصنع، من طراز (Sagger AT-3) و(Spigot AT-4)، كما أنه يمتلك صواريخ "تو" (TOW) الغربية الصنع.

ونجــح مقاتلو حزب الله في بداية المواجهات الأخيرة مع إسرائيل في تدمير عــدد مــن دبابــات "ميــركافا4" الإسرائيلية التي توصف بأنها الأكثر تطورا بين الــدبابات فــي العالم، وكانت إسرائيل قد أدخلتها الخدمة الفعلية منذ عامين، عقب نجاحها في اختبارات التقويم العملية التي أجريت لها في أثناء المناورات التي قامت بها التشكيلات المدرعة. وتتمتع "ميركافا4" بنظام تدريع متطور، وتستخدم ماسورة ملــساء عيار 120 مم قادرة على إطلاق قذائف موجهة، وتشير التقديرات إلى أن إســرائيل قــد أنتجت 1500 دبابة منها على الأقل، ولم تصدِّر الدولة العبرية هذه الدبابة إلى اليوم.

وأرجــع الخبيــر فــي الشؤون العسكرية رياض قهوجي – مدير عام مركز الــشرق الأدنى والخليج للتحليل العسكري، مدير مكتب مجلة "ديفنس نيوز" الدولية في الشرق الأوسط – نجاح حزب الله في تدمير "ميركافا4" لامتلاكه للصاروخ "تو" المضاد للدبابات من خلال إيران التي قامت بتطوير نظام صواريخ "تو" و"دراجون" الأمريكية عبر إضافة حشوة مزدوجة تمكّن الصاروخ من اختراق الدروع الجديدة والقوية في الدبابات.

وقال قهوجي: إن هذه التكنولوجيا ليست لدى حماس أو المنظمات الفلسطينية؛ لــذلك فــصواريخهم لــم تقــم بفاعلــية ضد الدبابات الإسرائيلية، بينما حزب الله صواريخه قادرة على اختراق المدرعات الحديثة وتدميرها ومنها دبابة "ميركافا4" المستخدمة في الحرب الحالية".

وأشــار إلــى أن إيران تصنع نسخا من الصواريخ الأمريكية من طراز "تو" و"دراجــون" تحت أسماء أخرى هي "طوفان" و"صاغي"، كما أنها تصنع صاروخا آخــر مضاداً للدبابات تحت اسم "رعد"، وهو نسخة من الصاروخ الروسي الصنع طراز "ساغر".

القــوات الجــوية هي الذراع الطولى لأي جيش نظامي؛ لما توفره من غطاء جوي للقوات البرية المتقدمة على خطوط النيران، أو لما تقوم به من خدمات جليلة للقــوات البــرية أيضاً على صعيد تدمير مراكز القيادة والسيطرة للعدو وتجمعاته واحتياطــياته في الخطوط الخلفية؛ وبالتالي شل حركته جزئيا، ناهيك عن اشتباكها جــوياً مع العدائيات الجوية التي تستهدف ضرب مواقع مؤثرة للقوات التابعة لها، وعلى هذا الصعيد تمتلك إسرائيل قوات جوية على درجة عالية من التطور.. فماذا يمتلك حزب الله؟

الإجابــة عــن هذا التساؤل جاءت على لسان حسن نصر الله في حديثه لقناة الجزيــرة الفضائية مساء الخميس 20 يوليو 2006؛ حيث أكد أنه لا يمتلك سلاحا جــويا، وأنـــه يتوعد الإسرائيليين في مواجهات البر، وكان لافتاً للنظر تأكيده على هذه النقطة، وكل ما ذكر عن امتلاك حزب الله لطائرات كان في عام 2004؛ حيث نقلــت صحيفة "الشرق الأوسط" اللندنية في العاشر من نوفمبر من العام نفسه عن

ضـــابط رفـيع في الحرس الثوري الإيراني أن طهران زودت حزب الله بطائرات بدون طيار إيرانية الصنع، من نوع "مهاجر 4".

وســبق أن أطلــق حزب الله هذه الطائرة فوق الحدود الشمالية لإسرائيل عام 2004، والتــي أطلق عليها الحزب اسم "المرصاد 1". وتحمل هذه الطائرة – وفق المصدر نفسه – ثلاث كاميرات ورادارا رقميا ونظام إرسال إلكترونيا، وهي قادرة علــى التحليق على ارتفاع أكثر من ستة آلاف قدم، وتصل سرعتها القصوى إلى حوالي 120 كيلومترا في الساعة، وتبلغ قوة محركها نحو 10 أحصنة. ولا تستبعد إسرائيل احتمال أن يحاول حزب الله اختراق إسرائيل من الجو، باستخدام طائرات شراعية على غرار ما فعلته جماعة فلسطينية عام 1987.

ويذكر أن خبراء عسكريين رجحوا قيام حزب الله بتدمير البارجة الإسرائيلية قــبالة ســواحل لبنان يوم 14 يوليو الجاري بواسطة هذه الطائرة، وليس بصاروخ إيرانــي الصنع من طراز "سي-802"؛ وذلك لصعوبة التحكم في توجيه الصاروخ أثــناء إطلاقه تجاه هدفه بعكس الطائرة. ونستطيع القول بصعوبة امتلاك حزب الله أي أنواع من الطائرات المقاتلة التي يحتاج طواقمها من الطيارين للتدريب المستمر جــواً، وهو ما لم ترصده أي جهة بالنسبة لحزب الله. ومن هنا كان كلام نصر الله للجزيرة واقعياً بخصوص عدم امتلاكه لقوة ردع جوية.

إذا كــان حــزب الله لا يمــتلك طائرات مقاتلة.. فهل يمتلك نظام دفاع جويا يضمن الحدود الدنيا من الإزعاج للطيران الإسرائيلي في المعركة؟ لم يعلن حزب الله عــن امــتلاكه أي صواريخ للدفاع الجوي، أو أي صواريخ مضادة للطائرات، غير أن صحيفة "الشرق الأوسط" اللندنية في 10 نوفمبر 2005 كانت قد نقلت عن ضــابط رفــيع في الحرس الثوري الإيراني أن طهران سلمت حزب الله صواريخ مضادة للطائرات مقلدة عن صواريخ "سام 7" الروسية، ولكنها أقل طولاً ووزناً.

وأفــادت صحيفة معاريف الإسرائيلية بأن هناك الآن مخاوف من احتمال أن يكــون حــزب الله قد تمكن من الحصول على صواريخ مضادة للطائرات. ونقلت الــصحيفة عن مصدر عسكري القول بأن إسرائيل تتوقع بعض المفاجآت التي يعد لها الحزب، وهناك مفاجآت لا تعلم بها على ما يبدو.

يحتاج جيش نظامي أو حتى ميلشيا مقاومة لجهاز استخباراتي قوي، يستطيع أن يجـند العملاء، ويرصد تحركات العدو، ويكتشف نواياه مبكرا، وكذلك يستطيع تحديد مجهوده الرئيسي بدقة في حال اندلاع المعارك، ومعروف أن إسرائيل تمتلك حـزمة أجهـزة الاسـتخبارات المخـتلفة أشهرها الموساد، وجهاز الاستخبارات العسكرية (أمان)، وجهاز الأمن العام (الشاباك).

ويمكنـنا القـول بـأن حـزب الله لديه هو الآخر جهاز استخبارات متفوق؛ فباعتـراف العديـد من المحللين والقادة الإسرائيليين استطاع الحزب تشكيل جهاز مخابرات معلوماتي معقد ومؤثر، مؤلف من مخبرين داخل المناطق المحتلة.

ويقـول الدكتور أحمد ثابت في مقالة منشورة له في العدد 98 من "مختارات إسـرائيلية": إن أكثـر عملـيات الاختـراق خطورة التي هزت الأجهزة الأمنية الاستخباراتية والمجتمع السياسي في إسرائيل تمثلت في الكشف عن خلية تجسسية على قدر عال من التنظيم تضم عشرة أفراد، كانت تعمل لحساب حزب الله اللبناني فـي سـبتمبر 2002 أيضاً، وقد أعلن أن أفراد الخلية من البدو الذين تطوعوا في الجيش الإسرائيلي، وينتمون إلى شمال فلسطين 1948، وعلى رأس هؤلاء ضابط برتبة مقدم يدعى "عمر الهيب"، وتم اتهامه بعمل علاقات وثيقة مع تاجر مخدرات لبنانـي يدعـى أبو السعيد القريب إلى حزب الله، حسب زعم مصادر جهاز الأمن العام (الشاباك)، وأن "أبو السعيد" طلب من عمر الهيب معلومات عن حجم انتشار الجـيش الإسـرائيلي علـى الحـدود مع لبنان، وفي منطقة مزارع شبعا وخرائط للمنطقة الشمالية، وكذلك معلومات عن تحركات قائد هذه المنطقة وكبار مساعديه.

وقـام الضابط الإسرائيلي فعلاً بتقديم المعلومات. وطُلبت معلومات أيضاً من هؤلاء عن خرائط لمزارع شبعا وجبل الشيخ وعن أجهزة اتصال خاصة يستخدمها الجنود الصهاينة على الحدود.

مفاجآت من العيار الثقيل

دفـع النـصر المعـنوي والمادي أو السياسي الإستراتيجي والعسكري الذي أحـرزه حزب الله في حرب دامت 34 يوماً مع إسرائيل إلى إخضاع كافة عوامل

وجـــوانب هذا النصر للدراسة والبحث، ومنها تسليح حزب الله. واكتشف العالم أن الحـــزب سلح نفسه بأسلحة ومعدات شرقية وغربية، وطور بطرق بسيطة، بعضها فـــيما يتصل بمداها ودقتها بما يتواءم مع متطلبات ومعطيات ظروفه، وانصبَّ في الـــبداية اهـــتمام وســـائل الإعلام على قدرات حزب الله الصاروخية، ومدى قدرة صواريخ الكاتيوشا المطورة على استهداف العمق الإسرائيلي، وأفاضت في وصف عناصر ترسانة الصواريخ التي يمتلكها مقاتلو المقاومة اللبنانية ورصد مصادرها، فيما خفت تسليط الضوء على باقي عناصر منظومة تسليح الحزب وعدته وعتاده، إلى أن وضعت الحرب أوزارها، أو حتى قبل نهايتها، بدأ يتكشف شيئاً فشيئاً جانب لا يـــستهان بـــه مـــن القدرات التسليحية غير المعروفة لحزب الله؛ فكانت بمثابة "مفاجـــآت تـــسليحية"، اتـــضح أنها أربكت بشدة الحسابات العسكرية الإسرائيلية، خصوصاً أن بعضها كان من العيار الثقيل.

وبدأت تتواتر التقارير الإعلامية التي تكشف النقاب عن أن مقاتلي حزب الله كانـــوا يـــستخدمون أسلحة موجهة بالرادار وبالليزر، وبعض تلك الأسلحة وصل تطويرها لدرجة دمج حاسب آلي بأجهزة تصويبها، وأنهم يستخدمون أجهزة اتصال ذات تشفير عالي المستوى.

وظهـــر جلـــياً أيـــضاً امتلاك حزب الله لمدافع "هاون" بكل عياراتها: الخفيفة والمتوسطة والثقيلة. وقد أدخل حزب الله عليها تعديلات تمثلت باستعمال الكمبيوتر فـــي تعـــديل إحداثيات القصف، بالإضافة إلى إقامة مرابض قابلة للتحرك لتجنب ضربها بالطيران.

وبحسب وصف أحد الخبراء العسكريين الغربيين فقوات حزب الله ابتدعت لنفسها طـــريقة وســـط بين الجيوش النظامية مثل الجيش الإسرائيلي والشكل المتعارف عليه للميليـــشيات المـــسلحة؛ فهـــي وإن لـــم تكن جيشا نظاميا – سواء في الشكل والأداء والتـــسليح؛ فهـــي لا تتسلح بأسلحة الميليشيات الكلاسيكية – فأفرادها يرتدون سترات واقـــية مـــن الرصـــاص، ويـــستخدمون مناظير الرؤية الليلة، ولديهم قاذفات هاون، ومضادات للطائرات وللسفن وللدبابات وللدروع وللأفراد، بل لديهم طائرات استطلاع يمكن تزويدها بشحنات متفجرة بحيث تقوم بمهمات قتالية هجومية أو دفاعية.

ويفسر ذلك تمكن حزب الله من إصابة البارجة الإسرائيلية "ساعر" بصاروخ سـي 802 المـضاد للـسفن، وهو صاروخ صيني الصنع إيراني التطوير موجه بالرادار ومزود بأجهزة تشويش تمكنه من الهروب من الصواريخ المعترضة. كما طـرحت بعـض وسـائل الإعلام أيضاً إمكانية تنفيذ المقاومة الإسلامية (الذراع العـسكرية لحزب الله) للهجوم على البارجة بواسطة طائرة استطلاع محمّلة بمواد متفجرّة أصابت السفينة.

وفـي حـال صـحة الفرضـية الثانية؛ فالطائرة التي يمتلكها الحزب تُسمّى "مرصـاد1"، وهي طائرة استطلاع بدون طيار أعلن الحزب تصنيعه لها قبل مدة، فـيما يرى البعض أنها من صنع إيراني وقد استخدمها الحزب مرّتين في الأعوام القلـيلة الماضية، وهي تتميز بانخفاض قدرة الدفاعات الجوية على رصدها؛ لأنها بطيئة وتطير على علو منخفض.

وكـان أمين عام حزب الله حسن نصر أكد في أواخر عام 2004 أن الحزب يملـك عـدة طائرات استطلاع "مرصاد - 1" قادرة على ضرب أهداف مدنية أو عسكرية في عمق العمق الإسرائيلي.

وقال نصر الله في خطاب ألقاه وقتها في مدينة بعلبك: "هذه الطائرة يمكنها أن تحمـل متفجرات زنتها بين 40 و50 كجم"؛ تأكيدا لما قالته إسرائيل آنذاك، وقال: "أعترف بصحة ما قاله رئيس الأركان الإسرائيلي؛ فالطائرات يمكن تحميلها بكمية من المتفجرات ما بين أربعين وخمسين كيلوجراما، وإرسالها إلى أهدافها".

وتابـع: "ليس لدينا طائرة واحدة فقط.. لدينا أعداد كافية، وقادرون أن نصنع مـنها ما نحتاجه"، وأضاف: "لا تصل (مرصاد 1) فقط إلى نهاريا شمال إسرائيل؛ بل إلى عمق العمق، إلى محطة كهرباء أو ماء أو قاعدة عسكرية".

وقـال نـصر الله في خطابه أيضا: "نحن الآن لا نملك فقط إمكانية مواجهة الخرق الجوي؛ بل أيضاً إمكانية أن نرد على أي عدوان جوي بمواجهة وعمل من الجو". ثم قال في ذلك الوقت: "لن نستخدم (مرصاد 1) في البداية لعمل حربي؛ بل فقط لمواجهة الخروقات، لكن عندما يتعرض بلدنا للعدوان سنستخدم أي طاقة وأي قدرة وأي إمكانية لدينا".

وفي المقابل، لاحظ بعض العسكريين وجود ثغرة كبيرة في تسليح حزب الله، تتمثل في عدم امتلاكه السلاح المضاد للطائرات، وتجلى ذلك حين تم ضرب المربع الأمني الذي يضم المقرات القيادية للحزب في الضاحية الجنوبية لبيروت على مدار 4 أيام، ولم يبادر إلى إطلاق أي قذيفة مضادة للطائرات.

وبالرغم من ذلك نجح حزب الله نسبيا في تحييد الطيران الحربي الإسرائيلي؛ حيث استطاع أن يفرض أسلوب القتال على مسافات قريبة إلى درجة حرمت العدو من ميزة استخدام مروحياته ومدافع دباباته خوفا من إصابة جنوده. لكن هناك مصادر عسكرية أخرى ترى أن ترسانة الحزب لا تخلو من مضادات أرضية، سواء كانت مضادات صاروخية أو مدفعية صاروخية.

فقد ذكرت مصادر في حزب الله أنه سيدخل المعركة لأول مرة أسلحة مضادة للطائرات، رفض الكشف عن ماهيتها، لكن يرجح عسكريون أنها صواريخ ستينجر (Stinger) الأمريكية التي تطلق من على الكتف، والتي كانت حاسمة في إيقاع الهزيمة بأكبر جيش في العالم إبان الغزو السوفيتي لأفغانستان؛ حيث حصلت إيران على عدد من هذه الصواريخ من أفغانستان بعد سقوط نظام طالبان إثر الاحتلال الأمريكي لها، وعلى عدد آخر مشابه لهذه النوعيّة من مخازن العراق العسكرية بعد سقوط بغداد بيد الأمريكيين، ويرجح أن إيران قامت بتمرير هذه الأسلحة إلى حزب الله.

ومن المرجح أيضاً أن لدى الحزب صاروخ إيجلا (Igla) روسي الصنع، طراز أرض جو، ويُطلق عليه أيضاً اسم "SA-18"، وهو من فصيلة صواريخ "سام" المضادة للطائرات، ويُطلق من على الكتف أيضاً، ويمتلك هذا الصاروخ رأسا متفجرة بوزن 2 كجم، ويبلغ مداه حوالي 5 كم، وأعلى ارتفاع يصل له هو 3.5 كم. وكانت سوريا حصلت على هذه الصواريخ من روسيا في السنوات القليلة الماضية، وهناك معلومات عن إمكانية حصول الحزب عليها في الفترة ما بين 2002 – 2005.

وكان مقاتلو حزب الله استطاعوا خلال الحرب إسقاط مروحية هليكوبتر من طراز "سيكورسكي سي إتش 53" وقتل الطاقم المكون من خمسة أفراد على متنها، وهو ما يعتقد الخبراء أنه تم بواسطة صاروخ ستينجر أو إيجلا.

وإضافة إلى ذلك فإن مصادر استخباراتية غربية تؤكد امتلاك الحزب لصواريخ سام 7 السوفيتية الصنع المضادة للطائرات، وهي صواريخ محمولة على الكتف ذات توجيه ذاتي، لكنها محدودة المدى والسرعة، فضلاً عن امتلاك الحزب لمدافع مضادة للطائرات طوّرها بحيث يسهل نقلها واستعمالها ضد الأهداف الأرضية، خصوصاً دوريات المشاة الإسرائيلية، وربما أبقى على بعضها لاستعمالها ضد الطائرات. ووفقا لتقارير الجيش الإسرائيلي فإن بعض الصواريخ المضادة للدبابات استخدمت لضرب طائرات الهليكوبتر؛ وهو ما أدى إلى تقليص الجيش لاستخدام المروحيات في عمليات الإنقاذ والعمليات العسكرية!

ومن المفاجآت التسليحية الأخرى التي اكتشفها الجنود الإسرائيليون في المخابئ التابعة لحزب الله أجهزة للرؤية الليلية مرتبطة بأجهزة كمبيوتر تقوم بتغذيته بالمعلومات عن الأهداف المراد قصفها بصواريخ "ساجر 2".

وتوجهت إسرائيل بالشكوى واللوم لبريطانيا؛ حيث فوجئ جنودها في أحد المخابئ الخاصة بحزب الله بجنوب لبنان بوجود 250 منظارا حراريا للرؤية الليلية إنجليزي الصنع، وصف بأنه قطعة فنية وحساس للغاية. وهذه الأجهزة لا تصدر إلا بموافقة الحكومة البريطانية، وردت بريطانيا بأن تلك الأجهزة وصلت لحزب الله عن طريق إيران؛ حيث تسلمتها ضمن برنامج لمكافحة المخدرات تابع للأمم المتحدة.

وفي السياق نفسه، نقلت صحيفة "نيويورك تايمز" الأمريكية عن ضباط وجنود إسرائيليين تأكيدهم أن "حزب الله مدرّب كجيش ومجهّز كدولة". ويشير أحدهم إلى مفاجأة من العيار الثقيل؛ حيث أوضح أن بعض مقاتلي الحزب كانوا "مجهزين بسترات واقية ومناظير للرؤية الليلية، ووسائل اتصالات، وفي بعض الأحيان بلباس وعتاد إسرائيليين"!

وهذا ما يؤكده العريف ماتان تايلر، الذي يشير إلى أنه تلقى أمرا من قائده للتنبه من مقاتلين يرتدون زيا عسكرياً إسرائيلياً، ويتابع: "في اليوم التالي أبلغنا عن مجموعة من حزب الله تهاجم الجيش الإسرائيلي، كان أفرادها يرتدون لباسا زيتيا بكتابات عبرية".

ولا يتوقف رصيد المفاجآت التسليحية عند هذا الحد؛ فقد تحدث الإسرائيليون - بحسب الصحيفة ذاتها - عن امتلاك حزب الله لمنظومة اتصالات متطورة عبر الأقمار الاصطناعية!

ويصف الرقيب يوسف - وهو فرد استطلاع للواء "بارام" - أن أحد الخنادق التـي وجدها الجيش الإسرائيلي قرب بلدة مارون الراس كانت على عمق أكثر من 25 قدما، وتحتوي على شبكة من الأنفاق وغرف للتخزين، ومداخل ومخارج عدة، ومجهـزة بكاميرا مراقبة موصولة بشاشة في الأسفل لتمكين المقاتلين من التربص بالجنود الإسرائيليين.

تعرية العسكرية الإسرائيلية

على الرغم من ميل ميزان القوة لمصلحة الجيش الإسرائيلي فإن مقاتلي حزب الله بميـزان الإرادة الـذي يمـيل بقوة لمصلحتهم نجحوا في أن يضعوا العسكرية الإسرائيلية في مهب الريح.. نجحوا في تبديد الأساطير التي كانت تحاك عنها وعن أسـلحتها وعن جنرالاتها؛ فضاعت كل تلك العجرفة التي كانت السمة الغالبة لكل القـادة الإسـرائيليين مع أول صاروخ للمقاومة طال العمق الإسرائيلي، وضاعت معهـا كـل الأحـلام والمخططات الأمريكية بشرق أوسط جديد من الأظافر وبلا أنياب، ومنزوع المقاومة.

وفـيما يلـي سنعرض لفشل الأفرع الرئيسية للجيش الإسرائيلي أمام صمود وبسالة رجال المقاومة في جنوب لبنان.

قوات "الصفوة" الإسرائيلية.. أسطورة تبخرت

لـم يكن مصدر الشعور بالصدمة والذهول والحرج الذي أصاب دوائر صنع القـرار في الدولة العبرية، والرأي العام الإسرائيلي في أعقاب معركة "بنت جبيل" التـي خاضـها حـزب الله، وأسفرت عن مقتل وجرح ثلاثين من جنود الاحتلال؛ يرجع إلى مجرد سقوط هذا العدد الكبير من القتلى والجرحى.

ورأى "أمـــنون أبـــرامو فيتش" – كبيـــر المعلّقـــين في القناة الثانية للتلفزيون الإســرائيلي – أن شعور الصدمة كان مرده أساسا أن "هيئة أركان الجيش أوهمت حكــومة إيهــود أولمرت بأن التفوق النوعي والكمي للقوات الإسرائيلية سيضمن سيطرة جيش الاحتلال على بلدة بنت جبيل، بدون ثمن يذكر".

واســتناداً لمعلومات متطابقة أوردتها وسائل الإعلام الإسرائيلية؛ فقد تشكلت القوات الإسرائيلية البرية التي كانت تعمل في منطقة بنت جبيل ومارون الراس في الجنوب اللبناني قبل أن يقرر الجيش الإسرائيلي الجمعة 28 – 7 – 2006 انسحاباً تكتيكياً منها على النحو الآتي:

- لــواء الصفوة "جولاني": يعتبر هذا اللواء أفضل ألوية المشاة المقاتلة في جيش الاحــتلال. وعـــادة ما يشعر الإسرائيليون الذين خدموا في صفوف هذا اللواء بالفخر بسبب ما يسمونه "تراث البطولة" الذي خلّفه هذا اللواء. ودائما ما تقوم هيئة أركان الجيش بتكليف هذا اللواء بالعمليات الخاصة خلف خطوط "العدو". وينسب لعناصر هذا اللواء احتلال هضبة الجولان في حرب عام 67. ومعظم رؤســاء هيئة أركان الجيش سبق لهم أن خدموا في هذا اللواء وقادوه في فترة مــن فترات حياتهم العسكرية، ومن هؤلاء رؤساء الأركان السابقون: شاؤول موفاز، وموشيه يعلون، وموشيه ليفي، وآمنون ليبكين شاحاك، وغيرهم؛ وفي الــوقت نفسه فإن معظم الجنرالات الحاليين الذين يشكلون هيئة أركان الجيش سبق لهم أن قادوا هذا اللواء وخدموا تحته.

  ويــتكون اللواء من عدة كتائب؛ شاركت أفضلها في معركة "بنت جبيل"، وهي كتيــبة "51". وكسائر ألوية المشاة يحتفظ هذا اللواء بوحدات خاصة تعمل في صــفوفه، وتتخــصص هذه الوحدات في عمليات التسلل والمباغتة والاقتحام المفاجــئ، ويملــك لواء "جولاني" وحدة "ماجلان" التي تشكلت قبيل المواجهة الأخيــرة فـــي لبنان، ووحدة "أيجوز" – أي "النواة" – وقد قتل عدد من جنود هاتين الوحدتين في معارك راس مارون وبنت جبيل.

- لــواء المظليــين: يعتبر لواء المظليين المعروف بـــ "هتنسنحنيم" – الذي كان رئـــيس الوزراء الإسرائيلي السابق إريل شارون من أشهر قادته – من أفضل

ألوية المشاة المتخصصة في العمل خلف حدود "العدو". وقد اكتسب هذا اللواء شـــهرة خاصة في حرب عام 67؛ حيث احتل في تلك الحرب الضفة الغربية بقيادة ماتي غور، الذي تولى فيما بعد رئاسة هيئة أركان الجيش، وأصبح فيما بعـــد وزيراً عن حزب العمل، وانتحر قبل عقد من الزمان بعد إصابته بمرض السرطان.

وينقـــسم لـــواء المظليين إلى "كتائب"، وتتبعه وحدتان خاصتان، هما: الوحدة "101"، و"الـــسرية الخاصة". وفقدت هذه الوحدة عددا من جنودها في المعارك الأخيرة في لبنان.

- لواء مدرعات مكون من دبابات "ميركافا" الإسرائيلية التي توصف بأنها الدبابة الأكثر تحصنا في العالم.
- وحـــدات استخبارية: وحدة "504"، المسؤولة عن جمع المعلومات الاستخباراتية، وقد أعلن حزب الله أنه قتل 4 من عناصر هذه الوحدة.
- ســـرب مـــن مروحيات "الأباتشي" الأمريكية الصنع التي توصف بأنها أفضل المـــروحيات في العالم. وقد تكبد جيش الاحتلال كل هذه الخسائر المدوية في بنت جبيل ومارون الراس على الرغم من تغطية "الأباتشي" المباشرة للعمليات الإسرائيلية.
- مـــنظومة مـــن طائـــرة الاســـتطلاع بدون طيار التي تقوم بجمع المعلومات الاســـتخبارية عن حزب الله، والتي تنقل بشكل مباشر صورا لتجمعات مقاتلي حزب الله لجنود الاحتلال قبل وفي أثناء العمليات الحربية.
- إلى جانب ذلك منظومة تسليحية تعتمد على أفضل ما أنتجته التقنيات المتقدمة، وتجهيزات للرؤية الليلية، وبنية اتصالات فائقة الدقة.

إذا كان كل ذلك جعل وقع الهزيمة في "بنت جبيل" مدوياً؛ فإن وسائل الإعلام الغربية يزداد اهتمامها يوماً بعد يوم بصمود جماعة المقاومة اللبنانية في المواجهة مع أحد أكبر جيوش الشرق الأوسط النظامية لمدة 19 يوماً حتى الآن رغم الفارق الكبير في القدرات.

وذكرت صحيفة "ديلي تليجراف" البريطانية في مقال نشرته الجمعة 28 - 7

– 2006 أن لإسرائيل إجمالا 152 ألف جندي، بالإضافة إلى 500 ألف جندي احتياطي، مقارنة مع 5 آلاف مقاتل إجمالا لحزب الله.

وإذا كانت قوة حزب الله الرئيسية تتمثل في صواريخ الكاتيوشا التي تم تطوير مداها، وترجح معظم التقديرات العسكرية عددها بنحو 13ألفا؛ فإن القدرات العسكرية الإجمالية التي تنفرد بها إسرائيل يطول الحديث عنها، ومنها: 3657 دبابة، و10 آلاف و419 حاملة جنود، بالإضافة إلى 5432 قطعة مدفعية و402 طائرة مقاتلة، وما يزيد عن 95 مروحية أباتشي وغيرها، بحسب تقرير "ديلي تليجراف".

سقوط أسطورة الميركافا

تلقت الصناعة العسكرية الإسرائيلية ضربة موجعة بعد تدمير عدد من دبابات القتال الرئيسية "ميركافا" على يد المقاومة خلال العدوان على لبنان؛ وهو ما دفع دوريات عسكرية وصحفا دولية متابعة لمجريات المعارك الدائرة في جنوب لبنان إلى القول بنجاح المقاومة في "تحييد" درة الصناعة الحربية الإسرائيلية.

فمع اندلاع المعارك البرية بعد أيام من بدء القصف الجوي على لبنان الذي دخل اليوم الإثنين 7 – 8 – 2006 يومه السابع والعشرين، تمكن مقاتلو حزب الله من إعطاب وتدمير عدد من الجيل الأخير والأحدث من الدبابة نفسها والمعروف باسم "ميركافا – 4" رغم ما تتمتع به من مزايا استثنائية في ميدان القتال، جعلت تجار السلاح والمصنعين الإسرائيليين يطلقون عليها "نجمة إسرائيل".

وكان آخر تلك الحوادث مقتل جنديين بعد تدمير دبابة بالجنوب اللبناني الإثنين 7 – 8 – 2006، بحسب الجيش الإسرائيلي.

وسبق للمقاومة الفلسطينية أن تمكنت من تدمير عدد من الدبابات من طراز "ميركافا – 3" خلال اشتباكات ومعارك مع القوات الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية المحتلة عام 2002.

وتفاخر العسكرية الإسرائيلية بالدبابة ميركافا محلية الصنع باعتبارها الأكثر تأمينا لحياة طاقمها بين مختلف طرازات الدبابات في العالم، وتارة يتغنى

العسكريون الإسرائيليون بأنها الأكثر "تدريعا ومنعة" أمام المقذوفات المضادة للدبابات، والأقدر بين الدبابات على المناورة والعمل في ظروف بيئية صعبة.

لكن هذه المواصفات القتالية التي تبدو بالفعل قياسية من الناحية النظرية لم تثبت كفاءتها أمام ضربات مقاتلي حزب الله؛ فخلال المعارك الضارية بجنوب لبنان اهتمت وسائل الإعلام العربية والغربية والإسرائيلية أيضاً بإحصاء خسائر الجيش الإسرائيلي من الدبابات بجانب إحصاءات القتلى اللبنانيين أو الإسرائيليين.

وذكرت صحيفة "سياتل باي" الأمريكية في تقرير لها على موقعها على الإنترنت الجمعة 4 - 8 - 2006 أن المقاتلين اللبنانيين استطاعوا "تحييد الميركافا"، وهو تعبير عسكري يفيد أن الدبابة لم تعد تؤثر بشكل فعال في المعارك البرية.

وفي معرض تفسير سقوط أسطورة الميركافا أبرزت مجلة "سترات فور" الأمريكية المعنية بالشؤون العسكرية في متابعاتها للحرب اللبنانية الإسرائيلية السبت 5 - 8 - 2006 أن الصواريخ المضادة للدبابات التي يستخدمها مقاتلو حزب الله، وهي عبارة عن نسخة مطورة من الصاروخ ميتيس السوفيتية وكذلك صواريخ ميلان الفرنسية "أظهرت فيما يبدو تأثيرا على أحدث دبابة قتال رئيسية لدى جيش الدفاع الإسرائيلي وهي ميركافا - 4".

وتحت عنوان "الميركافا اللامنيعة" قالت مجلة "الدفاع البلجيكية" في تقرير نشرته السبت: "إن اليومين الأخيرين فقط شهدا مقتل 7 جنود إسرائيليين وتدمير 3 دبابات ميركافا (جبال الصلب التي يُتَبجح بأنها رموز جبروت العسكرية الإسرائيلية)"؛ بحسب تعبير الصحيفة.

الطريف أن وسائل الإعلام الإسرائيلية حاولت تدارك التدهور المتزايد في سمعة الميركافا؛ حيث تفاخرت صحيفة "جيروزاليم بوست" في عددها الصادر مطلع الشهر الجاري تحت عنوان "دبابات الميركافا - 4 أثبتت جَلَدَها" وأن أفراد الطاقم الأربعة خرجوا من إحداها سالمين بعدما أصيبت بضربة مزدوجة من صاروخين مضادين للدبابات.

لكنها اعترفت أن "نجاح الدبابة لم يفلح كثيراً في إخفاء إحباط الجنود"، مشيرة إلى أن فرق مضادات الدبابات الخاصة بحزب الله ما زالت تعمل بفاعلية في الميدان.

ونقلت عن وسائل الإعلام الإسرائيلية أن معظم الـ 59 جندياً الإسرائيليين الذي قتلوا في المعارك خلال الـ 4 أسابيع الماضية ماتوا بسبب الصواريخ المضادة للدبابات.

ومن جهتها أرجعت وكالة "آسوشيتدبرس" الأمريكية قوة ضربات المقاومة اللبنانية إلى الصواريخ السوفيتية والفرنسية، وقالت: "تلك الصواريخ هي السبب في قدرة رجال حزب الله على تدمير آخر جيلين من الدبابات التي يروج لها الإسرائيليون على أنها أسطورة القتال البري".

غير أن رياض قهوجي – مدير مكتب مجلة "ديفنس نيوز" الدولية في الشرق الأوسط – يرى أن صواريخ "تاو" و"دراجون" أمريكية جلبت من إيران بعد تطويرها عبر إضافة حشوة مزدوجة تمكن الصاروخ من اختراق الدروع الجديدة في الميركافا كانت السبب وراء تدمير عدد منها.

وتعود قصة صناعة الميركافا إلى حرب عام 1967؛ حيث فرضت فرنسا حظرا تجاريا على إسرائيل؛ وهو ما دفعها إلى التعاقد مع بريطانيا على إنتاج مشترك للدبابة "تشيفتين"، لكن بريطانيا انسحبت بسبب ضغوط عربية عليها وألغت الصفقة، وحينها أدركت إسرائيل أنها بحاجة لتصنيع دبابة محلية، وقررت عام 1970 البدء في صناعة دبابة محلية.

ورغم الجسر الجوي العسكري الأمريكي لإسرائيل في حرب أكتوبر 1973 وإمدادها بدبابات مزودة بالوقود إلى ميدان المعركة؛ فإنها مضت في خططها، واستفادت من حروبها السابقة في صنع الميركافا لتوائم الاحتياجات الإسرائيلية فيما يختص بالسرعة والقدرة النيرانية العالية. وأكثر ما ركزت عليه هو سلامة طاقم الدبابة نظرا لقلة عدد سكان إسرائيل.

وخرجت "ميركافا – 1" للنور عام 1979، وتم تسليحها بمدفع من عيار 105 ملسم، وصُممت بحيث تناسب الطبيعة الوعرة لشمال إسرائيل ومرتفعات الجولان السورية المحتلة، وشاركت في غزو لبنان عام 1982.

وتميــزت هــذه الدبابة بمحرك الديزل في جزئها الأمامي، وحجرة القتال في مؤخــرتها، ويوفــر لها هذا التصميم الحماية، علاوة على تصميم برجها ومعدات تدريعها الخاصة.

ثم تبعتها "ميركافا – 2" عام 1983، وركز مطوروها على ملاءمتها لحروب المدن بعد خبرة حرب لبنان؛ ولذلك أضيف إليها مدفع رشاش مضاد للأفراد عيار 60 ملم، مع إدخال بعض التحسينات على تدريعها ونظام السيطرة على النيران.

ثم جاءت "ميركافا – 3" عام 1990، وفيها تم تزويد القدرة النيرانية لها بمدفع مــن عيار 120 ملم ذي البطانة الملساء، ثم أدخلت بعض التحسينات على الطراز الأخير من هذه الدبابة، لتخرج "ميركافا – 3 باز" (أي الصقر)، من بينها تحسينات أدخلت على تدريعها وبرجها.

وأخيراً وفي عام 2004 دخلت الدبابة "ميركافا – 4" الخدمة بالجيش الإسرائيلي بنفس المدفع من عيار 120 ملم، مع إجراء بعض التحسينات على نظام السيطرة على النيــران والتدريع والمساعدات الدفاعية. ورغم التكتم الشديد على عدد دبابات ميركافا التــي أنتجــتها إسرائيل؛ فإن التقديرات تشير إلى أن إسرائيل قد أنتجت 1500 دبابة ميركافا على الأقل، ولم تصدِّر إسرائيل الدبابة ميركافا للخارج حتى الآن.

تحييد سلاح الجو في المعركة

الــسلاح الجــوي ضــروري لأي جيش نظامي؛ لما يوفره من غطاء جوي للقــوات البــرية المنتــشرة على خطوط النيران، أو لما يقوم به من خدمات جليلة للقوات البرية أيضاً على صعيد تدمير مراكز القيادة والسيطرة للعدو وتشكيلاته في الخطوط الأمامية والخلفية.

وقــد كان فشل سلاح الجو الإسرائيلي مدويا في مواجهاته مع حزب الله؛ فلم تخــتلف رؤى خبراء ومحللين عسكريين في فشل رهان إسرائيل على قدرة سلاح الجــو فــي تدمير البنية التحتية العسكرية "للعدو"؛ لتأمين أمن قواتها البرية؛ وذلك لكــون حزب الله جماعة مقاومة وليست جيشاً نظامياً، ولوجود إرادة لبنانية سياسية تدعم صمود المقاومة.

وفـــي تــصريحات لموقـــع "إسلام أون لاين.نت" على الإنترنت، قال الخبير العـــسكري اللبناني اللواء ياسين سويد: "إن رئيس الأركان الإسرائيلي الجنرال دان حالوتس الذي كان في السابق قائداً لسلاح الجو.. اعتقد أنه سيجهز على حزب الله بالعمليات الجوية، متناسياً أن رجال المقاومة ليس لهم بنايات أو تحصينات ظاهرة ليــتم قـــصفها؛ فهـــم مقاتلـــون يقاومون من مخابئ وحفر على طريقة (فيتكونج) الفيتنامية".

واعتبر أنه "إذا كانت العمليات الجوية قد نجحت في شيء؛ ففي قتل المدنيين وتدمير البنية المدنية الأساسية؛ وذلك لأهداف غير عسكرية تتمثل في شل الاقتصاد اللبنانـــي، وإضعاف قدرته على اجتذاب الاستثمارات، وهو نوع من الحقد على ما حققه لبنان من طفرة اقتصادية وسياحية قبل الحرب".

الخبيـــر الإســـتراتيجي المصري محمد عبد السلام رأى بدوره أن "إسرائيل كانت تراهن على القصف الجوي لتحقيق هدفين: أولهما تدمير تحصينات حزب الله علـــى الأرض وبنيته التحتية المتمثلة في منصات إطلاق الصواريخ. وثانيهما إبعاد المقاومة عن الجنوب".

ومـــضى موضحاً: "لكنها خسرت هذا الرهان؛ حيث فشل القصف الجوي في تحقـــيق هـــذين الهدفـــين؛ لأن إسرائيل لا تقاتل جيشاً نظامياً، بل جماعة مقاومة، والقتال مع مجموعات غير نظامية لا يتأثر بالقصف الجوي".

وأضـــاف عـــبد السلام أن "إسرائيل تكبدت خسائر إستراتيجية فادحة؛ حيث انهـــارت المفاهيم الخاصة بالقوة الجوية التي تعتبرها إسرائيل الذراع الطويلة لها؛ وهـــو مـــا يـــستدعي إعادة النظر فيها، إضافة إلى المعدات الخارقة التي سوّقتها إســـرائيل، وتعرضت للتدمير على أيدي مقاتلي حزب الله مثل دبابة الميركافا". كما انهارت – بحسب رأيه – نظرية الدولة غير القابلة للاختراق التي تدعيها إسرائيل.

اللواء المتقاعد طلعت أبو مسلم – الخبير العسكري المصري – أكد أن "إسرائيل عـــندما فـــشلت عملـــياتها الجـــوية المكثفة في القضاء على بنية حزب الله العسكرية اضـــطرت إلـــى الانتقال إلى مرحلة العمليات البرية المحدودة، لكنها واجهت مقاومة شرسة كبدتها خسائر غير مسبوقة، وهو ما دفعها إلى استدعاء الاحتياط".

وفـــي مقـــال لـــه بصحيفة "واشنطن بوست" قال الصحفي الأمريكي سكوت ويلـــسون: "لقـــد كـــان ســـلاح الجو المزود بأحدث الطائرات الأمريكية وطائرات الهيلوكبتـــر المقاتلـــة هو مفتاح الانتصارات التي حققتها إسرائيل على مدى العقود الماضـــية؛ فخلال حرب 1982 (بلبنان) أسقط سلاح الجو الإسرائيلي 100 طائرة سورية مقاتلة دون سقوط طائرة واحدة لإسرائيل".

واســـتطرد ويلسون قائلاً: "لكن على الرغم من ذلك لم يفلح (هذا السلاح) في تدميـــر منـــصات الـــصواريخ التي تطال إسرائيل، كما أنه لا يوجد نظام دفاعي إسرائيلي ضد صواريخ الكاتيوشا قصيرة المدى التي يطلقها حزب الله".

وتـــضم القـــوة الجوية الإسرائيلية التي تُعَدّ الأقوى في الشرق الأوسط 444 طائرة مقاتلة و137 مروحية قتالية. وتدخل في عداد القوة الجوية الإسرائيلية أيضاً طرازات متعددة من الطائرات بدون طيار.

بنظرة مختلفة ذهب الخبير العسكري اللبناني العميد إلياس حنا إلى القول بأن "الإرادة السياسية هي التي تحدد مدى مواصلة الصمود أمام القصف الجوي".

ولتوضـــيح وجهـــة نظـــره استـــشهد حنا بنجاح سلاح الجو في حلف شمال الأطلنطـــي "الـــناتو" في إنهاء العدوان الصربي اليوغسلافي على كوسوفا في عام 1999، بعـــد 100 يـــوم من القصف المتواصل، قائلاً: "لم يتحمل الجيش الصربي ضرب البنى التحتية وتدمير البلاد؛ فآثر الانصياع للشروط الدولية آنذاك".

ولفـــت الخبيـــر العـــسكري اللبناني إلى الفرق بين حالة يوغسلافيا والحرب الحالـــية بقـــوله: "في لبنان وقفت الإرادة السياسية بجانب صمود المقاومة. كما أن إسرائيل تحارب جماعة مقاومة وليس جيشاً نظاميّاً جزءاً من بنية البلاد".

أمـــا عـــن المكاســـب العسكرية لحزب الله فقال اللواء أبو مسلم: "استطاعت المقاومـــة إجـــبار إسرائيل على إخلاء مستوطناتها في الشمال، وهو ما يُعَدّ إنجازاً عسكرياً بكل المقاييس، كما تسببت في خسائر هزت من صورة الجيش الإسرائيلي الذي تروّج تل أبيب أنه لا يقهر".

ورأى أن "تجـــربة حـــزب الله العـــسكرية يجب أن تدرس للاستفادة بها في المستقبل الذي سيشهد تنامياً لدور حركات المقاومة وقوتها، في الوقت الذي سيظل

ميزان القوة لصالح إسرائيل على مستوى الجيوش النظامية بالمنطقة".

بالتوافق مع اللواء أبو مسلم شدّد د.عمرو الشوبكي – المحلل السياسي والخبير بمركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية بالقاهرة – على أن: "الصمود البطولي لمقاتلي حزب الله لم يأتِ من فراغ؛ فقد بنى مقاومته على أساس الأخذ في الاعتبار فارق القوة العسكرية بينه وبين إسرائيل، ودرس بعناية قدرات الجيش الإسرائيلي، وعرف نقاط قوته وجوانب ضعفه، ومن ثَم كان له هذا النجاح".

وشدّد على أن "حدود انتصار حزب الله في هذه المعركة هو ألا يخرج منها مدمّراً في قدرته العسكرية، جريحاً في كبريائه".

وأعلن حزب الله الخميس 10 – 8 – 2006 قتل 18 جندياً إسرائيلياً، وتدمير 16 دبابة في معارك ضارية بجنوب لبنان، وهي أكبر خسائر في الجنود والدبابات تتكبدها إسرائيل في يوم واحد منذ بدء عدوانها على لبنان يوم 12 يوليو الماضي. لكن إسرائيل نفت ذلك.

ومع إكمال العدوان شهراً كاملاً قتل حزب الله أكثر من 113 إسرائيلياً، بينهم 77 جندياً، وكبد قوات الاحتلال خسائر كبيرة في العتاد العسكري.

كما قتلت إسرائيل حوالي 1090 شخصاً بلبنان، غالبيتهم العظمى من المدنيين، و 30% منهم أطفال، وأصابت ما يزيد على 3570 بجروح، وشردت أكثر من مليون لبناني، ودمرت قطاعاً كبيراً من البنية التحتية، بحسب الحكومة اللبنانية.

فشل ذريع للكوماندوس الإسرائيلي

القوات الخاصة (الكوماندوس) هي وحدات المهام الصعبة في أي جيش نظامي، نظرا لقدراتها العالية على إرباك العدو من خلال السقوط خلف خطوطه، وتدمير منشآته الحيوية، وفي هذا الصدد فشلت القوات الخاصة الإسرائيلية فشلا ذريعا في القيام بأي عملية إبرار (إنزال) لجنودها سواء من البر أو من البحر، وأشهر المحاولات الفاشلة في هذا الصدد كانت يوم 5 أغسطس 2006 التي حاولت القيام بها وحدة الكوماندوس البحرية الخاصة المعروفة بـ "الوحدة 13" في الشمال

مــن مديــنة "صـــور" اللبنانية الساحلية، وأمر قائد هذه الوحدة التي تعتبر أفضل الــوحدات التــي تقوم بعمليات الإنزال جنوده بالانسحاب، بعد أن تبين أن عناصر حــزب الله الذين كانت الوحدة تخطط لمهاجمتهم بسبب دورهم في عمليات إطلاق صـــواريخ "الكاتيوشا" طويلة المدى بدوا يقظين تماما، وبادروا بإطلاق النار على أفــراد الــوحدة؛ الأمــر الذي أوقع ثماني إصابات في صفوف الوحدة الإسرائيلية باعتراف قيادة جيش الاحتلال.

ومــع دخــول العــدوان علــى لبنان يومه الثالث والعشرين، وقفت القوات الإســرائيلية عاجزة عن تأمين شريط عازل على الحدود مع لبنان حتى مع اللجوء إلــى تكتيك عمليات الإنزال؛ وذلك بسبب المقاومة الشرسة من جانب مقاتلي حزب الله الــذي لا يــزال يحتفظ بجانب كبير من بنيته العسكرية؛ وهو ما يصعب على إسرائيل إنجاز أهدافها المعلنة من الحرب، حسبما رأى خبراء عسكريون.

وفــي تــصريحات لـــ "إسلام أون لاين.نت" الخميس 3 – 8 – 2006، قال المحلــل العــسكري اللبناني العميد الركن هشام جابر: "تواجه القوات الإسرائيلية قــوات مدربــة ومسلحة بشكل جيد؛ لذلك فإنه بعد أكثر من 3 أسابيع لم تتمكن من التقدم بضعة كيلومترات في الجنوب اللبناني".

ووصـــف "جابر" وضع حزب الله على الأرض بأنه ممتاز، قائلاً: "إنه لم يفقد أكثر من 25% من قدراته العسكرية المتمثلة في العتاد والصواريخ، في حين تبقى خسارته البشرية في الميدان محدودة".

وأعلــن مصدر لبناني أمني أن حصيلة خسائر حزب الله البشرية لم تتجاوز 80 مقــاتلا، منهم 48 في التحام مباشر بالميدان، أما الآخرون فقد استشهدوا جراء القصف الإسرائيلي للمنازل، حيث كانوا مع عوائلهم.

بالمقابــل تعــدت حصيلة الخسائر الإسرائيلية 60 قتيلا، منهم نحو 40 على الأقل من العسكريين سقطوا خلال معارك مع حزب الله.

الخبيــر الإستراتيجي المصري محمد علي بلال أوضح بدوره أن "حزب الله يمــثّل عقبة أمام سعي إسرائيل للاستيلاء على شريط حدودي كامل بعمق 7 أو 8 كيلومترات".

وقـال: "يمكـن لإسرائيل الاستيلاء على عدة نقاط متقطعة وتلال إستراتيجية ولـيس شـريطاً كاملاً في ضوء تكتيك حزب الله الذي يعتمد على ترك مساحات للجيش الإسرائيلي، ثم يلتف عليه في كمائن ليكبّده خسائر كثيرة، وهو الهدف الذي أعلنه أكثر من مرة حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله".

ولفـت بلال إلى أن "إسرائيل لا تستطيع دخول مفاوضات دون تأمين هذا الـشريط الحـدودي؛ فهو الأساس الذي يمكن عن طريقه أن تفرض نشر قوات دولـية فـي المنطقة، سواء أكانت من حلف شمال الأطلنطي (الناتو) أو قوات دولـية أخـرى؛ لأن موقـف الحكـومة اللبنانية لا يزال أقوى في ظل صمود المقاومة إلى الآن".

وعـن عملـية الإنـزال الإسـرائيلية في 2 – 8 – 2006، أوضح الخبير الإسـتراتيجي المصري أن "عملية الإنزال التي تمت في مدينة بعلبك لم تؤثر على وضـع حـزب الله، بل على العكس فشلت في تحقيق هدفها، واستفاد الحزب من تجربتها لمواجهة أي عملية إنزال قادمة؛ وهو ما سيصعب على القوات الإسرائيلية تكرار مثل تلك العملية لما وجدوه من مقاومة شرسة".

وقال بلال: "إن الإنزال تكتيك مستخدم في العمليات البرية، ويهدف إلى تدمير شـيء محدد أو إبادة عناصر معينة في مكان الإنزال أو بالقرب منه، لكن الوحدة الإسرائيلية الخاصة لم تقم إلا بقتل وخطف المدنيين".

وأوضـح أن "أي عملية إنزال قوات لا تتم إلا عن طريق عناصر مخابراتية علـى الأرض أو جواسـيس؛ بحيث تؤمّن المنطقة لهذه القوات كي تنجز مهمتها بنجاح".

وفـي سـياق الحـرب الإعلامـية بـين حـزب الله وإسرائيل رأى الخبير الإسـتراتيجي المـصري أن بث إسرائيل شريطا مصورا لعملية الإنزال دون أن يتـضمن كيفـية إخـلاء القـوات الخاصة للموقع "يدل بما لا يدع مجالا للشك أن اشتباكات ضارية تمت في المكان، ويقوي أكثر من مصداقية حزب الله الذي أعلن أنــه تعامــل مع تلك القوات وكبّدها خسائر؛ وهو ما يأتي بنتيجة عكس ما أرادت إسرائيل أن تظهر به أمام الرأي العام الداخلي".

وعرضت القوات الجوية الإسرائيلية لقطات لجنود يهبطون من مروحيتين وينتشرون حول مبان، وأفراد قوات خاصة داخل مستشفى يفتشون في المكاتب، لكن لم تعرض صورا لهذه القوة وهي تخلي المكان. وأعلنت إسرائيل أن الهدف من العملية كان خطف الأمين العام لحزب الله.

وكانت قوة إسرائيلية قد نفذت عملية إنزال لأول مرة فوق مستشفى بمدينة بعلبك الأربعاء، وأسرت 5 أشخاص زعم الجيش الإسرائيلي أنهم من عناصر حزب الله، وهو ما نفاه الحزب، مؤكداً أنهم مدنيون.

وقصفت الطائرات الإسرائيلية بعد انسحاب قوتها المجوقلة مبنى المستشفى نفسه وبلدة الجمالية القريبة، كما قصفت 3 محطات وقود؛ وهو ما أدى إلى استشهاد 19 مدنياً، وجرح أكثر من 20 آخرين.

وفي مقابلة مع صحيفة "كورييري ديلا سيرا" الإيطالية قال رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت: إن إسرائيل "اقتربت كثيرا" من تحقيق هدفها في لبنان، متوقعاً أن يتم التصويت بالأمم المتحدة على إقرار الهدنة الأسبوع القادم.

وأضاف أولمرت: "حزب الله سيفكر مرتين بل ثلاثا بل مرات عدة قبل أن يهاجمنا، وأعتقد أننا اقتربنا كثيراً من هذا الهدف.. سيجرى على الأرجح تصويت في الأمم المتحدة الأسبوع القادم"، في إشارة إلى وقف إطلاق النار.

وكانت إسرائيل قد زعمت أن قواتها دمرت أكثر من ثلثي المخزون الصاروخي لحزب الله، وقوضت قسماً كبيراً من بنيته التحتية العسكرية.

لكن حزب الله أعلن أنه أطلق أكثر من 300 صاروخ (في رقم قياسي منذ بدء الحرب)، من بينها صواريخ من طراز "خيبر1"، التي أصابت مدينة بيسان الإسرائيلية على بعد نحو 70كم في عمق إسرائيل، وهي أبعد نقطة تصلها صواريخ حزب الله منذ بدء المواجهات.

وفي وقت لاحق أطلق حزب الله عدة دفعات من الصواريخ على شمال إسرائيل؛ وهو ما أسفر عن مقتل 8 إسرائيليين، وإصابة أكثر من 50 آخرين، كما قتل الحزب 4 جنود إسرائيليين في الاشتباكات البرية بجنوب لبنان.

استيقظ رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت صباح السبت 5 – 8 – 2006 متكدر الوجه، عندما أبلغه مستشاره العسكري الجنرال إسحاق شمني بفشل عملية الإنزال التي قامت بها الليلة الماضية وحدة الكوماندوس البحرية الخاصة إلى الشمال من مدينة "صور" اللبنانية الساحلية، حسبما كشفت الإذاعة الإسرائيلية باللغة العبرية.

وبخلاف ما حاولت بعض وسائل الإعلام الإسرائيلية ترويجه حول نجاح عملية الإنزال؛ فقد ذكرت الإذاعة الإسرائيلية باللغة العبرية بعد ظهر اليوم السبت أن قائد الوحدة المعروفة بـ "الوحدة 13" والتي تعتبر أفضل الوحدات التي تقوم بعمليات الإنزال أمر جنوده بالانسحاب، بعد أن تبين أن عناصر حزب الله الذين كانت الوحدة تخطط لمهاجمتهم بسبب دورهم في عمليات إطلاق صواريخ "الكاتيوشا" طويلة المدى، بدوا يقظين تماماً وبادروا بإطلاق النار على أفراد الوحدة؛ الأمر الذي أوقع ثماني إصابات في صفوف الوحدة الإسرائيلية باعتراف قيادة جيش الاحتلال.

وكما هو الحال في كل عملية إسرائيلية، ادعت قيادة المنطقة الشمالية في جيش الاحتلال التي تشرف على حملة "تغيير المسار" التي تشنها إسرائيل على لبنان أن عناصر وحدة الكوماندوس البحرية نجحوا في قتل عشرة من عناصر حزب الله، وهو ما نفاه الحزب.

وفي كل مرة يفشل الجيش الإسرائيلي في تقديم أي دليل على حجم الخسائر التي لحقت بحزب الله تتصاعد الانتقادات له. وسبق أن صرح الناطق بلسان جيش الاحتلال الجنرال "توم رييغف" بُعيد شن الحرب يوم 12 يوليو الماضي أن مكتب الناطق بلسان الجيش وزع على عناصر الوحدات الخاصة الذين يقومون بعمليات الإنزال أو العمليات الخاصة الأخرى كاميرات رقمية لتصوير القتلى من عناصر حزب الله بالصور، لتوثيق إنجازات إسرائيل في الحرب. لكن منذ أن تم توزيع هذه الكاميرات فإن مكتب الناطق بلسان الجيش لم يستطع أن يقدم أي مادة تثبت ما يدعيه حول حجم الخسائر بعناصر حزب الله.

وكان لافتاً أن الناطق بلسان الجيش صرح بُعيد الإعلان عن عملية الإنزال

أنـــه ســيكون للعملـــية تأثير على تقليص قدرة حزب الله على مواصلة إطلاق الصواريخ بعيدة المدى، وجاءت صواريخ حزب الله لتدحض هذه التصريحات.

وسبق فشل عملية الإنزال بصور فشل عملية أخرى قام بها جيش الاحتلال بالقـــرب مـــن مدينة "بعلبك"، في البقاع شرق لبنان. وقامت بهذه العملية وحدة "ســييرت مـــتكال" - أو "ســـرية الأركان" - التي تخضع مباشرة لرئيس هيئة الأركـــان ورئـــيس شعبة الاستخبارات العسكرية. وفوجئ عناصر الوحدة بأن المستشفى الذي افترض أن الجنود يعالجون فيه خال تماما، وكما هو الحال في عملـــية الإنـــزال فـــي "صور" ادعى جيش الاحتلال أنه نجح في قتل عدد من عناصر "حزب الله".

وفي المنطقة الواقعة إلى الجنوب من نهر الليطاني قام لواء المظليين بعمليتي إنـــزال الأسبوع الماضي بغرض محاصرة مجموعات من عناصر حزب الله، وقد أســفرت هـــذه العمليات المحدودة عن مقتل أربعة من عناصر المظليين باعتراف الجيش الإسرائيلي.

ويرى محللون عسكريون إسرائيليون أن أحد أسباب فشل عمليات الإنزال هو ضـــعف المعلومات الاستخبارية التي تملكها إسرائيل عن حزب الله، بالإضافة إلى يقظة عناصر حزب الله.

وأشهر عمليات الإنزال التي قامت بها إسرائيل في تاريخ المواجهة بينها وبين حزب الله كانت في الخامس من يوليو عام 1999، عندما قامت البوارج العسكرية الإســـرائيلية بإنـــزال العشرات من عناصر الكوماندوس البحرية إلى الجنوب من صيدا (36 كم جنوب بيروت)؛ وذلك لتقوم بعملية اختطاف لعدد من قادة حزب الله في الجنوب.

وحيـــنما كـــان عناصر الوحدة يجتازون أحد الحقول وجدوا أنفسهم في كمين نـــصبه لهـــم مقاتلو حزب الله، فقتل الحزب ثلاثة عشر منهم، أحدهم قائد الوحدة، وجـــرح جمـــيع عناصر الوحدة، في معركة استمرت ساعة سارعت للتدخل فيها المروحيات العسكرية الإسرائيلية.

عجز استخباراتي فادح

رغم أن الهجوم الإسرائيلي على لبنان استند إلى منظومة تكنولوجيا معلومات متطورة؛ فإن هذه المنظومة فشلت في تغذية الآلة العسكرية بمعلومات دقيقة تعينها على تحقيق أهدافها، وقابلتها مقاومة لبنانية مزوّدة بمنظومة أمن معلوماتية بسيطة لكنها محصّنة من الاختراق المعلوماتي المضاد؛ فكانت أشبه بـ "مغارة معلوماتية مغلقة" استعصت على أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية وأخرجتها من المعركة مبكراً.

هذا هو مشهد الحرب المعلوماتية التي انهزمت فيها إسرائيل أمام حزب الله في 34 يوماً من العدوان على لبنان، بحسب ما أجمع عليه محللون وخبراء مختصون.

فبعد أن وضعت الحرب أوزارها، تبين أن كافة الأهداف التي قصفتها إسرائيل هي مدنية، ولم يتم العثور على أي منصة إطلاق لصواريخ مدمرة أو أنفاق مهدمة تقريبا، كما لم يتم التعرف على مكان احتجاز الجنديين الإسرائيليين لدى المقاومة.

ولم تستطع إسرائيل قتل أو أسر أي من أعضاء القيادة المركزية لحزب الله؛ بل على الجانب الآخر نجحت المقاومة في إلحاق خسائر بالجانب الإسرائيلي؛ وهو ما دل على مدى براعة حزب الله في تأمين شبكة اتصالاته ومعلوماته، وفي إفشال المحاولات الإسرائيلية لاختراقه؛ بل نجح حزب الله في الكشف عن جواسيس وعملاء للاستخبارات الإسرائيلية الخارجية (الموساد) في أثناء الحرب.

ويرى الصحفي المهتم بنظم المعلومات محمد جمال غيطاس في مقال نشر بجريدة "الأهرام" المصرية الثلاثاء 22 – 8 – 2006.. أن التقدم المذهل في مكونات البنية المعلوماتية الإسرائيلية لم يحقق الفعالية المفترضة به في مراحل الجمع والتصنيف والتحليل، ودعم اتخاذ القرار، وفي دقة التصويب، وانتقاء الأهداف التي يؤدي تدميرها لتحقيق إنجازات عسكرية مؤثرة.

وأرجع ذلك إلى نجاح إستراتيجية حزب الله التي اعتمد فيها على إدارة فعالة ومؤسسة للمعلومات التي تكفل التصدي لهجمات إسرائيل، ثم ممارسة رد الفعل عليها.

وقال: "نقطة الارتكاز في الإستراتيجية المعلوماتية لحزب الله تمثلت في حرمان العدو من الحصول على أي معلومات أو بيانات أولية تساعده في تنفيذ هجمات مؤثرة على أي هدف يخص الحزب"، وبعبارة أخرى أُغرق الإسرائيليون في حالة "فقر معلوماتي مدقع" طوال الحرب.

وأضاف أن حزب الله طوّر خططاً وسياسات أمن معلومات شديدة الإحكام والفاعلية لتنفيذ تلك الإستراتيجية، وقامت على اعتراض تكتيكات وأدوات تعقّب وجمع المعلومات من جانب العدو، وحوّلها إلى ثقافة وعقيدة أساسية وراسخة لدى جميع كوادره وأعضائه.

وفي مقابلة مع شبكة "إسلام أون لاين.نت" الأربعاء 23 – 8 – 2006، رأى الخبير العسكري اللبناني نزار عبد القادر أن "حزب الله نجح في تحييد أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية بشكل فعال في تلك المعركة، وشل قدرتها على التزود بمعلومات دقيقة عن قدراته في إطار إستراتيجيته المانعة للاختراق".

وقال: "الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية فشلت في إعطاء معلومات دقيقة عن تحصينات حزب الله وأنفاقه وقدراته الصاروخية؛ حيث تفاجأ الإسرائيليون بأن الحزب لديه صاروخ صيني من طراز سي 802 عندما قصف البارجة الحربية ساعر 5".

وكان تقرير عسكري إسرائيلي تناول نتيجة التحقيق في قصف "حزب الله" للبارجة قبالة شواطئ بيروت قد كشف أنه كان بحوزة سلاح البحرية معلومات عن امتلاك حزب الله لصواريخ تشكل خطرا على البوارج الإسرائيلية، ويصل مداها إلى ما بين 6 و10كم؛ ولذلك فقد بقيت البوارج الإسرائيلية على بعد يتراوح ما بين 17 و30كم عن شواطئ بيروت لتكون في مأمن من القصف، إلا أنه لم يكن لدى إسرائيل معلومات عن امتلاك الحزب لصواريخ "سي 802" التي يصل مداها إلى 120كم.

وأشار الخبير العسكري اللبناني إلى أن ما يدلل أيضاً على عجز الاستخبارات الإسـرائيلية عن جمع معلومات حديثة عن حزب الله أن أحد ضباط الاستخبارات الإسـرائيلية قدّم خرائط لتحصينات حزب الله تعود لعام 2000 - وليس بعدها - إلى الجيش الإسرائيلي قبيل شن عدوانه الأخير على لبنان، وهو يوضح أيضاً مدى نجاح حزب الله في تأمين أجهزته ومعلوماته ضد الاختراق.

وينوّه بأنه "على الرغم من بساطة الأدوات التي استخدمها حزب الله فإن إستراتيجيته في حرمان المنظومة الإسرائيلية من المعلومات الصحيحة والكاملة عن أرض المعركة قبل وفي أثناء اندلاع القتال نجحت إلى حد كبير، بدليل أن الصواريخ والقنابل الموجهة والحاسبات العملاقة ونظم المعلومات القتالية بالبر والبحر والجو وغيرها كانت عمياء"؛ حيث أخطأت طريقها إلى الأهداف العسكرية للحزب.

ويرى أنها "إستراتيجية جمعت بين البساطة والبراعة، وجعلت الحزب عبارة عن مغارة أو قلعة معلوماتية مغلقة أمام العدو"، مشيراً إلى أنه "حتى وقت الحرب لم تستطع عدسات التلفزيون ولا كاميرات المراقبة الإسرائيلية أن تظهر مقاتلي الحزب وقياداته العسكرية".

وكان جنود إسرائيليون قد قالوا لوسائل الإعلام: إنهم يقاتلون "أشباحا" بجنوب لبنان حيث يسمعون أصواتا ولا يرون مقاتلين.

وفي السياق نفسه يوضح الخبير العسكري اللبناني أن حزب الله اعتمد على وسائل اتصال بسيطة، لكنه برع في استخدامها، مستعينا بلغة مشفرة في نقل المعلومات؛ الأمر الذي يصعب اختراقه بالوسائل الإسرائيلية المتطورة.

وكشفت الحرب عن قدرة حزب الله في اختراق الاتصالات اللاسلكية الإسرائيلية؛ وهو ما ظهر في عملية حزب الله التي أسر فيها الجنديين الإسرائيليين عبر الحدود يوم 12 - 7 - 2006؛ فبحسب مصادر إعلامية إسرائيلية قام مقاتلو حزب الله بالتقاط إشارات الاتصال بين الجنود والقيادة، وحددوا على أساسها مكان الجنديين، ومن ثم نفذوا عمليتهم النوعية المذهلة؛ وهو ما يدل على امتلاك الحزب لأجهزة متطورة نسبياً ساعدته على اختراق الاتصالات الإسرائيلية.

فـــي المقابل ظهر على إحدى الفضائيات بعد الحرب مقاتل لحزب الله يمسك بـــيده جهـــاز اتـــصال لاسلكياً ويتحدث فيه؛ وهو ما أثبت أن لدى حزب الله نظام اتصالات لاسلكية مؤمناً ومشفراً بمهارة عالية، استعصى على الإسرائيليين اختراقه بما لديهم من تاريخ طويل في عمليات التلصص وفك الشفرات، وهو ما قدّم تطبيقاً رائعـــاً وغير مسبوق لسياسية أمن المعلومات القائمة على فكرة الإفقار المعلوماتي للعدو، كما يؤكد الخبير العسكري اللبناني.

يمتلك الجيش الإسرائيلي بنية معلوماتية شديدة التطور، تم تشييدها وتطويرها وتحـــسينها بمعـــدلات متـــسارعة استناداً إلى القاعدة البحثية والعلمية الإسرائيلية والانفتاح اللامحدود على المجمع الصناعي العلمي العسكري الأمريكي.

وتـــتكون المنظومة المعلوماتية التي دخل بها الإسرائيليون الحرب على لبنان مـــن منظومات معلومات القيادة والسيطرة والمراقبة والمتابعة والاستخبارات التي تعمل على مستوى الجيش ووزارة الدفاع.

ومـــن حيث المعدات تضم هذه المنظومة الحاسبات الفائقة (السوبر كمبيوتر) والحاســـبات الكبيرة وشبكات المعلومات والاتصالات المؤمنة وآلافاً من الوحدات الطرفية في شكل حاسبات محمولة وأجهزة اتصالات وشرائح إلكترونية وكاميرات وأجهزة رادار وأقمار صناعية.

أمـــا حـــزب الله.. فبالـــرغم مـــن الفارق التكنولوجي الذي يصب في صالح إسرائيل، فقد تمكن من تحييد هذا الفارق عملياً خلال الحرب.

وقـــسّمت موســـوعة "ويكيـــبديا" على الإنترنت – نقلا عن مصادر أمريكية وإسرائيلية – قدرات حزب الله الاستخباراتية إلى 3 وحدات:

الأولى منها مسؤولة عن نشاط الاستخبارات، وتعتمد على تجنيد عملاء داخل إســـرائيل لجمـــع معلـــومات عن القواعد العسكرية الإسرائيلية والأهداف المحتملة الأخرى.

أمـــا الـــوحدة الثانية فتسمى بوحدة الأمن الوقائي، وهي مسؤولة عن عمليات مكافحـــة التجسس وتأمين الاتصالات بين أفرع الحزب، كما تدير مراكز الاحتجاز الخاصة بالجواسيس واستجوابهم، وقد ظهرت فعاليتها بشكل باهر في تلك الحرب؛

حـيث كشفت عن عملاء للموساد، حاولوا اختراق النظم المعلوماتية لحزب الله في أثناء تواجدهم بالضاحية الجنوبية لبيروت.

ويـروج معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى إلى أن لحزب الله وحدة ثالثة تقوم بتزويد الفلسطينيين بالتدريب والأسلحة والتمويل لمقاومة الاحتلال.

زلزال في جيش إسرائيل

"زلـزال في الجيش".. هذا هو الوصف الذي أطلقته بعض وسائل الإعلام الإسـرائيلية على القرار الدراماتيكي الذي اتخذه الجنرال دان حالوتس - رئيس هيـئة أركان الجيش - يوم 8 أغسطس 2006، والذي أقصى بمقتضاه الجنرال أودي آدم قائد المنطقة الشمالية في الجيش من قيادة المعركة في مواجهة المئات مـن مقاتلـي حزب الله، وعيّن بدلاً منه الجنرال موشيه كابلينسكي نائب رئيس هيئة الأركان.

ورغـم محـاولات مكـتب حالـوتس والناطقة بلسان الجيش الجنرال ميري ريجـيف التخفـيف من وقع الحدث الكبير، وتبرير الإجراء وكأنه يأتي في إطار تـوجّه رئـيس هيـئة الأركـان لتعزيز التنسيق بين قيادة الجبهة الشمالية وهيئة الأركان.. فإن جميع الجنرالات المتقاعدين وكل المعلّقين العسكريين والسياسيين في الدولـة العبرية الذين تحدثوا حول هذا التطور.. أكدوا أن هذا الإجراء جاء بسبب "خيـبة أمـل حالـوتس الشديدة" من أداء الجنرال آدم وقدراته في مجال التخطيط العسكري، بعد شهر من الحرب.

وقـال رونـي شيلدهاف - المراسل العسكري لإذاعة الجيش الإسرائيلي - صـباح يوم الأربعاء 9 - 8 - 2006 في تحليل للقرار الذي صدر: "مما لا شك فـيه أن القرار يعبّر عن حجم الإحباط الذي يسود القيادة العسكرية والسياسية من تعثّـر المعركة في مواجهة حزب الله، وعجز الجيش على الرغم من مرور حوالي شهر من حسم المعركة".

أكـد جمـيع المراسلين العسكريين للصحف الإسرائيلية أن القرار جاء بسبب عدم قدرة آدم وطاقم الجنرالات الذين يعملون معه على إدارة المعركة، ناهيك عن

عجزه عن توظيف القوات الكبيرة التي دفع بها لساحة المعركة؛ الأمر الذي أحرج قيادة الجيش؛ حيث إنه يعمل تحت إمرة آدم 10 آلاف جندي، ومع ذلك لا يبدو أنه قـادر على حسم المعركة في مواجهة بضع مئات من مقاتلي حزب الله، كما يقول روني دانئيل المعلق العسكري للقناة الثانية.

ألون بن دافيد – المراسل العسكري للقناة العاشرة الإسرائيلية – أكد أن قرار الإطاحة بآدم حظي بتأييد كل من رئيس الوزراء إيهود أولمرت ووزير حربه عمير بيـريتس اللذين أصابهما الإحباط والحرج الشديدان، بعد أن تبين أن ما قاما به من كيل المديح لقادة الجيش في غير محله مطلقا.

ويقول مراسل "إسلام أون لاين.نت" للشؤون الإسرائيلية: إن قسما من تعليقات المحللـين العـسكريين ذهـب إلى أن الجنرال آدم قد مهّد للهزيمة أمام حزب الله، عندما قال في تعقيبه في تصريح صحفي على عدد القتلى الكبير من جنود الاحتلال فـي المعـارك بأنـه "لا يحصي الجثث في أثناء المعارك"، في إشارة إلى تسليمه بسقوط عدد كبير منهم.

اللافـت أن الجنرال آدم هو جنرال بارز وذو تاريخ عسكري كبير؛ فقد كان قائدا لسلاح المدرعات، وأصبح فيما بعد قائدا لفرقة منطقة الجليل، إلى جانب ذلك فهو نجل الجنرال يوكتئيل آدم نائب رئيس هيئة الأركان الذي قتل بنيران حزب الله فـي أثـناء الغزو الإسرائيلي للبنان في عام 1982، وكان قبل قتله مرشحا لتولي منصب رئيس جهاز المخابرات الإسرائيلية (الموساد).

وفـي حادثـة نـادرة خرج الجنرال آدم، وأجرى مقابلة مع القناة الثانية في التلفزيون الإسرائيلي؛ حيث أبدى امتعاضه الشديد من قرار حالوتس.

مكتب رئيس هيئة الأركان أغرق وسائل الإعلام بالتفاصيل التي جعلته يختار نائـبه الجنرال كابلينسكي ليقود المعركة في مواجهة حزب الله؛ حيث تمت الإشارة إلـى تاريخـه كقائـد لـواء "جولاني" الذي يضم قوات النخبة، في أثناء الاحتلال الإسـرائيلي لجـنوب لبنان، وقاد العديد من العمليات، ناهيك عن تدرّجه في قيادة العملـيات البرية التي تؤهله لقيادة الجبهة في مواجهة حزب الله حاليا، لا سيما مع تحوّل المعركة لتكون في المجال البري بشكل أساسي حالياً.

وقد باشر كابلينسكي عمله كقائد للعملية من خلال مقر قيادة المنطقة الشمالية؛ حيث يراهن الوسط السياسي والعسكري الإسرائيلي على قيادته للمعركة، على اعتبار أن الجنرال حالوتس قدم لقيادة الأركان من سلاح الجو؛ الأمر الذي أفقده القدرة على إدارة المعركة بشكل جيد.

ويجمع المراقبون على أن كابلينسكي سيعمل كل جهده من أجل إثبات نجاحه في المعركة، على اعتبار أن نجاحه هذا سيمهّد له الطريق لتولي قيادة أركان الجيش بعد حالوتس الذي قد تتم إقالته في حال تشكيل لجنة تحقيق بعد انتهاء الحرب.

ما أجمعت عليه وسائل الإعلام الإسرائيلية هو أن القرار قد مس بمعنويات الجنود. وكما يقول المعلّق العسكري أمير أورن في مقابلة مع الإذاعة الإسرائيلية باللغة العبرية فإن "القرار أظهر للجنود ولذويهم أنهم لم يكونوا في أيد قادرة على التوجيه، وأنه قد كان من الممكن حفظ بعض أرواح الجنود الذين قتلوا في المعركة".

ومن ناحية ثانية فإنه إلى جانب الاعتبارات المهنية التي أطاحت بآدم؛ فإن الكثير من المعلّقين يرون أن هناك اعتبارات شخصية وراء القرار؛ الأمر الذي جعل بعض المعلّقين يطلقون على ما يجري بأنه "حرب جنرالات".

الجنرال أوري ساغيه الذي شغل في السابق منصب رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية قال لإذاعة الجيش الإسرائيلي: "لا يتوجب الإطاحة بآدم فقط، بل بأولئك الذين عيّنوه في هذا المنصب".

وأضاف ساغيه أنه تولد انطباع لدى قيادة الجيش أن الجبهة الشمالية أصبحت هادئة، وبالتالي بالإمكان تعيين قائد غير مبدع؛ الأمر الذي وجد تعبيره في الخسائر التي تتكبدها إسرائيل في الحرب.

وفي كل تاريخ إسرائيل الذي لا يتعدى 60 عاماً لم يحدث أن تم إقصاء قائد في أثناء المعركة إلا مرتين فقط؛ المرة الأولى في حرب عام 1973 عندما تبين ضعف أداء قائد المنطقة الجنوبية الجنرال شموئيل جورودوش، وعجزه عن إدارة المعركة في مواجهة الجيش المصري؛ فتم استبدال الجنرال حاييم بارليف به.

وقبل يوم من اندلاع حرب عام 1967 انهار رئيس هيئة الأركان في ذلك الوقت إسحاق رابين؛ فتم استبدال الجنرال عيزرا فايتسمان لبعض الوقت به.

شهادات إسرائيلية تفضح الإحباط العربي

بعد الصمود الذي أبداه حزب الله في مواجهة العدوان الإسرائيلي بدأت الصحف الإسرائيلية في نشر شهادات لعسكريين وقادة أجهزة استخبارات تشيد بقدرة حزب الله القتالية، وحسن إدارته وتكتيكاته، التي ظهرت بشكل واضح خلال العمليات المتنوعة التي نفذتها مؤخراً جماعة المقاومة اللبنانية ضد أهداف إسرائيلية.

ويقول المحلل السياسي الفلسطيني والخبير بالشأن الإسرائيلي صالح النعامي: "من المهم جداً أن يستمع العرب والمسلمون إلى هذه الشهادات البالغة الأهمية التي أدلى بها عسكريون وقادة الأجهزة الاستخبارية الإسرائيلية حول تقييمهم لنجاحات المقاومتين الفلسطينية واللبنانية؛ حتى تنفضح أصوات الإحباط المنطلقة من العالم العربي، والتي تدفع نحو التيئيس من المقاومة وخيارها".

وتمكّن حزب الله في أقل من أسبوع من أسر جنديين إسرائيليين، وقتل 12 آخرين، وقصف بارجة إسرائيلية قبالة سواحل بيروت، وإطلاق صواريخ على مدينة حيفا (35 كم من الحدود مع لبنان) ثالث أكبر مدن إسرائيل، أثارت الذعر بين سكانها.

وفي تصريحات لصحيفة "معاريف" العبرية أشاد الجنرال عامي أيالون – الرئيس السابق لجهاز المخابرات الإسرائيلية الداخلية (الشاباك)، القائد السابق لسلاح البحرية – بعملية أسر الجنديين الإسرائيليين، بوصفها عملية "كوماندوس مركبة ومهنية". أطلق أيالون أيضاً الوصف ذاته على العملية التي نفذتها يوم 25 يونيو 2006 ثلاثة أجنحة فلسطينية مسلحة، بينها كتائب الشهيد عز الدين القسام الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية "حماس"، وأسرت خلالها جندياً إسرائيلياً، وقتلت اثنين آخرين.

وأردف أيالون بالقول: "أنا رجل عسكري، وكنت سأفخر بأن أقودهما" (حزب الله وحماس). واعتبر الخبير العسكري الإسرائيلي أن قصف حزب الله لبارجة

إســرائيلية – أسفر عن مقتل 4 من بحارتها – هو بمثابة "إنجاز" لجماعة المقاومة، قــائلاً: "لا ريب أن ضرب بارجة حديثة يعد إنجازا، مثلما هو قصف طبرية وحيفا بالصواريخ".

وأقــر أيالــون بوجود قصور من جانب الأجهزة الأمنية الإسرائيلية في هذا الصدد، مشددا على ضرورة إجراء سلاح البحرية "تحقيقاً شاملا" في الحادث بهدف "استخلاص العبر".

أمــا كارمي جيلون – الرئيس الأسبق للشاباك – فقال في حديث للقناة الأولى بالتلفزيون الإسرائيلي: "إنني متأكد أن الحركة الصهيونية لم تكن لتستطيع الإعلان عــن قــيام دولــة إسرائيل في 1948 لو كان هناك قبلها عرب على شاكلة رجال المقاومة الفلسطينية ومقاتلي حزب الله".

واستطرد جيلون بالقول: "لولا أن ما يحدث هو حقيقة ماثلة للعيان لاعتبرنا ما تشهده دولتنا مجرد كابوس قاس، عندما تستنزف طاقتها في مواجهة تنظيمات قليلة الإمكانيات، مع كل ما نملكه من أسباب القوة".

الإسرائيليون يشعرون بالهزيمة

"نتــيجة لخطيــئة الغرور"، "الحرب الأكثر فشلا في تاريخ إسرائيل"، "الجميع يــستطيع أن يتغوط علينا بصواريخه"، "نريد شبكة أنفاق تحت الأرض"، "حتى لو جــاءوا بــرأس نــصر الله فقد انتصروا وخسرنا نحن".. هذه بعض العناوين التي عبــرت بهــا الــصحف الإسرائيلية على لسان محللين وعسكريين إسرائيليين عن شــعور الــشارع والنخــبة السياسية والفكرية بالإخفاق أمام المقاومة اللبنانية، مع اكتمال الأسبوع الثالث للحرب وبدء أسبوعها الرابع.

المفكر والمؤرخ الإسرائيلي "زئيف شترنهال" اعتبر في مقال بصحيفة "هاآرتس" الإســرائيلية الأربعاء 2 – 8 – 2006 أنها "الحرب الأكثر فشلا" في تاريخ إسرائيل. واستهجن خطاب رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت الموغل في التفاؤل الثلاثاء 1 – 8 – 2006 أمــام منتــسبي كلية "الأمن القومي" بتل أبيب، الذي تحدث فيه عن "نتائج غير مسبوقة" لإسرائيل ستغيّر مسار الأحداث كما خططت لذلك حكومته.

وكـتب "شـترنهال": "بعـد مـضي كل هذا الوقت (22 يوما) فإن أولمرت وحكومـته وجيـشه هم الذين تحولوا وأصبحوا يخفضون من سقف الأهداف التي وضـعوها للحرب؛ فبعد أن أعلنوا عن هدفين أساسيين وهما: استعادة قوة إسرائيل الـردعية فـي مواجهة العرب، وتصفية حزب الله، نجد أن هذين الهدفين يتقلصان كثيـرا، ليصبح مجرد إبعاد مواقع حزب الله الأمامية عن الحدود الشمالية لدولتنا، ونشر قوات دولية".

ويتـساءل "شترنهال" باسم رجل الشارع الإسرائيلي الذي أصبح حائرا: "هل تُستعاد قوة الجيش الردعية بهذه الطريقة التي تعطي نتيجة معاكسة تماماً؟".

ومـثل بقية المعلّقين يوجه "شترنهال" سهام نقده لسلاح الجو الإسرائيلي، قـائلاً: "لقـد تبـين أمـام العالم كله أن سلاح الجو الجبار لم ينجح في إيقاف الصواريخ".

أكثـر التعليقات تعبيرا عن الهزيمة التي يشعر بها كل إسرائيلي، قالها المفكر والكاتـب المـسرحي الساخر "يونتان شام أور" عندما كتب في صحيفة "معاريف" الإسرائيلية الأربعاء قائلاً: "خسرنا".

وأضـاف "شـام أور" بمرارة: "لم يعد مهما إذا كان الجيش سيصل إلى نهر الليطانـي. لـم يعد مهما حتى إذا كانوا سيجلبون هنا رأس نصر الله (الأمين العام لحـزب الله)، أو بن لادن (زعيم القاعدة)، وجثة هامان الشرير؛ فقد انتصروا هم، وخسرنا نحن".

ويعتبـر المفكّر والكاتب الإسرائيلي أن نتائج المواجهة الحالية ستلقي بظلالها علـى نتائج المواجهات القادمة بين إسرائيل وحركات المقاومة العربية؛ باعتبارها أعطت دفعة معنوية هائلة للجماعات المناوئة لإسرائيل، ونصح بأن تستعد إسرائيل مـن الآن لإنـشاء شـبكة من القطارات تحت الأرض بكل مدينة إسرائيلية تجنبا لصواريخ المقاومة.

ومضى بقوله: "وبدون قطارات تحت الأرض في المراكز السكانية الكبرى لن نبقى على قيد الحياة؛ فبعد أن فقدنا قوة الردع يمكن لكل واحد أن يتغوط علينا بأي قدر من الصواريخ يروق له".

ويـتوقع "شـام أور" أن تـسدل الحـرب الحالية الستار على خطط أولمرت الـسياسية أحاديـة الجانب بشأن الضفة الغربية المحتلة؛ بل وأن تضع نهاية قريبة لحزبه "كاديما" الحاكم، الذي يحوز حالياً على أكبر عدد من المقاعد بالكنيست.

تنبؤات بزلزال سياسي

ويقول مراسل "إسلام أون لاين.نت" للشؤون العبرية: لا خلاف بين المعلّقين الإسـرائيليين علـى أن الحرب الحالية ستؤدي إلى زلزال على الصعيد السياسي والعـسكري؛ حـيث من المتوقع في نهايتها أن يعلن عن تشكيل لجنة للتحقيق في أسباب فشل الخطوات العسكرية.

وتـتوقع وسائل الإعلام الإسرائيلية على نطاق واسع أن توصي اللجنة بعدم تعيـين رئيس هيئة أركان للجيش قضى خدمته العسكرية في سلاح الجو، كما هو الحـال بالنـسبة لـرئيس الأركان الحالي دان حالوتس، الذي لا خلاف بين جميع المستويات السياسية والعسكرية على أن أداءه "غير مهني".

وفـي مقال مشترك بـ "هاآرتس" يشير الصحفيان "أفي زخاروف" و"عاموس هارئـيل" – نقـلا عن عدد من قادة الجيش – ما أسموه بـ "خطيئة الغرور" التي تـصورت معها قيادة الجيش أنه بالإمكان القضاء على خطر الصواريخ بالغارات الجـوية، في حين أشار هؤلاء القادة إلى الإهمال المتواصل بشأن تدريبات وحدات الاحتـياط ومعداتها. ويؤكد "هارئيل" و"زمخاروف" أن ضباط الجيش يجزمون أن التحقيق في هذه الحرب سيُحدث هزة في الجيش الإسرائيلي.

وعـن هـدف العمليات البرية، تؤكد كل من المستويات العسكرية والسياسية بالدولة العبرية أنها تستهدف السيطرة على المناطق الممتدة بعمق يتراوح بين 5 و 7كـم داخـل لبنان، والاحتفاظ بها كورقة مساومة حتى يتم تسليمها للقوات الدولية التي تدعو العديد من الأطراف لنشرها على الحدود المشتركة.

وبحـسب مراسـل شبكة "إسلام أون لاين.نت".. فإن اللافت للنظر أنه حتى بعـض الـوزراء الإسـرائيليين لا يؤمنون بجدوى الاحتفاظ بهذا الحزام، وبالتالي بجدوى شن الحملة البرية.

ونقلــت "هــاآرتس" عــن وزيرة الخارجية "تسيبي ليفني" قولها لقادة الجيش متـسائلة: "ما جدوى الاحتفاظ بحزام أمني ما دام حزب الله قادراً على قصفنا من المنطقة التي تقع شمال هذا الحزام؟".

الـنائب الـسابق والكاتب "أوري أفنيري" يسخر من ترديد الجيش بأن هدف العملية البرية هو إبعاد حزب الله عن الحدود مع إسرائيل.

ويقول في مقال بـــ "معاريف": "الذين وضعوا هذا الهدف يتجاهلون حقيقة أن حــزب الله متغلغل تماماً في الأوساط الشيعية بجنوب لبنان، وبالتالي فإنه لا يمكن إبعاده إلا في حالة طرد جميع الأهالي من قراهم للأبد!".

ويسخر "أفنيري" – الذي كان أول الصحفيين الإسرائيليين الذين غطوا الحرب على لبنان عام 1982 – من قول أولمرت بأن الحرب الحالية أحدثت تغييرا كبيرا. ويقــول: "هذه الحرب أحدثت بالفعل تغييرا، وهو توحيد الشيعة والسنة ضدنا؛ فهل هذا هو التغيير الذي وعدنا به أولمرت؟".

المعلّــق "عــوزي بنزيمان" بصحيفة "هاآرتس" ذهب إلى وجود دور لرئيس الــوزراء السابق إرييل شارون في إيصال "إسرائيل إلى هذا الحد من الضعف في مواجهة حزب الله؛ لأنه أهمل الاهتمام بالخطر الذي يمثّله".

ويحذّر "أفرايم هليفي" – الرئيس السابق للموساد – بدوره الحكومة الإسرائيلية من مغبة الوقوع أسيرة للشعارات التي ترفع.

ويــؤكد أنـــه بدلاً من انتظار نشر قوات دولية، يجب أن تتوجه إسرائيل إلى إيران، وأن تعقد معها صفقة شاملة بمساعدة الولايات المتحدة. وتكرر إسرائيل أن إيران ترعى وتدعم جماعة المقاومة اللبنانية.

وأسفرت المواجهات مع دخولها يومها الثاني والعشرين عن استشهاد ما يزيد عــن 840 فـــي لبــنان، غالبيتهم العظمى من المدنيين، وإصابة أكثر من 3 آلاف آخرين، ونزوح ما يزيد عن 650 ألفاً، بالإضافة إلى تدمير بنية تحتية تقدر قيمتها بعدة مليارات من الدولارات.

كما قتل حزب الله ما يزيد عن 51 إسرائيلياً، بينهم أكثر من 30 عسكرياً، وأصاب ما لا يقل عن 1500 إسرائيلي، وتسببت صواريخه في هروب نحو 330 ألفا من شمال إسرائيل.

كل تداعيات الفشل السابقة على الجيش الإسرائيلي كان لها انعكاسات واضحة علـى الـساسة والمواطنين والجيش في إسرائيل؛ فوقف وزير الدفاع الإسرائيلي "عميـر بيـريتس" ليصارح شعبه قائلاً: "لقد تكبدنا خسائر فادحة في المواجهة مع حزب الله، ولكن عزيمتنا لن تنكسر"، وذهبت زميلته بالوزارة "تسيبي ليفني" لمدى أبعـد قائلة: "إن الحملة العسكرية على حزب الله كانت لتقوية موقفنا التفاوضي في صـفقة تـبادل الأسـرى"، بينما تزاحم 200 ألف مستوطن أمام أبواب السفارات الأجنبـية لتقديم طلبات للهجرة خارج إسرائيل، وفي إحدى المستوطنات قام سكانها برمي الجنود بثمرات البطاطس، قائلين لهم: "كفاكم عاراً وذلاً؛ فنحن لا نرى سوى أطفال يقتلون.. نحن نريد جنودا.. نريد قتلى في حزب الله".

وذكـرت صـحف إسرائيلية عديدة أن تواصل قصف حزب الله لمدن شمال إسرائيل رغم القصف المكثف للبنان أثار سخطاً شعبيّاً تجاه الجيش.

ونقلـت صحيفة "معاريف" عن أوريت دجاني - رئيسة منظمة "الأم الخامسة" الإسـرائيلية التـي تدعـو للانسحاب من الأراضي المحتلة - معنفة قادة الجيش: "خـسارة أنكـم توهمـون أنفسكم بأن هذه الضربة ستحقق شيئاً ما.. خسارة تلك التصريحات التي تطلقونها والوعيد بالتدمير والإبادة والتحطيم. لقد قلتم لنا ذلك في السابق، وتأكدتم بأم أعينكم أن ذلك لا يتحقق".

وتواصل رشقات التوبيخ للجيش قائلة: "ما تقومون به في لبنان لم يكن ليحدث لـو أن الجيش قد أدى دوره الذي يطلقه على نفسه كجيش للدفاع. هذا الرد لم يكن ليحـصل لو أن الجيش لم يكن في حالة ضعف وإهمال؛ حيث إن جنوده تعرضوا لثاني عملية اختطاف خلال 20 يوماً".

ومـضت تقـول: "إن تغطـية الإهانة التي لحقت بكرامة العسكر تدفعكم إلى الانفلات الأهوج من دون تعقّل، وتطلقون عليه اسم: الردع".

أما أربيه شافيت - كبير المعلّقين بصحيفة "هاآرتس" الإسرائيلية واسعة الانتشار - فقد اعتبر أن "الحرب التي تشنها إسرائيل ضد حزب الله تُدار بصورة سيئة".

ويـضيف: "الاسـتخبارات (العسكرية) رديئة، والجيش متلعثم متخبط وغير خلاق. رئيس الحكومة لا يقف أمام الأمة كما يجب، ووزيرة الخارجية لا تقف أمام

العالم بالمرة. القيادة الوطنية كلها – مدنية وعسكرية – تبدو تائهة من دون بوصلة أو تركيز أو اتجاه محدد. نتيجة لذلك كله نجد أن إسرائيل تنتقل من خطوة عسكرية عنيفة إلى أخرى من دون منطق أو نظام محدد أو هدف إستراتيجي".

الجنرال أوري ساغيه – الرئيس الأسبق لشعبة الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية – انتقد بدوره العمليات العسكرية للجيش، واعتبر أن الحل العسكري للأزمة غير ممكن، وقال: "الحل يكمن في التفاوض وليس في العدوان على لبنان" بحسب صحيفة "هاآرتس" في عددها الثلاثاء 18 – 7 – 2006.

حرب كسر الإرادة..

خسائر إسرائيل

لم تكد حدة العدوان العسكري الموسع على لبنان تخفت، حتى باشرت وسائل الإعلام في إسرائيل إحصاء خسائر "جيش الدفاع" في الحرب التي شنتها الدولة العبرية دون أن تتمكن من تحقيق الأهداف المرجوة منها، وفي مقدمتها إنهاء القدرة العسكرية لحزب الله على تهديد العمق الإسرائيلي، وذلك على مدار 33 يوماً هي عمر القتال.

ووفقاً لإحصاء أعدته شبكة "إسلام أون لاين.نت" على الإنترنت الثلاثاء 15 – 8 – 2006 استناداً لوسائل إعلام إسرائيلية ومعطيات رسمية وعسكرية إسرائيلية.. فإن "عداد الخسائر" الإسرائيلية سجل 157 قتيلاً، بينهم 117 جندياً.

وتشير بعض المواقع الإخبارية الإسرائيلية على الإنترنت – ومن بينها "إسرائيل نيوز" – إلى أن حصيلة القتلى بين الجنود الإسرائيليين تقترب من 200.

أما عن أعداد المصابين.. فإن حالة من التعتيم يفرضها الجيش تجعل من الصعب تحديد الرقم بدقة، غير أن وسائل إعلام إسرائيلية تناقلت تقارير تتحدث عن أن الإصابات تتعدى 4 آلاف حالة في الجيش ما بين خطيرة ومتوسطة وخفيفة.

ومن جهتها، أفادت وكالة رويترز للأنباء بأن 450 جندياً أصيبوا في المواجهات مع مقاتلي حزب الله.

وبالنسبة للخسائر البشرية في صفوف الإسرائيليين من سكان بلدات الشمال التي أمطرها حزب الله بالصواريخ.. فقد وصل العدد إلى 40 مواطناً، بينهم 16 من عرب إسـرائيل، وغالبيـتهم من مستوطنة كريات شمونة ومدينة حيفا الإستراتيجية التي تعد ثالث كبرى المدن الإسرائيلية. كما أصيب في الغارات الصاروخية نحو 1000 مواطن خضع بعضهم للعلاج في مستشفيات بتل أبيب، حسب معطيات شرطة شمال إسرائيل.

وقـد فـر قـرابة 300 ألف إسرائيلي من منازلهم بعد الهجمات الصاروخية لحزب الله على شمال إسرائيل.

ولـم تقتصر الإصابات في صفوف الجنود وسكان الشمال على الشق البدني مـنها فقـط، وإنمـا امـتدت لتشمل الجانب العصبي أيضا؛ حيث تحدث الإعلام الإسرائيلي عن حالات إصابة بالهلع والاكتئاب جراء الحرب.

ورصـد مستشفى "إيخيلوف" في تل أبيب قرابة 1720 حالة اكتئاب، جميعها هـرعت مـن مدن الشمال، فيما أصيب ما يقرب من 20 ألف إسرائيلي بأضرار نفسية بالغة.

نفـس الأمـر كـشفت عنه صحيفة "معاريف" الإسرائيلية، مشيرة إلى وجود المـئات من الجنود المصابين بأمراض عصبية جراء الحرب المتواصلة، والخوف من المصير المجهول، في ظل الخسائر التي يتكبدها الجيش يومياً.

وخـلال الأيـام الـ 33 للحرب أطلق حزب الله قرابة 3970 صاروخا على مـدن شمال إسرائيل ووسطها أيضا؛ وهو ما أسفر عن إصابات مباشرة في آلاف المنازل، و57 مصنعاً وورشة صغيرة، و570 محلا تجاريا و1200 سيارة، وكذلك تدمير 42 حقلاً زراعياً، فضلاً عن تضرر أكثر من 10 آلاف شجرة. كما اضطر أكثر من مليون ونصف المليون إسرائيلي من سكان الشمال للتحول إلى لاجئين.

استخلاص العبر من الحرب مع حزب الله لا يتوقف في إسرائيل، وأعجب ما تفـتقت عنه العقلية الإسرائيلية في هذا الجانب ما كشف عنه التليفزيون الإسرائيلي من أن هيئة أركان الجيش تدرس السماح لجنودها بتناول جرعات محدودة من مادة الحـشيش والماريجـوانا في أثناء الحروب لمساعدتهم على التخلص من الأزمات النفسية الناجمة عن حالات الهلع والفزع التي يصابون بها.

وأوضحت القناة الثانية بالتليفزيون الإسرائيلي صباح الإثنين 28 – 8 – 2006 أن تـــوجه قيادة الجيش نحو السماح للجنود بتعاطي جرعات محدودة من الحشيش والماريجـــوانا يأتـــي بعـــد أن تبـــيّن حجم تأثير الأزمات النفسية على أداء الجنود الإسرائيليين في أثناء الحرب.

ونقلـــت القناة التليفزيونية عن مصدر في قيادة الجيش قوله: "هذا التوجه جاء بعد أن أوضح العديد من الدراسات في إسرائيل والعالم أن تعاطي جرعات صغيرة مـــن هاتـــين المادتين يمكن أن يؤدي إلى تقليص أثر الأزمات النفسية الناجمة عن المواجهات في ساحات المعركة".

العقـــيد الدكتور حاييم كبلر – الرئيس السابق لقسم الصحة النفسية في الجيش الإسرائيلي، أحد المتحمسين لهذا التوجه – قال: "يتوجب إعطاء الجنود جرعات من الماريجـــوانا والحشيش بعد تعرضهم للأزمات النفسية الناجمة عن المعارك، وليس قبل ذلك".

ويـــؤكد كبلـــر فـــي مقابلـــة مـــع التليفزيون الإسرائيلي أن تدخين الحشيش والماريجوانا سيكون جزءاً من منظومة علاجية شاملة؛ بحيث يكون دورهما تكميليا في علاج الجنود الذين يقعون تحت تأثير الأزمات النفسية.

وتبـــين أن للحـــشيش والماريجـــوانا – بحسب كبلر – دورا في تقليص أثر الكوابـــيس الليلية التي يعاني منها الجنود الذين يقعون تحت طائل الأزمات النفسية الناجمة عن الشعور بالهلع والفزع في أثناء الحرب.

وأوضح العقيد الدكتور كبلر أنه من خلال عمله الطويل كرئيس لقسم الصحة النفسية في الجيش يعلم أن عدداً كبيراً من الجنود يتعاطون الحشيش والماريجوانا، و"يزيد هذا التعاطي في أثناء الحروب؛ ففي حرب رمضان (6 أكتوبر 1973) كان هناك إقبال كبير من الجنود الإسرائيليين على تدخين الحشيش".

وشـــدد كبلر على أن الدراسات التي أجريت في إسرائيل وفي دول كثيرة من العـــالم تفـــرض على قيادة الجيش – وتحديدا قسم الصحة النفسية فيه – أن يوفر فرصة لتجربة تأثير هاتين المادتين.

تـــوجهات قيادة الجيش في هذا الشأن استفزت مشاعر عائلات الجنود؛ حيث

أعـرب ممـثلو عائلات الجنود الذين يخدمون في صفوف الجيش الإسرائيلي عن رفضهم لهذه الفكرة.

ونقـل التليفزيون الإسرائيلي عن ربة إحدى العائلات قولها: إن تعاطي هاتين المادتين يؤدي إلى الانتحار في النهاية.

وبيـنت أن ابنـتها التـي كانت تتعاطى مادة الماريجوانا تدهورت أوضاعها النفسية لدرجة أنها أقدمت على الانتحار.

جانـب آخر لهذه القضية أثاره التليفزيون الإسرائيلي بتحذيره من أنه إذا أجـاز الجـيش استخدام الحشيش والماريجوانا؛ فإن ذلك سيضفي شرعية على تعاطـي هاتين المادتين، رغم أن القانون الإسرائيلي يحظر اقتناءهما والتعاطي والاتجار بهما.

وكانـت دراسـة إسرائيلية أجريت مؤخراً قد أظهرت وجود 90 ألف مدمن للهيروين في إسرائيل، و60 ألف طفل مدمن للمخدرات والكحول، وهو عدد مرتفع جداً مقارنة بإجمالي عدد السكان في إسرائيل.

وبعـد انتهاء الحرب التي شنتها إسرائيل على لبنان يوم 12 يوليو الماضي، بعـد ساعات من أسر حزب الله جنديين إسرائيليين، كشفت وسائل إعلام إسرائيلية عن وجود المئات من الجنود المصابين بأمراض عصبية جراء الحرب.

وقتل نحو 117 جندياً إسرائيلياً في المواجهات مع حزب الله، التي دامت 34 يوماً على التوالي.

وخلال الأعوام الثلاثة الماضية أصدرت المحاكم العسكرية الإسرائيلية أحكاما بالسجن على عدد من الجنود بعد إدانتهم بـــ "التخابر مع العدو"، وبتقديم معلومات عسكرية حساسة مقابل الحصول على المخدرات.

كمـا وجهـت اتهامات لعدد من ضباط الجيش والشرطة الإسرائيليين بتقديم مساعدات لتسهيل عمل تجار المخدرات مستغلين الامتيازات التي يتمتعون بها.

وفـيما يـتعلق بالعتاد.. فإن الحرب – التي تعد الأطول في تاريخ الحروب الست التي خاضتها إسرائيل مع أطراف عربية – أفقدت الجيش الإسرائيلي العديد من معداته في أسلحة الطيران والبحرية والمدرعات.

أهم هذه الخسائر تمثلت في تدمير الزورق البحري من طراز "سوبر دفورا"، الذي يُشكل أحد أهم القطع البحرية الإسرائيلية.

مـن ناحية أخرى.. تجدد الجدل حول مشاركة الدبابات الإسرائيلية من طراز "ميـركافا" فـي هذه الحرب، بعد قرار الحكومة في إبريل الماضي بوقف إنتاجها توفيراً للنفقات الاقتصادية، وبسبب عدم جدواها في تحقيق أهدافها في الحرب.

يذكـر أن تكلفـة إنـتاج الدبابة الواحدة تصل إلى 4.4 مليون دولار. واعتبرت أوساط عسكرية هذه الدبابة الوجبة المفضلة للمقاومة اللبنانية خلال المواجهة. وبحسب تقديرات مستقلة.. فإن مقاتلي حزب الله تمكنوا بواسطة الصواريخ المضادة للدروع من إعطـاب أو تدميـر قرابة 124 دبابة "ميركافا" خلال الحرب، منها ما لا يقل عن 21 دبابة دمرت خلال يوم واحد وهو السبت 12 – 8 – 2006.

وكانـت هـذه الدبابة قد تعرضت لانتقادات حادة خلال الانتفاضة الفلسطينية الثانية التي اندلعت في سبتمبر 2000، عندما نجحت المقاومة الفلسطينية في تدمير دبابتين منها في أقل من أسبوع واحد.

وامـتدت الخـسائر في هذا القطاع إلى المدرعات؛ حيث أصيبت 12 مدرعة وحاملة جنود في نهاية الأسبوع الثاني للحرب.

ودفعـت هذه الخسائر الجيش الإسرائيلي إلى العهدة بمهمة نقل معدات الجنود أحـيانا إلى حيوان "اللاما" الذي تم استيراده خصيصا من جنوب أفريقيا والولايات المتحدة.

ولم تفلح جهود الإعلام الإسرائيلي في إخفاء خسارة سلاح الجو الإسرائيلي – رمـز القوة في تاريخ إسرائيل – لحوالي أربع طائرات، منها طائرة عسكرية من طراز "لوجو بوينج" التي يقدر ثمنها بعدة ملايين من الدولارات.

كما أضرت الحرب كثيراً بالسمعة التي تتمتع بها الأسلحة الإسرائيلية الصنع؛ وهـو مـا حذرت صحيفة "يديعوت أحرونوت" الإسرائيلية من تأثيره السلبي على صفقات إسرائيل المستقبلية للسلاح.

وتـرتبط هـذه الخـسائر ارتباطاً وثيقاً بالخسائر الاقتصادية؛ حيث قدّر بنك إسـرائيل الأضرار الاقتصادية الناجمة عن الأنشطة السياحية والصناعية المفقودة

بخمسة مليارات شيكل (1.5 مليار دولار)، أو ما يعادل نحو 1% من إجمالي الناتج المحلي المتوقع.

وقـد بلـغ الإنفاق العسكري الإسرائيلي خلال هذه الحرب حوالي 22 مليون دولار يومياً.

علـى الجانـب الآخر، استشهد نحو 1100 شخص في لبنان، بينهم أكثر من ألـف مدنـي، وأصـيب 3700 شخص على الأقل، وتشرد نحو مليون لبناني بدأ الآلاف منهم في العودة إلى ديارهم بالجنوب مع بدء سريان الهدنة في الخامسة من صباح الإثنين 14 – 8 – 2006 بتوقيت جرينتش.

وتحدثت مصادر عسكرية إسرائيلية عن مقتل حوالي 500 من مقاتلي حزب الله في المعارك، غير أن الحزب يتحدث عن نحو 100 شهيد فقط من مقاتليه خلال الحرب.

وبالنسبة للخسائر المادية.. فقد شملت تدمير العديد من المنشآت الحيوية، منها مطار بيروت وعدة موانئ، و32 محطة وقود، و630كم من الطرق، و145 جسرا، و9 آلاف مـصنع ومحـل تجـاري ومزرعة وسوق، والعديد من خزانات المياه ومحطـات تولـيد الطاقة، فضلاً عن تدمير آلاف المساكن. كما أصيبت محطات إرسـال تلفزيوني وإذاعي وهوائيات للهاتف الجوال وأماكن عبادة وقواعد ومعدات عـسكرية. وقـدر مجلـس التنمية وإعادة الإعمار في لبنان الأضرار الناجمة عن القصف الإسرائيلي بنحو 2.5 مليار دولار حتى نهاية يوليو.

وتـسرب مـا يتـراوح بـين 10 و15 ألف طن من زيت الوقود الثقيل إلى الشواطئ اللبنانية، بعد أن قصفت إسرائيل محطة كهرباء جنوب بيروت متسببة في أكبـر أزمـة بيئية في تاريخ البلاد. وتقدر وزارة البيئة تكلفة تنظيف الشاطئ من التسرب بمائة مليون دولار على الأقل.

هكذا صمد حزب الله!

ويبقى السؤال: كيف صمد حزب الله أمام الترسانة العسكرية الإسرائيلية على امتداد نحو 5 أسابيع؟

تتمثل الإجابة عن هذا السؤال في أن مجموعات صغيرة من مقاتلي حزب الله استطاعت أن تصمد في سفوح الجبال والتلال اللبنانية تحت وابل قصف مدفعي وجوي إسرائيلي كثيف، وأمام هجمات برية كاسحة لأكبر قوة عسكرية في الشرق الأوسط، لم تتمكن من وقف قصف شمال إسرائيل بالصواريخ من مواقع تبعد بضع مئات من الأمتار فحسب من الخط الحدودي الفاصل بين البلدين، وربما عشرات الأمتار عن الجنود الذين توغلوا بالجنوب.

وأبدى بعض المحللين - وفيهم قادة عسكريون تابعون لقوة حفظ السلام الدولية بالجنوب اللبناني - انبهارا من قدرة مقاتلي الحزب المذهلة على مواصلة الحرب ضد أقوى قوة عسكرية بالمنطقة بأسرها، وأرجعوا ذلك الصمود إلى التخطيط الحربي الدقيق، إضافة إلى فهمه العميق للعقيدة الإسرائيلية العسكرية وإستراتيجيتها وقدراتها القتالية.

ويقول "تيمور جوكسيل" الذي عمل مع قوات حفظ السلام الدولية بجنوب لبنان (يونيفيل) منذ عام 1979 وحتى عام 2003: "لإسرائيل تجربة ممتدة لأكثر من عقدين من الزمان في خوض المواجهات مع حزب الله، إلا أنها رغم ذلك لا تكف عن الاستهانة بقدرات عدوها والاستخفاف به دونما مبرر فيما يبدو".

وأضاف: "وهاهي الآن قد أُرغمت على شن حرب واسعة النطاق على الجنوب اللبناني؛ أملا في تدمير هذا العدو، ولم تحقق ما رمت إليه مطلقاً حتى هذه اللحظة" حسبما قال في تقرير نشرته صحيفة "كريستيان سيانس مونيتور" الأمريكية الجمعة 11 - 8 - 2006.

وأرجع المحلل العسكري قدرة حزب الله على مواصلة قصفه لإسرائيل بالصواريخ إلى عدة أسباب وعوامل، منها استخدامه للصواريخ المتطورة المضادة للدبابات والمدرعات، واستخدامه للقناصة المدربين، علاوة على توظيفه للقنابل والمتفجرات المزروعة على جوانب الطرق، مضيفا إليه استخدامه للحصون والمخابئ والأنفاق الأرضية.

وأشار "جوكسيل" إلى نقطة أخرى، هي أنه بدلاً من تكديس الأسلحة والذخيرة في ترسانات معدودة، قام حزب الله بتفريق الذخائر والصواريخ والأسلحة على

الجـنوب اللبناني كله، في البيوت والجراجات وفي المستودعات والكهوف، وكان هـذا يعني أن وحدات حزب الله كانت قادرة على الوصول لتلك الذخائر والأسلحة بسرعة قياسية في أي وقت وفي أي مكان.

هـذه النفاذية والسرعة في الوصول للأسلحة والذخائر منح مقاتلي حزب الله سـرعة الـرد علـى أي محاولة إسرائيلية للإنزال أو الاختراق؛ وهو ما أدى في النهاية إلى ارتفاع جهوزية أفراد حزب الله، فأدركوا بعد 18 عاماً من النضال مع إسرائيل أن الجنود الإسرائيليين بشر يخطئون ويخافون ويُهزمون، وليسوا "الجيش الذي لا يُقهر" كما تصوّر إسرائيل، بحسب مراقبين.

ويشير خبراء إلى أنه منذ صيف عام 2000 ومع انسحاب إسرائيل من جنوب لبـنان، وحزب الله يشيد بِنيةً تحتية عسكرية سرية في جنوب لبنان، تتمثل في حفر الأنفاق واستثمار الكهوف الطبيعية، وتوظيفها ضمن هذه البنية، وبناء مخابئ تحت الأرض. هـذه البنية كان يتم بناؤها في الليل بعيداً عن الأعين حتى تكون ملاجئ للأسلحة والذخيرة.

ولـيس أدل على هذا النظام الشبكي المعقد من الأنفاق والفتحات المموهة من ادعـاء القـادة الإسـرائيليين أنهـم استطاعوا تدمير الكثير من قاذفات الصواريخ الخاصة بحزب الله، لكن القصف تواصل بمجموعات صغيرة من المقاتلين تتحرك بمرونة عبر الأنفاق بواسطة قاذفات غير ثابتة حيّرت طائرات الاستطلاع وعطلت قدرتها على الرصد.

ورغـم أن هناك اعتقادا سائدا بأن عدد مقاتلي حزب الله في الميدان يبلغ عدة آلاف.. فإن "جوكسيل" يرى أن عدد مقاتلي ميليشيات حزب الله المشاركين في هذه المـواجهة لا يـتعدى الألـف مقاتل، وأنهم ليسوا سوى فصيل حربي صغير من مجمـوع الفـصائل والقوة العسكرية الأكبر حجما التي لا يزال في مقدور الحزب نشرها والدفع بها إلى خطوط النيران الأمامية إن دعت الضرورة.

وتعـود هذه القوة الصغيرة إلى القرى القريبة من خطوط النيران والمواجهة، وهـذا هـو أحـد أهـم الأسرار التي مكّنت المقاتلين من توظيف معرفتهم الوثيقة بتـضاريس ومنعرجات الميدان الحربي الذي يقاتلون فيه من إحراز تقدم عسكري

علـى خـصـومهم الإسـرائيليين الـذين يجهلون هذا الجانب المهم من المواجهة العسكرية.

ثـم إن مقاتلي الحزب يستطيعون الاتصال مع بعضهم البعض مستخدمين في ذلـك أجهـزة الـراديو عبـر شفرات خاصة تتمُّ عن معرفتهم الشخصية ببعضهم البعض.

وأشـار "جوكـسيل" إلى أنه لو كانت القوات الإسرائيلية قد توغلت في لبنان لأعماق أبعد مما وصلت إليه؛ فإنها لا شك كانت ستواجَه بقوات ومقاتلين جدد من الحـزب نفـسه كان يتم تشكيلهم من المدن والقرى الواقعة في خطوط نيران ذلك الاجتـياح، وهـذا يعنـي أنها كانت ستواجه في كل مرة بتكتيكات وخطط حربية مختلفة من منطقة لأخرى، بحسب اختلاف المكان والتضاريس.

لكـنه أبـرز أن إسرائيل ليست جاهلة بجنوب لبنان، ولكن معرفة حزب الله كانـت معرفة ديناميكية بمعنى أنه تم توظيفها واستغلالها ضمن التكتيكات الدفاعية والهجومـية لقـوات الحزب، بينما كانت المعرفة الإسرائيلية معرفة صورية غير مفيدة.

وعلى حد رأي "جوكسيل".. فإن ميليشيات الحزب تستند في مواجهاتها الحالية مـع إسـرائيل إلـى سـنوات عديدة من التدريب والاستعداد الحربي، إضافة إلى اعتمادها على أسلحة وتكنولوجيا حربية جديدة متطورة، ولعل الصواريخ المضادة للدبابات هي أقوى وأحدث سلاح استخدمه مقاتلو الحزب في خطوط النار الأمامية خلال النزاع الحالي، وتمكنت مجموعات صغيرة ذات قدرة قتالية عالية من مقاتلي الحـزب مـن تكبيد القوات الإسرائيلية خسائر فادحة في الأرواح جراء استخدامها للصواريخ المضادة لدبابات "ميركافا" الإسرائيلية المرعبة إلى جانب استخدام القوة الـصغيرة نفسها لأنواع أخرى مختلفة من الصواريخ القادرة على اختراق جدران الآليات المدرعة.

وشـهدت الحـرب أول اسـتخدام مـن قبل الحزب لصواريخ "ميتسي – إم" الروسية الصنع، التي يمكن إلحاق رأس حربي بها مضاد للدبابات والمصفحات أو

رأس حربي مزود بالمتفجرات المضادة للحصون والمقاتلين على حد سواء، ويبلغ مدى هذا الصاروخ ميلاً واحداً.

كما نقل عن الحزب استخدامه لصواريخ "كورنيت إي" الموجّهة بالليزر، والتي تُستخدم ضد الدبابات والمدرعات. ويبلغ مدى هذا الصاروخ الأخير 3.5 ميل.

ويحمل المقاتلون الأفراد على أكتافهم قاذفات "آر بي جي – 29"، وهو نسخة معدلة ومتطورة من قاذفات "آر بي جي – 7" المفضّلة لدى مقاتلي حرب العصابات على نطاق العالم بأسره منذ عام 1960.

وقد تمكنت كل هذه الأسلحة معا، فضلاً عن حسن التخطيط والتدريب العسكريين.. من إحباط العقيدة الإسرائيلية التقليدية القائمة على سرعة اختراق حصون العدو وخطوطه بواسطة الدبابات والمدرعات المتطورة من طراز "ميركافا" وغيرها.

وتباينت وجهات نظر المحللين الإسرائيليين عما إذا كانت حكومتهم استخفت بقدرات حزب الله؛ فمثلا يرى "جيرالد شتاينبرج" – أستاذ العلوم السياسية بجامعة إيلان في تل أبيب – أن القادة الإسرائيليين لم يبخسوا الحزب قدره لدرجة كبيرة.

غير أن انتقادات حادة وجهت سلفا للحكومة على تباطئها في التصدي لـ "حزب الله" منذ سنوات عديدة بقوة عسكرية كبيرة.

ولعل هناك من المؤشرات العملية الجارية في ميدان القتال وإدارة العمليات العسكرية الإسرائيلية ما يدل على ردود الفعل داخل المؤسسة العسكرية نفسها إزاء مستوى الأداء الحالي في المواجهة مع ميليشيات حزب الله.

وليس أقوى وأدل من بين هذه المؤشرات من التهميش الذي حدث لقائد القيادة الشمالية المشرفة على العمليات في لبنان بعدما عُيّن رئيس أركان الحرب "دان حالوتس" قائدا برتبة أعلى للإشراف على سير العمليات، مع العلم بأنها المرة الأولى منذ عام 1973 التي يجري فيها تقليص صلاحيات قائد عسكري إسرائيلي في أثناء سير الحرب.

الفصل الرابع

إسرائيل تبحث عن
نصر سياسي بعد الهزيمة

بمنتهى الغرور والصلف اعتقد القادة في أمريكا وإسرائيل أن مسألة القضاء على حزب الله والمقاومة في جنوب لبنان لخلق شرق أوسط جديد مستأنس ومنزوع الأظافر والأنياب.. ستكون بمثابة نزهة خلوية للجيش العبري، وأن الأمر لن يتخطى أياما معدودة!

ولعل هذه الأحلام العريضة التى عاشتها القادة في كلتا الدولتين كان لها انعكاساتها على مواقفهما ومطالبهما السياسية التي انخفضت شيئاً فشيئاً؛ من القضاء المبرم على حزب الله ونزع سلاحه في البداية، مرورا بإبعاده عن الحدود بعمق بعيد يضمن الأمان للحدود الشمالية للدولة العبرية، وصولاً إلى إحلال قوات من الجيش اللبناني لتحل محل حزب الله على الحدود.

وكل هذا الانخفاض التدريجي في سقف المطالب الأمريكية والإسرائيلية إنما يعود في الأساس إلى أن المعركة مع حزب الله لم تكن نزهة خلوية كما اعتقدوا، بل وجدوها جحيما مقيتا بتعبير جنودهم الذين خاضوا المعارك في مواجهة رجال المقاومة، ولعل رصد هذا التدرج في المطالب سيؤكد نجاح المقاومة في القضاء على الأهداف الأمريكية الإسرائيلية من الحرب، ومحاولة كلتا الدولتين البحث عن نصر سياسي بعد الفشل العسكري الذي منيت به القوات الإسرائيلية على جبهات القتال.

الغطاء الأمريكي للعدوان الإسرائيلي

حاولت أمريكا تقديم دعمها اللامحدود لإسرائيل في حربها على لبنان من أجل الوصول لأهدافهما المشتركة المتمثلة في القضاء على المقاومة اللبنانية في الجنوب، فمع انطلاق العدوان الإسرائيلي على لبنان في 13 يوليو 2006 نجد المسؤولين الأمريكيين خرجوا ليعبّروا صراحة عن مساندتهم لهذا العدوان، بقولهم "نحث على ضبط النفس في الجانبين، ونعترف بحق إسرائيل في الدفاع عن نفسها".

كما لعبت إدارة الرئيس الأمريكي جورج بوش دور "المتفرج" في معظم فترات الأزمة الأخيرة في الشرق الأوسط، وتواجه الآن تهديدا بنشوب نزاع إقليمي أوسع نطاقا، وليس أمامها سوى بدائل قليلة لنزع فتيل الأزمة.

وأصــر بوش على أن من حق إسرائيل الدفاع عن نفسها، إلا أنه دعا لتفادي وقــوع ضــحايا مــن المدنيين، أو الإضرار بالحكومة اللبنانية التي يعتبرها أحد نجاحاتــه فــي حملــته من أجل الديمقراطية في الشرق الأوسط. ولكن يستبعد أن يمــارس ضــغطا شــديدا على إسرائيل؛ كي لا يُغضب مجموعات الضغط القوية الموالية لإسرائيل قبل انتخابات الكونجرس في نوفمبر 2006.

ومن عجائب القدر – بحسب خبراء لمجلة التايمز الأمريكية – أن حزب الله فــي لبــنان وحمــاس فــي الأراضي المحتلة حازا مواقعهما في الحكومة بفضل انــتخابات ديمقراطية، وهو بالتحديد ما ظلت واشنطن تدافع عنه وتؤيده في الشرق الأوسط بأكمله.

إطالــة أمد العدوان على لبنان كان هدفا أمريكيا حتى يتثنى لها وإسرائيل خلق مناخ دولي وإقليمي يدفع باتجاه تطبيق قرار الأمم المتحدة رقم 1559 الذي يطالــب بنــزع ســلاح حــزب الله، حــسبما ذكرت صحيفة "واشنطن بوست" الأمريكية.

ونقلت الصحيفة الأمريكية عن مسؤولين في البيت الأبيض قولهم: إن إسرائيل والــولايات المــتحدة تبحثان كيفية تهيئة الظروف الحالية لتنفيذ قرار الأمم المتحدة 1559 الذي صدر عام 2004، ويطالب بتفكيك الميليشيات (في إشارة لحزب الله) وتوسيع سيطرة الحكومة اللبنانية على البلاد.

وذكرت الصحيفة الأحد 16 يوليو2006 أن مستشار الأمن القومي الأمريكي ســتيفن هاردلي قال: "نعتقد أن جزءاً من الحل هو تنفيذ قرار 1559 الذي سيفكك هــذه المجموعة المسلحة الخارجة عن الحكومة، ومساعدة لبنان في تمديد سيطرته علــى كــل البلاد". واستشهدت "واشنطن بوست" يقول مسؤول إسرائيلي: "الطريق الوحيد لوقف إطلاق النار هو التفكير في وقف إطلاق النار بشكل نهائي"، والقوات اللبنانية يجب أن تنتشر وتسيطر على مواقع حزب الله في جنوب لبنان لضمان عدم وصول صواريخ أو تنفيذ غارات على شمال إسرائيل.

وتصريحات المسؤول الإسرائيلي في هذا التوقيت المبكر من الحرب يوضح إلى أي مدى حرص إسرائيل وأمريكا على إنجاز كامل أهدافهما من الحرب، وفي

هذا الصدد يقول: "من السابق لأوانه التفكير في وقف الهجمات.. ليس هناك رغبة لوقف إطلاق النار بدون تغير جذري، هذا التغيّر هو أن نتأكد أن الموقف المتفجر لن يتكرر، وهذا يعني تحييد قدرات حزب الله".

وللوصول لهدف نزع سلاح حزب الله كانت تعتزم إسرائيل - بدعم من الولايات المتحدة - التصدي لمطالب وقف إطلاق النار، والاستمرار في إستراتيجية طويلة المدى لمعاقبة الحزب تشتمل على تمديد فترة القصف إلى أسابيع، حسبما نقلت الصحيفة الأمريكية عن مسؤولين أمريكيين وإسرائيليين.

وأوضحت "واشنطن بوست" أنه بالنسبة لإسرائيل فإن الهدف هو القضاء على حزب الله الذي يمثّل تهديدا أمنيا لها، وتجلى هذا في تأكيد مسؤول إسرائيلي أن الأمين العام للحزب هدف لإسرائيل.

أما بالنسبة للولايات المتحدة - بحسب الصحيفة الأمريكية - فإن هدفها الأوسع من الحرب كان يتمثل في القضاء على "محور حزب الله وحركة المقاومة الإسلامية حماس وسوريا وإيران"، التي تعتبرهم واشنطن الأرقام الأساسية في تغيير ميزان القوى بالشرق الأوسط.

ولم تنس الولايات المتحدة أن تربط بين العدوان على لبنان وبين حربها التى تقول إنها حرب على الإرهاب والتي بدأتها بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، واعتبرت أن هذا العدوان الإسرائيلي يدخل في إطار "الحرب على الإرهاب". وخلال مؤتمر صحفي، قال طوني سنو - المتحدث باسم البيت الأبيض -: "الواقع أن حزب الله يتلقى التمويل من إيران والحماية من سوريا.. لهذا بعد في إطار الحرب على الإرهاب".

واستطرد قائلاً: "في الحرب على الإرهاب لا نواجه جيوشا مجهزة كما ينبغي، وإنما جماعات إرهابية تعمل بشكل مستقل داخل حدود الدول المستقلة.. وما تنتهي هذه الجماعات إلى فعله هو تعريض تلك الدول المستقلة للخطر". وخلص المتحدث باسم البيت الأبيض إلى القول: "في تلك الحالة أعتقد أنه من الدقة الكاملة القول بأن ما يجري في الواقع هو جزء من الحرب على الإرهاب".

المشروع الأمريكي الفرنسي المشترك

بعــدما تأكــد الفشل الذريع للقوات الإسرائيلية في تحقيق أهدافها من الحرب علـــى لبـــنان، مـــن حيث القضاء على المقاومة، وخلق شرق أوسط جديد منزوع المقاومـــة.. حاولت الولايات – عبر المشروع الأمريكي الفرنسي المشترك لوقف إطـــلاق النار – إحراز نصر دبلوماسي لصالح إسرائيل، يتجاوز الواقع العسكري القائم على الأرض.

واستند المشروع الفرنسي الأمريكي إلى تسع نقاط هي:

1. الوقــف الكامــل للأعمال الحربية؛ حيث يقوم أساسا على وقف فوري لجميع هجمات حزب الله وجميع العمليات العسكرية التي تنفذها إسرائيل.
2. احترام الخط الأزرق بصرامة ودعم وقف إطلاق نار دائم واحترام سيادة البلدين.
3. ترسيم حدود لبنان بما فيها مزارع شبعا.
4. نشر قوة دولية شرط موافقة البلدين عليها.
5. إقامـــة منطقة منزوعة السلاح بين الخط الأزرق ونهر الليطاني تستثني الجيش اللبناني والقوات الأممية.
6. تطبيق اتفاق الطائف وقرارات الأمم المتحدة ومنها القرار1559.
7. فـــرض حظـــر الأسلحة على لبنان عدا الأسلحة التي تجيز استيرادها الحكومة اللبنانية.
8. تسليم الجنديين الإسرائيليين بلا شروط دون ذكر للأسرى اللبنانيين.
9. تحدّث عن المهجرين اللبنانيين، ولكن بشكل عابر.

واســتفادت فرنـــسا مـــن الموقف العربي الرافض بالإجماع لمشروع القرار الفرنـــسي الأمريكي، وذلك بدعوة الولايات المتحدة لإعادة مراجعة المشروع قبل عرضـــه علـــى مجلـــس الأمن؛ الأمر الذي ترتب عليه نشوء خلاف جوهري بين فرنـــسا والولايات المتحدة حول المطالبة بانسحاب القوات الإسرائيلية إلى ما وراء الخـــط الأزرق؛ حـــيث وصف الرئيس الفرنسي جاك شيراك التخلي عن المطالبة بوقف فوري لإطلاق النار بأنه خيار "لا أخلاقي".

واتضح أن الخلاف بين فرنسا والولايات المتحدة يدور حول ثلاث نقاط أساسية هي:

1. توقيت انسحاب إسرائيل من المناطق اللبنانية التي احتلتها أخيراً.
2. كيفية تناول موضوع مزارع شبعا.
3. كيفية التجاوب مع استعداد الحكومة اللبنانية لإرسال الجيش إلى الجنوب.

وقد هددت فرنسا بطرح مشروع منفصل عن مشروعها المشترك مع الولايات المتحدة ووضع الأخيرة أمام مسؤوليتها. بينما تؤيد الولايات المتحدة بقوة المطلب الإسرائيلي الذي يؤكد على بقاء القوات الإسرائيلية في جنوب لبنان حتى انتشار قوة استقرار دولية.

وكان السيد فؤاد السنيورة – رئيس الوزراء اللبناني – قد طالب العرب في افتتاح اجتماع وزراء الخارجية العرب بتحمل المسؤولية والوقوف إلى جانب لبنان في مواجهة العدوان الإسرائيلي، مذكّراً إياهم بأن عروبة لبنان عروبة الاختيار والانتماء والالتزام غير مشروطة وليست إكراها، مؤكدا أن من واجب العرب دعم لبنان.

ودعا السنيورة العرب أيضاً إلى دعم تنفيذ مبادرته المكونة من النقاط السبع التالية لوقف إطلاق النار:

1. ضرورة الوقف الفوري الشامل وغير المشروط لإطلاق النار.
2. تبادل الأسرى اللبنانيين والإسرائيليين.
3. انسحاب الجيش الإسرائيلي إلى ما وراء الخط الأزرق.
4. عودة المهجرين والنازحين إلى قراهم.
5. التزام مجلس الأمن بوضع منطقة مزارع شبعا وكفرشوبا تحت وصاية الأمم المتحدة؛ حيث هدف السنيورة من مبادرته إلى بسط السيادة اللبنانية على كامل الأراضي اللبنانية بحيث يكون السلاح الشرعي بيد الجيش، وتعزيز القوة الدولية العاملة في لبنان.
6. إعادة العمل باتفاقية الهدنة الموقعة مع إسرائيل عام1949.

7. التـــزام المجــتمع الدولي بدعم لبنان في إعادة بناء اقتصاده بعد التدمير الهائل الذي لحق به جراء العدوان الإسرائيلي.

رفض لبناني لمشروع وقف النار الأمريكي الفرنسي

رفــض لبــنان بــشدة مشروع القرار الأمريكي الفرنسي لوقف إطلاق النار باعتــباره "مشروع فتنة"، واقترح إدخال عدة تعديلات عليه، بينما رحبت إسرائيل بالمسودة على اعتبار أنها لا تدعو إلى وقف فوري لإطلاق النار.

وفــي مؤتمــر صــحفي عقد يوم الأحد 6 – 8 – 2006 بالعاصمة اللبنانية بيــروت قــال رئيس البرلمان اللبناني نبيه بري: "آمل أن يعاد النظر في مشروع قــرار مجلــس الأمن بما يتلاءم وينطبق مع النقاط السبعة؛ لأن لبنان.. كل لبنان يــرفض أي كلام وأي مشروع قرار خارج عن إطار النقاط السبعة" التي كانت قد تبنتها الحكومة اللبنانية. وأعرب بري عن اعتقاده بأن المشروع الأمريكي الفرنسي المطــروح في مجلس الأمن "مشروع فتنة داخلية" يقف ضد مصلحة لبنان، فضلاً عن كونه أعطى إسرائيل أكثر مما طلبت.

وقــال مصدر سياسي رفيع في بيروت لرويترز: إن لبنان سيوزع مقترحاته الخاصـــة بــشأن القــرار على أعضاء مجلس الأمن. ويريد لبنان التزام أي قرار تــصدره الأمــم المــتحدة بخطة سلام مؤلفة من سبع نقاط أقرها مجلس الوزراء اللبنانـــي الــذي يــضم وزراء مــن حزب الله. وأعلنت الحكومة تمسكها بالبنود الــسبعة التـــي قــدمت أمــام مؤتمــر رومــا، وأرجأت البتَّ في أي قرار يتعلق بالمشاورات الجارية بمجلس الأمن على مشروع القرار بانتظار صدور قرار نهائي بهذا الشأن.

وفـــي الأمم المتحدة قال نهاد محمود – ممثل لبنان –: إن بيروت تشعر بعدم ارتياح لعدم دعوة القرار إلى وضع مزارع شبعا تحت سيطرة الأمم المتحدة مثلما طلب لبنان في الوقت الذي يتم فيه تقرير وضعها في المستقبل.

وتعتبر الأمم المتحدة ذلك الشريط الصغير الذي تحتله إسرائيل جزءاً من سوريا ما لم يقم لبنان – الذي يقول: إن مزارع شبعا أرض لبنانية – بترسيم حدود جديدة مع سوريا، وهو ما لم يحدث.

وقال محمود: إن لبنان اقترح بعض التعديلات في مسودة القرار كي تصبح أكثر قبولاً لدى لبنان. وشدد على "أنها يجب أن تعالج اهتمامات الشعب اللبناني، وإلا فإنها لن تنجح".

ومن جانبها، رحبت إسرائيل بمشروع القرار. ووصف وزير السياحة الإسرائيلي إسحاق هرتسوغ المشروع بأنه "مهم جداً". وبرر الوزير أهمية المشروع في كون الأطراف تدخل "مرحلة الدبلوماسية". أما ممثل إسرائيل في الأمم المتحدة "دان جيلرمان" فاعتبر أن مشروع القرار لا يشترط "وقفاً فورياً للنار"؛ وهو الأمر الذي يلائم بلاده.

من جهته ذكر البيت الأبيض أن الرئيس الأمريكي جورج بوش أبدى سعادته بالتوصل إلى مشروع القرار. وقال طوني سنو – المتحدث باسم البيت الأبيض –: إن بوش على علم بتفاصيل مشروع القرار، و"هو سعيد به". ووفقا للبيان الذي أصدرته فرنسا، يدعو مشروع القرار إلى "وقف كامل للعمليات الحربية"، والتزام بالعمل "للتوصل لوقف دائم لإطلاق النار من أجل حل طويل الأجل".

إلا أن مشروع القرار لا يحدد موعدا لوقف العمليات الحربية. وكانت مسودة القرار الفرنسية تدعو في البداية وقبل تعديلها إلى إنهاء "فوري" للقتال. وطالب المشروع أيضاً بنزع سلاح حزب الله، وإطلاق سراح الجنديين الإسرائيليين اللذين أسرهما الحزب بهدف مبادلتهما بالأسرى العرب في سجون الاحتلال الإسرائيلي، ويدعو في الوقت نفسه إلى بحث مسألة الأسرى اللبنانيين في السجون الإسرائيلية.

وحول نشر القوات الدولية على الأراضي اللبنانية يدعو المشروع للتوصل إلى اتفاق سياسي بشأنها، ويطالب باحترام كامل للخط الأزرق (الحدود غير الرسمية بين إسرائيل ولبنان) من كلا الجانبيين.

مشروع قرار وقف النار..

صنع في إسرائيل

لـم يكـن من المستغرب أن تجمع وسائل الإعلام الإسرائيلية على أن نص الاقتـراح الفرنسي الأمريكي لقرار مجلس الأمن بشأن وقف إطلاق النار في لبنان قوبل برضا بالغ في دوائر صنع القرار في تل أبيب.

وقد كشفت صحيفة "هاآرتس" الأحد 6 – 8 – 2006 أن إسرائيل شاركت في صياغة هذه المسودة. ووفقا للمراسل السياسي للصحيفة "ألوف بن"، فقد تولى يورام طوربوفيـتش – رئـيس هيئة مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت – مـسؤولية تنسيق الاتصالات مع الإدارة الأمريكية قبيل وفي أثناء الاتصالات التي أجراها ممثلو فرنسا والولايات المتحدة حول المسودة.

وكمـا أشار "بن".. فقد نقل طوربوفيتش للأمريكيين النقاط التي ترى تل أبيب أنه يتوجب أن تشملها أية مسودة لقرار مجلس الأمن المتعلق بوقف إطلاق النار في لبنان.

ولـيس هذا فحسب.. بل إن الصحيفة ذاتها كشفت النقاب عن أن إسرائيل – ومـن أجـل أن تـتأكد أن الأمريكيين ملتزمون بإيراد النقاط التي ترى الحكومة الإسرائيلية أنه يتوجب أن ترد في القرار – قامت بإرسال "طال بوكر" – المستشار الـسياسي لوزيـرة الخارجية الإسرائيلية تسيبي ليفني – إلى نيويورك؛ ليقوم أولاً فـأولاً بالاطلاع على ما يتم الاتفاق عليه بين الوفدين الأمريكي والفرنسي بمجلس الأمن.

فـي الوقت نفسه، أشارت صحيفة "يديعوت أحرونوت" الإسرائيلية إلى أن ليفني أجـرت – طـوال المـشاورات الفرنـسية الأمريكية – اتصالات مباشرة مع وزيرة الخارجية الأمريكية كوندليزا رايس للاطمئنان على أن المسودة تضمن تحقيق الأهداف الإسـرائيلية مـن الحرب. وكما تؤكد "هاآرتس"، فإن نص المسودة مريح لإسرائيل؛ لدرجة أن المسؤولين الإسرائيليين يمتنعون عن التعبير عن تحمسهم لها، حتى لا يشكل ذلك دليلا على حرص المسودة على الأخذ بالمصالح الإسرائيلية.

وشملت الصيغة التي اقترحتها كل من الولايات المتحدة وفرنسا – لتكون مسودة لقرار مجلس الأمن المتعلق بوقف إطلاق النار في لبنان – عدة نقاط، اعتبرتها تل أبيب مكاسب لها، بحسب وسائل الإعلام الإسرائيلية، منها:

1. تحميل حزب الله المسؤولية عن اندلاع المواجهة الحالية.
2. الدعوة للإفراج عن الجنديين الإسرائيليين اللذين "اختطفهما" حزب الله فوراً. في حين لم تكن صيغة المسودة حاسمة في كل ما يتعلق بحل مشكلة الأسرى اللبنانيين بسجون الاحتلال.
3. تعتبر إسرائيل أن دعوة المسودة إلى تجريد المنطقة الواقعة على الحدود بين إسرائيل ولبنان وحتى نهر الليطاني (نحو 20 كم من الحدود المشتركة) من السلاح، ومن أعضاء التنظيمات المسلحة، باستثناء قوات الجيش اللبناني.. مكسب كبير لها.
4. أعربت إسرائيل عن ارتياحها للبند الوارد في المسودة المتعلق بفرض حصار على التنظيمات المسلحة في لبنان، ومنع تزويدها بالسلاح. وتعتبر تل أبيب أن هذا بند مهم يضمن توقف عمليات تهريب السلاح من سوريا إلى لبنان.
5. نصت المسودة على ضرورة تشكيل قوة متعددة الجنسيات؛ لتفرض خلو منطقة الجنوب اللبناني من غير قوات الجيش اللبناني، وهو ما اعتُبر مكسباً للدولة العبرية، في الوقت نفسه فإن هذا البند يتيح للجيش الإسرائيلي مواصلة التمركز بالجنوب اللبناني، حتى يقوم بتسليم المنطقة للقوات المتعددة الجنسيات. واعتبرت مصادر إسرائيلية رسمية أن السماح بتواجد القوات الإسرائيلية بالجنوب اللبناني يمكّن تل أبيب من ورقة مساومة هامة في مواجهة الحكومة اللبنانية.
6. تشدد تل أبيب على أن البند الذي تضمنته المسودة والداعي إلى وقف "العمليات العدائية" يعني أن قوات جيش الاحتلال بإمكانها الدفاع عن نفسها.

مع كل ذلك.. فإنه بخلاف المصادر الحكومية، فإن بعض المعلّقين يعتبرون أن في هذه المسودة بعض الإخفاقات لإسرائيل، مثل البند الذي يدعو لبنان وإسرائيل لحل المشاكل الحدودية بينهما، وهذا النص يتم تفسيره على أنه يعني ضرورة قيام إسرائيل بتسليم منطقة "مزارع شبعا" المحتلة للبنان.

إلـى جانب ذلك فإن المسودة تدعو إلى ضرورة تسليم إسرائيل خرائط حقول الألغام - التي زرعتها في جنوب لبنان - للحكومة اللبنانية.

إلـيكس فيشمان - المعلق العسكري لـ "يديعوت أحرونوت" - يشير إلى أنه حسب نص المسودة، فإنه سيكون محظورا على إسرائيل المبادرة بشن عمليات عسكرية خلال الفترة الانتقالية.

ويتساءل فيشمان: "هل يسمح لإسرائيل - حسب الوثيقة - بمهاجمة قوافل الإمداد بالسلاح من سوريا لحزب الله، والتي تحمل منصات وصواريخ بعيدة المدى؟". واعتبر أن الوثيقة لا تعطي إجابة على ذلك.

وينصح فيشمان الحكومة الإسرائيلية بالضغط من أجل أن يتم تضمين القرار نصّاً يتيح لها حرية العمل ضد تزويد حزب الله بالسلاح.

ويعتبر فيشمان أن النص الوارد في المسودة والداعي لعودة فورية للمواطنين اللبنانيين الذين نزحوا عن قراهم "شرَكاً" لإسرائيل، محذراً من أنه لا يوجد لإسرائيل ضمانات بأن يكون عدد كبير من النازحين هم من عناصر حزب الله.

لكن المشكلة الكبيرة التي أجمع عليها المعلقون الإسرائيليون الذين تطرقوا للمسودة تكمن في سرعة تشكيل القوة المتعددة الجنسيات.

ويؤكد هؤلاء أنه يتوجب على إسرائيل أن تضغط من أجل تشكيل هذه القوة في أسرع وقت؛ حتى لا يبقى الجيش الإسرائيلي وقتاً أطول في لبنان يصبح خلاله هدفاً لحزب الله الذي سيكون بإمكانه ضرب الجيش الإسرائيلي من المنطقة الواقعة شمال الليطاني.

ويعتبر هؤلاء المعلقون أن حزب الله سيجد مبررا في ذلك على اعتبار أن الجيش الإسرائيلي هو جيش احتلال، خاصة أنه أعلن رفضه لوقف النار ما دامت توجد قوات إسرائيلية بلبنان.

من ناحية ثانية واصل العديد من المعلّقين توجيه الانتقادات للحكومة والجيش الإسرائيلي؛ فقد اعتبر الكاتب "جدعون ليفي" في صحيفة "هآرتس" أن "إسرائيل في الحقيقة تخوض حرب عقارات؛ فهي مصابة بجشع الأراضي، رغم أن هذه الأراضي فقدت أهميتها، ورغم إدراكها أن الاحتلال نهايته إلى الزوال"، على حد تعبيره.

من ناحية ثانية يرى "عوزي بنزيمان" في الصحيفة ذاتها أن على إسرائيل أن توافق فوراً على وقف إطلاق النار؛ لأنها لن تحقق تقدما في المعارك.

أما المعلق "تسيفي بارئيل" فقد اعتبر التفكير العسكري الإسرائيلي القائم على الردع عن طريق الحرب الشاملة هو فكرة بائسة؛ لأنها تُجند السكان - كما يحدث في فلسطين ولبنان - في صفوف المقاومة ولا تؤدي إلى عزلها، كما تؤدي إلى أن تسكن مشاعر الانتقام من إسرائيل في صدور العرب مكان مشاعر الخوف.

مجلس الأمن يتبنى وقفاً فورياً للحرب في لبنان

وافق مجلس الأمن الدولي بالإجماع على مشروع القرار الأمريكي الفرنسي لوقف كامل وفوري للعمليات الحربية في لبنان، وهو القرار الذى يحمل رقم 1701 ، وصوّت جميع أعضاء المجلس الخمسة عشر مساء الجمعة 11 - 8 - 2006 لصالح القرار، الذي طالب أيضاً بسحب القوات الإسرائيلية إلى ما وراء الخط الأزرق الحدودي في أقرب فرصة بمجرد وقف القتال.

وطالب أيضاً بنشر قوات لبنانية في الجنوب بالتزامن مع هذا الانسحاب الإسرائيلي، وبالتعاون مع قوات الأمم المتحدة المؤقتة (اليونيفيل) التي سيرتفع عددها إلى 15 ألفا. ودعا القرار إسرائيل ولبنان إلى دعم وقف دائم لإطلاق النار وحل بعيد المدى، ويطالب بإيجاد منطقة بين الخط الأزرق ونهر الليطاني تكون خالية من أيّ مسلحين ومعدات حربية وأسلحة، عدا تلك التابعة للقوات المسلحة اللبنانية وقوات اليونيفيل، في إشارة ضمنية إلى مقاتلي حزب الله.

وطالب القرار كذلك بإطلاق فوري للجنديين الإسرائيليين الأسيرين لدى حزب الله، ولكنه في الوقت ذاته يدعو إلى حل لمسألة الأسرى والمعتقلين اللبنانيين لدى إسرائيل. ويمنع القرار بيع وتوفير الأسلحة والمعدات العسكرية للبنان، إلا تلك التي تسمح بها الحكومة، كما يطالب إسرائيل بتسليم الأمم المتحدة خرائط حقول الألغام التي زرعتها في لبنان.

وفيما يتعلق بمنطقة مزارع شبعا الحدودية المحتلة يطلب القرار من الأمين

العام للأمم المتحدة كوفي عنان إعداد مقترحات لترسيم الحدود اللبنانية مع إسرائيل وسوريا. وبناء على إصرار لبنان وافقت الولايات المتحدة وبريطانيا على التخلي عن الإشارة إلى الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة الذي يخول قوات حفظ السلام القيام بعمليات هجومية، ولكن النص يتيح لقوة الأمم المتحدة - التي من المتوقع أن تقودها فرنسا - القيام بعمليات دفاع عن النفس.

1701.. أول قرار دولي "تجميلي" لإسرائيل

أجمع محللون سياسيون وعسكريون لبنانيون على أن القرار 1701 الخاص بوقف إطلاق النار بين إسرائيل ولبنان هو أقصى ما يمكن للبنان تحقيقه في ضوء التعنت الأمريكي الواضح والانحياز الكامل لإسرائيل، منوّهين بأنه لبى قسما أساسيا من مطالب الحكومة والقوى السياسية اللبنانية. كما أنه يعدّ أول قرار في سياق الصراع العربي الإسرائيلي الذي يتخذ من أجل "تجميل" إخفاق إسرائيل العسكري في تحطيم قدرات حزب الله، وليس من أجل تكريس انتصار لها. واتساقا مع كلام الخبراء رأى رئيس الوزراء اللبناني فؤاد السنيورة أن القرار الدولي يخدم مصلحة بلاده.

وأكد الخبراء في تصريحات لموقع "إسلام أون لاين.نت" السبت 12 - 8 - 2006 على أن هذا القرار وإن كان سيخلق حالة من الاحتدام السياسي الداخلي بلبنان بعد توقف العمليات العسكرية.. فإن ما يحتويه من ثغرات وغموض في بعض البنود وتأجيل الاتفاق على مسائل جوهرية إلى مرحلة قادمة يجعل موقف حزب الله قوياً على الساحة السياسية اللبنانية.

ويؤكد د. طلال عتريسي - الأكاديمي والخبير السياسي اللبناني - على أن "القرار رغم ما كل ما يحتويه من ثغرات، فإنه يحفظ مطالب القوى السياسية اللبنانية؛ نظرا لأنه قد حقق بعض الأهداف، من أهمها: إلغاء القوة الدولية التي كانت ستأتي إلى لبنان تحت البند السابع، وعدم وجود أي إشارة إلى وصف حزب الله بالميلشيا، أو أي إشارة مباشرة لنزع سلاح المقاومة. كما أن القول بتوقف إمداد

لبنان بأسلحة عبر دول أخرى مثل سوريا وإيران ليس مثمرا؛ نظرا إلى أن لبنان لم يدخله سلاح عبر طريق رسمي، وهذا أمر معروف".

وأشار عتريسي إلى أن "أبرز ما في هذا القرار هو أنه القرار الأول في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي الذي يأتي في سياق تجميل وتغطية خسائر إسرائيل، على عكس كل القرارات السابقة التي كانت تأتي انعكاسا لتحقيق انتصار عسكري إسرائيلي؛ وهذا الأمر هو الذي قاد الولايات المتحدة إلى تأجيل التفاوض حول انسحاب إسرائيل من مزارع شبعا لمرحلة مقبلة، حتى لا يبدو الأمر وكأنه نصر كبير لحزب الله".

من جهته ذكر المحلل والكاتب السياسي اللبناني نبيه البرجي لموقع "إسلام أون لاين.نت" أن هذا القرار جاء نتيجة صدمة الأمريكيين في الأداء العسكري الإسرائيلي المخيب للآمال، ووجود حالة من التخبط والارتباك أصابت الإسرائيليين، وخلقت خلافات بين هيئة الأركان والحكومة الإسرائيلية، وأداء عسكري وسياسي فاشل". ولفت إلى أنه في المقابل "كانت الجبهة اللبنانية الأكثر تضرراً هي الأكثر تماسكاً ووضوحاً، خاصة أن كافة القوى السياسية قد وافقت على مشروع النقاط السبع الذي اقترحته الحكومة اللبنانية".

وتوافقا مع هذه الآراء قال رئيس الوزراء اللبناني فؤاد السنيورة: إن القرار الدولي يخدم مصلحة بلاده. وقال السنيورة: إن قرار مجلس الأمن الدولي لإنهاء شهر من الحرب بين إسرائيل وحزب الله انتصار للدبلوماسية اللبنانية.

القرار 1701.. هل يكون بداية حصار المقاومة؟

أكدت الحرب الإسرائيلية العدوانية أن لبنان جزء إقليمي ثابت في نطاق القضية المحورية للمنطقة – أي قضية فلسطين – وتحويل فلسطين إلى بوابة لهيمنة أجنبية مطلقة. فقد كشفت هذه الحرب عن استحالة الاستمرار على تفتيت القضية إلى نزاع إسرائيلي فلسطيني، ونزاعات أو اتفاقات عربية إسرائيلية. ويؤكد ذلك أيضاً ما واكب اندلاعَ الحرب من إعلانٍ استعراضي عن وفاة عملية السلام

علـــى لسان الأمين العام لجامعة الدول العربية؛ فهو في واقعه الإعلان عن سقوط نهـــج "التفتيت" المذكور طريقا للسلام، والحرب السادسة - بهذا المنظور - نهاية مرحلة رسّخت بدايتَها جامعةُ الدول العربية نفسها بقرار استعراضي أيضاً، اعتبر مـــنظمة التحرير الفلسطينية في حينه هي الممثل الشرعي الوحيد لشعب فلسطين؛ فمـــنذ ذلـــك الحـــين لـــم تنقطع جهود الفصل بين مصير فلسطين وشعبها وكفاحه المشروع للتحرر ومستقبل المنطقة العربية التي وُضع لها عنوان "الشرق الأوسط"؛ فتقلبت من مرحلة إلى مرحلة حتى بالمسميات التي تُطلق عليها دون جدوى.

لبـــنان.. هـــو أصـــغر الـــدول العربية المحيطة بدولة الاحتلال الاستيطاني التوســـعي، وتعـــرّض لثلاث حروب من الحروب الإسرائيلية الست، وفي الحرب الـــسادسة اســـتقر تحوّل مفهوم التوسع الإسرائيلي من الجانب الجغرافي إلى جانب "الهيمنة والتطبيع والتطويع"، وهذا بالذات مما يعنيه خوضُ حرب مدعومة أمريكيا (فـــي لبـــنان وفلـــسطين معا) لتحقيق أهداف جوهرية مرحلية جديدة، في مقدمتها القـــضاء علـــى وجود المقاومة الصادرة عن الإرادة الشعبية، وتطويع لبنان للقيام أيضاً بدور حراسة الحدود الإسرائيلية المفروضة في الحروب السابقة، إضافة إلى الانطـــلاق من بوابة لبنان للقضاء على ما بقي من "محاور" أو تنسيق أو تعاون أو دعـــم يتجاوز الحدود القُطرية للمنطقة؛ أي القضاء على ما لا يزال يحتفظ لقضية فلسطين بموقعها قضية مشتركة محورية.

ولم يعد يوجد من يشكك في أن الآلة العسكرية الإسرائيلية المدعومة أمريكيا عجـــزت عـــن تحقـــيق هـــذه الأهداف، ليس خلال أيام معدودة فحسب كما كانت التصورات الأولى للمخططين لها، ولكن خلال 4 أسابيع سبقت صدور قرار مجلس الأمـــن، ولا يمكـــن التنـــبؤ بنتيجة عسكرية للحرب العدوانية وإن استمرت أسابيع أخرى بعد صدوره.

إن القرار الصادر عن مجلس الأمن الدولي يوم 11 - 8 - 2006 (في اليوم الثلاثـــين للحـــرب الإسرائيلية السادسة) هو وفق ما سبق وفي حصيلته الجوهرية "مرحلة" على الطريق، لم تتغير الأهداف الموضوعة إسرائيلياً ودولياً، ولكن العجز عن تنفيذها الفوري نتيجة الصمود المزدوج، عسكرياً من جانب المقاومة، وسياسياً

من الغالبية الشعبية الكبرى، بغض النظر عن مواقف القوى السياسية الحقيقية و"التكتيكية"، الجماعية والانفرادية. هذا العجز هو الذي دفع إلى قرار "تمهيدي"، فيه سلسلة من الألغام البالغة الخطورة، المعدة للمرحلة التالية، مع قابلية أن تكون سياسية وعسكرية، لا سيما أن ما لم يتحقق بالقوة العسكرية حتى الآن، هو بطبيعته غير قابل للتحقيق بالوسائل السياسية وحدها.

ويمكن رصد هذه الألغام على النحو التالي:

1. كان المطلوب في البداية استكمال المهمة العسكرية الإسرائيلية بإيجاد قوة عسكرية دولية مخوّلة باستخدام القوة بمرجعية الأمم المتحدة أو دون الرجوع إليها، للتحرك داخل لبنان وعلى حدوده الدولية للقضاء على المقاومة، من حيث بنيتها العسكرية وتواجدها الجغرافي على الأقل، وما تتلقاه من دعم خارجي.

   والقرار الصادر يضاعف القوة الدولية عددا وعتادا، ويجعل فرنسا شريكا أساسيا فيها، وهذا وحده يكفي لتوقع خطوات تالية، بما في ذلك قرار ينطوي على التخويل باستخدام القوة العسكرية وفق البند 7 من ميثاق الأمم المتحدة، والمطلوب إلى ذلك الحين إيجاد الأرضية المناسبة في ساحة المعركة مباشرة، وعبر تبديل المعطيات الإقليمية المرتبطة بها.

2. الانتقال المدروس من مرحلة الإرهاب إلى مرحلة الإغراء؛ أي من عملية التدمير العسكري الشامل للبنان ببنيته التحتية، مع استخدام القتل الجماعي والمذابح العلنية للقضاء على الإرادة الشعبية المتمثلة في احتضان المقاومة، إلى عملية البناء والتعمير تحت عنوان "الدول المانحة" مع كل ما يتضمنه ذلك من شروط تقليدية معروفة لفرض إرادة المانح على الآخذ، وهذا ما ينطوي أيضاً على تحويل مركز الثقل لتأثير الدول الإقليمية داخل لبنان، من سوريا وإيران على وجه التخصيص إلى الدول المستعدة لتقديم الدعم المالي كالسعودية، والسياسي الداخلي وربما الأمني على غرار ما يجري في فلسطين كمصر، وفي هذا الإطار كان التحرك المتأخر لبعض تلك الدول، ثم الأخذ بجانب شكلي كحل وسطي في تحديد الوفد المرسل إلى نيويورك، بعيداً عن

تأثير الدول ذات العلاقة المباشرة مثل سوريا، ولكن ليس بعيداً عن تأثير دول أخرى مثل مصر والسعودية.

3. التمهيد لمزيد من القرارات الدولية التي يراد الاستناد إليها لحصار "قنوات" التواصل والتعاون والدعم ما بين المقاومة في لبنان (البلد العربي الإسلامي)، وبلدان عربية وإسلامية أخرى، على غرار ما جرى تنفيذه واقعياً مع المقاومة والشعب الذي يحتضنها داخل فلسطين. وهنا كان التركيز الأكبر في معظم فقرات القرار الدولي الصادر بصياغة لا تقتصر على استهداف إخلاء المنطقة الجنوبية من لبنان من سلاح المقاومة؛ أي من وجودها أصلا، بل تركز تركيزا كبيراً وشاملا على "تجفيف منابع" وجودها وقوتها، دعما بالمال أو السلاح.

ولا داعي للوقوف طويلا أمام بعض الألغام الموضوعة في نص القرار، ومن ذلك – على سبيل المثال – ربط انسحاب القوات الإسرائيلية بتقدم الجيش اللبناني وقوات دولية إضافية؛ فهذا لا يعني فقط محاولة إعطاء القوات الإسرائيلية فرصة أطول لتحقيق ما لم تستطع تحقيقه من قبل، إنما يعني أيضاً أن من وافق على القرار – لبنانياً وعربياً – يعلم مسبقاً بموقف المقاومة الإسلامية العلني والواضح، وهو استحالة التوقف عن ممارسة المقاومة والرد على العمليات العدوانية، ما بقي جندي إسرائيلي على أرض لبنان، ومع توقع تطبيق ذلك، يُفتح الباب مجددا لاستخدام مجرى الأحداث ذريعة من أجل اتخاذ مواقف عربية وربما لبنانية جديدة ضد المقاومة في لبنان، وبالتالي لتمرير المزيد من المواقف الدولية التالية المنتظرة، بحجة من قبيل: "صنعنا ما استطعنا.. ولم تلتزم منظمة حزب الله بما رضينا به"!

ولا يخفى أن لكلمات "ما استطعنا" أو "رضينا به" مدلولات ومضامين بعيدة كل البعد عما يمكن صنعه بالفعل، وما ينسجم مع الإرادة الشعبية، ويستجيب للمسؤولية التي تفرضها التضحيات الجسيمة في لبنان وفلسطين وسواهما.

لبنان هي الدولة العربية التي استعصت – نتيجة نشوء المقاومة الإسلامية فيه – على مسيرة "التطبيع والتطويع"؛ فحتى سوريا المجاورة ارتبط استعصاؤها على هذه المسيرة بشروط داخلية خاصة بها، ولكن دون أي تحرك عسكري، رسمي أو

عبر مقاومة شعبية مستقلة، لتحرير أرض الجولان المحتلة منذ 40 عاما، وهذا بحد ذاتـه جـزء مرحلـي مـن "التطويع"، يمهد لعملية "التطبيع" في مقايضة ما على الجولان.

علـى أن لبنان بالذات كانت هي المنطلق، منذ ظهرت المقاومة على أرضها فـي الثمانينيات من القرن الميلادي العشرين، إلى تحويل المنحنى البياني لمجرى تـاريخ القضية، من مرحلة الهزائم العسكرية عربيا والمكاسب الإسرائيلية عسكرياً وسياسـياً واقتصادياً، إلى مرحلة انتقالية نعايشها، ولم تتحدد طبيعة المرحلة التالية لها بعد، وقد شهدت هذه المرحلة الانتقالية الخروجَ الانهزامي الإسرائيلي من أرض لبنان، كما شهدت العجز عن كسر إرادة المقاومة الفلسطينية، ووصلت عبر الحرب الـسادسة إلـى خـوض القوات الإسرائيلية "أطول" حرب في تاريخ القضية، دون إحراز أي نصر عسكري يستحق الذكر.

إن القـرار الدولـي "المرحلي" يعكس جزئياً ما تحقق من صمود على أرض واقـع المعـركة العـسكرية، بغض النظر عن الهجمة الوحشية على البنية التحتية والمدنيين؛ فقد اقتصر تأثير عنصر الصمود البطولي على ما "لم يذكره القرار" بعد أن كان مطلوباً من قبل؛ فلم يفرض "الآن" قوة دولية في قالب "وصاية أجنبية" مثلاً.

لكن الأهم هو ما ورد في الصياغة نصا، وهنا لا يعكس القرار الصمود، ولا يعكـس ما تعنيه التضحيات والمعاناة، كما لا يعكس ما تعنيه الشرعية الدولية في حالـة عدوان أجنبي، ولا يعكس أي صيغة من صيغ دعم "الوحدة الوطنية اللبنانية" لمـنع نـشوب حرب أهلية، بل يعبّر بصورة واضحة ومباشرة عن تصميم القوى الدولـية، المـتوافقة علـى الدور الإسرائيلي في المنطقة إقليميا، وإن اختلفت في التفاصيل، على ألا يكون لبنان مفصل التحول التاريخي في مجرى قضية فلسطين، ولا فـي مجـرى اسـتقلال الإرادة الـسياسية والشعبية لدول المنطقة عن الهيمنة الدولية.

إن القـدر الـذي تم تثبيته في هذا القرار "المرحلي" من الأهداف الإسرائيلية المدعـومة دولـيا هو القدر الذي يجد في الوقت الحاضر - وفي ظل ما ثار من مخاوف علنية على أعلى المستويات السياسية العربية - ما يكفي من مرتكزات لتمرير

ما يتقرر، عربيا إقليميا، ولبنانيا داخليا، من أجل الانطلاق منه إلى مرحلة تالية.

وبتعبير أوضح:

- لا يخفى أن التشكيلة الحالية للحكومة اللبنانية سعت في المرحلة الفائتة من أجل "تحجيم" وجود منظمة حزب الله، وبالتالي وجود المقاومة الإسلامية المنبثقة عنها، وأعطى الصمود في الحرب من جهة، ووحشية الفتك الإسرائيلي الواسع الشامل من جهة أخرى مفعولَه في الحيلولة دون اتخاذ أي موقف علني سوى موقف "الوحدة الوطنية".
- كذلك لا يخفى أن عدة دول عربية تتحرك من الأصل في طريق "سلام شامل دائم عادل" يفضي إلى تصفية قضية فلسطين "تصفية شاملة دائمة ظالمة".. قد تحركت في بداية الحرب السادسة علنا بموقف مشابه، بلغ تحت تأثير التوقعات الخاطئة لحصيلة المعركة وسرعتها درجةَ "التغطية السياسية الإقليمية" للعدوان الإسرائيلي، بما يكمل مقولة "شرق أوسط جديد" الأمريكية.

وهنا أيضاً أعطى الصمود من جهة ووحشية الفتك الإسرائيلي من جهة أخرى مفعولَه في الحيلولة دون "ترجمة" تلك المواقف العربية في المرحلة الراهنة، إلى إجراءات عملية تتفق بصورة كاملة مع الرؤية الإسرائيلية المدعومة دوليا، لا سيما أمريكيا، وهي ذاتها المدعومة إقليميا دعما ظهر للعيان في بداية الحرب، كما سبقت الإشارة.

إن هذا الوضع انتقالي مرحلي – في نظر الطرفين المعنيين – على المستوى العربي والمستوى اللبناني، أي بمنظور ما يمكن وصفه بمحور بات يجمع ما بين القوى الدولية، وبعض القوى الإقليمية، وبعض القوى السياسية اللبنانية، ودولة الاحتلال التوسعي الإسرائيلية، وبمنظور "المحور" الذي يراد كسره أو إبطال مفعوله على الأقل، ما بين إيران وسوريا والمقاومة.

ومن هنا يمكن القول: إن ما ورد في صياغة القرار ينعكس بوضوح في طبيعة الإعداد للانتقال إلى مرحلة تالية لتحقيق ما حال دون تحقيقه في الوقت الحاضر واقعٌ فرضته المقاومة على أرض المعركة بصورة مفاجئة لعدوها وخصومها ومناوئيها:

1. إن العجـز عن القضاء على المقاومة الإسلامية المسلحة في لبنان الآن تحوّل فـي القرار إلى خطوات تمهيدية لحصارها، من أجل القضاء عليها في جولة تالـية، عـسكرية وسياسية، بمشاركة دولية، وربما بعد هجمة عسكرية على سـوريا لإخراجها من الساحة، أو لكسر ما يوصف بالمحور الممتد من إيران إلى سوريا إلى المقاومة.
2. إن العجز – بسبب الصمود في الجبهات وشعبيا – عن تطوير المواقف العربية واللبنانـية الداخلـية الـصادرة فـي بدايـة الحرب لتحميل منظمة حزب الله المـسؤولية عن اندلاعها، وبالتالي المسؤولية عن نتائجها تحول في القرار إلى التمهيد تحت عنوان السيادة اللبنانية المتفق عليها، من أجل تحويل هذه السيادة بـدعم دولـي وإقليمي إلى "سيطرة" تسمح بما يتفق مع ما تريده القوى الدولية وبعـض القـوى الإقليمية، ولا تسمح بما لا يتفق معها، وإن اتفق مع الإرادة الشعبية بغالبية كبرى، ومع ما تريده قوى إقليمية أخرى.

تـنطوي معظـم فقـرات القرار على الشروع منذ الآن بالخطوات المطلوبة لحصار المقاومة، وتأجيل "الضربة القاضية" إلى ما بعد استكمال مفعول الحصار:

1. لبنانيا.. تحت عنوان العمل السياسي واعتماد "احتكار سلطة القوة للدولة" داخليا فقط، أي مع عدم تمكين الدولة من الوصول إلى مستوى من القوة يردع العدو الإسـرائيلي عـن أي تحـرك عسكري مستقبلي، تحت أي ذريعة حقيقية أو مختلقة، وشبيه ذلك سبق صنعه في دول "مواجهة" أخرى كما هو معروف.
2. عربياً.. تحت عنوان ما تضمنه القرار للحيلولة دون وصول سلاح أو عتاد أو المـشاركة فـي تـدريب أو ما شابه ذلك في صالح المقاومة، من جانب دولة إقليمـية مـا، والمقصود سوريا وإيران، وقد يبلغ التصعيد في هذا الاتجاه إلى مستوى عمل عسكري ضد سوريا، وهو ما يحتاج إلى حديث منفصل.
3. دولـياً.. فالمـوافقة بالإجماع رغم طول فترة المداولات تضمنت واقعياً تلاقي القوى الدولية الرئيسية على ما تضمنه القرار، وهو في زبدته: إنكار مشروعية المقاومـة.. وإنكـار مـشروعية دعمها، وبالتالي العمل في هذا الاتجاه لاحقاً أيضاً.

القرار 1701 بعيون إسرائيلية:
لا يرقى للنصر

حتى الساعة الثانية من فجر السبت 12 – 8 – 2006 انتظر رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت؛ كي يتمكن من الاتصال هاتفيا بالرئيس الأمريكي جورج بوش ليشكره بحرارة على الجهود التي بذلتها الإدارة الأمريكية لمساعدة إسرائيل في تمرير قرار مجلس الأمن رقم 1701 المتعلق بوقف إطلاق النار بين حزب الله وإسرائيل.

ففي تل أبيب تؤكد وسائل الإعلام السبت 12 – 8 – 2006 أن وزيرة الخارجية الأمريكية كونداليزا رايس قامت بجهد كبير جداً للحيلولة دون تمرير صيغة سابقة حول القرار تحرم الدولة العبرية من أي إنجاز في نهاية هذه الحرب.

وقد واصلت قنوات التلفزة ومحطات الإذاعة العبرية إجراء الحوارات مع الوزراء والمحللين للوقوف على مكامن الربح والخسارة لإسرائيل في هذا القرار.

يقول مراسل موقع "إسلام أون لاين.نت" للشؤون الإسرائيلية: إن مؤشرات الربح والخسارة في القرار متلازمة في بعض البنود؛ بحيث إن المعلّقين الإسرائيليين رأوا أن بعض البنود التي اعتبرتها إسرائيل الرسمية "ربحاً صافياً لها في القرار تمثل خطرا مستقبليا على الدولة"؛ باعتبار أن القرار لا يضمن إزالة الخطر العسكري لحزب الله.

وخلصت القراءات والتحليلات إلى أن القرار يتضمن بعض المكاسب لإسرائيل، "لكنها لا ترقى للنصر".

ونعرضها فيما يلي:

1. أجمع المراقبون والمعلقون السياسيون في إسرائيل على حقيقة أن القرار لا ينص على وقف إطلاق نار فوري؛ وهو ما يعني منح الجيش الإسرائيلي عدة أيام لمحاولة تدمير منصات إطلاق الصواريخ التابعة لحزب الله، سواء في المنطقة الواقعة جنوب نهر الليطاني بواسطة القوات البرية، أو تلك الواقعة شماله عن طريق سلاح الجو. ويقدرون في إسرائيل أن الجيش سيكون بإمكانه

العمل عسكرياً بكل قوة لمدة ثلاثة أيام حتى يعلن كوفي عنان الأمين العام للأمم المتحدة عن وقف إطلاق النار الفوري، مع العلم أن القرار فوّض عنان إجراء الاتصالات مع إسرائيل للإعلان عن وقف إطلاق النار.

ويأمل الإسرائيليون أن ينجحوا في تحقيق إنجازات عسكرية في ثلاثة أيام لم يحققوها في غضون شهر ونيف، لذلك قام جيش الاحتلال بالزج بمزيد من القوات البرية للجنوب، إلى جانب تكثيف غاراته الجوية على مختلف المدن اللبنانية.

2. ساد إجماع في الدولة العبرية على أن إسرائيل حققت إنجازاً كبيراً في البند المتعلق بمنح صلاحية استخدام القوة العسكرية للقوات الدولية التي ستتمركز في المنطقة الفاصلة بين نهر الليطاني والحدود بين لبنان وفلسطين. وأشار وزراء الحكومة والمعلقون الإسرائيليون إلى أنه على الرغم من أن البند المتعلق بالقوات الدولية التي ستتمركز في هذه المنطقة لم يذكر أنه يستند إلى البند السابع من ميثاق الأمم المتحدة الذي يخول القوات الدولية استخدام القوة العسكرية لضمان تنفيذ صلاحياتها؛ فإنه في المقابل منح القوات الدولية تخويلا صريحا باستخدام القوة العسكرية لضمان منع تواجد أي "مجموعات مسلحة" باستثناء قوات الجيش اللبناني.

3. في الوقت نفسه.. فإن عدد القوات الدولية سيرتفع إلى 15 ألف جندي يضاف إليها 15 ألف جندي لبناني، ليصبح العدد 30 ألف جندي. ويرى بعض المعلّقين في إسرائيل أن هذا العدد الكبير يخلق كثافة تواجد عسكري يصعب من ناحية نظرية اختراقها من قبل عناصر حزب الله. لكن هناك من يرى أن هذا البند يحمل مخاطر للدولة العبرية كما يقول "أمنون إبراموفيتش" – كبير المعلّقين في قناة التلفزة الإسرائيلية الثانية –. ويعيد إبراموفيتش إلى الأذهان أن حكومات إسرائيل عارضت دائما تواجد قوات متعددة الجنسيات خوفا من أن يقوم مجلس الأمن باتخاذها سابقة لإرسال مثل هذه القوات للأراضي الفلسطينية المحتلة في الضفة الغربية وقطاع غزة.

من ناحيته يستهجن المحلل العسكري "رام أيدليس" في تحليل له في القناة العاشرة الإسرائيلية من الترحيب الإسرائيلي بانتشار الجيش اللبناني في

الجنوب، منوها إلى أن 50% من عناصر الجيش هم من الطائفة الشيعية. وهو يـرى أن حـزب الله سـيكون قادرا على اختراق الجيش اللبناني والعمل في الجنوب تحت غطاء الشرعية اللبنانية.

4. يـرى الكثيـر من المعلّقين بإسرائيل أن مقاتلي حزب الله بإمكانهم العودة إلى مـدن وبلـدات وقرى الجنوب اللبناني مع النازحين الذين سيعودون إلى تلك القـرى. ويشير الجنرال "عاموس مالكا" – الرئيس السابق لشعبة الاستخبارات العـسكرية الإسـرائيلية – إلـى أنـه بإمكان حزب الله أن يغيّر طرق عمله بالجـنوب، وجعلها أكثر سرية؛ بحيث ينتشر هناك في خلايا سرية نائمة يمكن استدعاؤها وقت الحاجة.

ويخـشون في إسرائيل أن تنفّذ جماعات مسلحة أخرى – بإيحاء من حزب الله – عمليات ضد إسرائيل، دون أن يتحمل الحزب المسؤولية عن تلك العمليات. ويتساءل أحد المعلّقين قائلاً: "إن كان حزب الله يواصل إطلاق الصواريخ من تلـك المـنطقة على الرغم من تواجد آلاف الجنود الإسرائيليين الذين تدعمهم أحدث منظومات المراقبة الإلكترونية والغطاء الجوي؛ فكيف سيكون الأمر مع القوات الدولية والجيش اللبناني الذي لا يتميز بدافعية لتنفيذ مهامه؟".

5. أعـاد بعض المعلّقين في إسرائيل للأذهان حقيقة أن صواريخ حزب الله التي أحـدثت أكبـر الضرر في الحرب أطلقت من المنطقة الواقعة إلى الشمال من الليطانـي. ولا يـنص القـرار على أي قيود تفرض على حزب الله في تلك المـنطقة، وإنمـا في المنطقة الواقعة بين جنوب الليطاني والحدود الإسرائيلية اللبنانية؛ الأمر الذي يعني أن الخطر ما زال قائما.

6. ساد إجماع في إسرائيل على أن البند المتعلق بفرض حظر على توريد السلاح لحزب الله وسد منافذ تهريب السلاح للحزب يمثّل إنجازاً كبيراً للدولة العبرية.

7. لفـت المراقبون في إسرائيل الأنظار إلى حقيقة أنه على الرغم من أن القرار طالـب بـإطلاق سـراح الجنديين الإسرائيليين الأسيرين لدى حزب الله فوراً وبدون شروط؛ فإن ذلك ذكر في مقدمة القرار، وليس ضمن البنود العملية فيه، بمعنـى أن القرار لم يتطرق لآلية الإفراج عن الأسيرين، وهو ما يترك الأمر

لتقديـــر كـــل من الحكومة اللبنانية وحزب الله. وعلى الرغم من أن القرار لم يـــربط بـــين الإفـــراج عن الأسيرين والإفراج عن الأسرى اللبنانيين بسجون الاحـــتلال؛ فإنـــه واضـــح تماماً في إسرائيل أنه لن يتم الإفراج عن الأسيرين الإســـرائيليين بدون الإفراج عن الأسرى اللبنانيين، **ومن أهم الإنجازات التي حققها حزب الله من هذه الحرب:**

1. لم يكن ثمة خلاف على أن حزب الله حقق إنجازاً كبيراً في القرار، الذي كلّف عـــنان بـــتقديم عـــدة اقتـــراحات لمجلس الأمن في غضون شهر حول تسوية الخلافات الحدودية بين لبنان وإسرائيل؛ الأمر الذي يعني إرجاع مزارع شبعا المحـــتلة إلى لبنان، وهو هدف حتى لم يضعه حزب الله لعملية أسر الجنديين بغية مبادلتهما بالأسرى العرب في سجون الاحتلال.
2. لـــيس فقـــط جمـــيع المـــراقبين، بل وزراء الحكومة الإسرائيلية، ناهيك عن المتحدثـــين باسم المعارضة.. نفوا أن تكون إسرائيل قد حققت نصرا في نهاية هـــذه الحرب. وفي حين اعتبر عدد من كبار المعلّقين من أمثال "ناحوم برنيع" و"يؤيل ماركوس" و"عكيفا الدار" وغيرهم الكثير أن "نتيجة الحرب مثلت هزيمة لإســـرائيل" على الرغم من مكاسب إسرائيل في قرار 1701.. رأى قسم آخر أن إسرائيل حققت إنجازات لا ترقى إلى النصر.

الفصل الخامس

تداعيات
حرب كسر الإرادة

كـــان لحـــرب كسر الإرادة التي استهدفت القضاء على المقاومة في فلسطين والجـــنوب اللبنانـــي تداعياتها المهمة على أصعدة مختلفة، فكانت كاشفة للمواقف المـــتخاذلة لـــبعض الـــبلدان العربية من المقاومة، في التوقيت الذي كشفت التأييد الـــشعبى العـــارم لكل من يعمل على تحرير الأرض، ومناهضة القوى التي تسعى للهيمنة على المنطقة، وهو ما يعكس بدوره الهوة العميقة التي تفصل ما بين النخب الحاكمة في البلدان العربية وشعوبها.

وعلـــى الصعيد الإقليمي أدت هذه الحرب إلى حدوث انقلاب في المعادلة القديمة فـــي الـــشرق الأوســـط، إذ بات الخيار العسكري الإسرائيلي غير مجدٍ أمام مواجهة حركات دون الدولة، وفي إطار تشكل محور رباعي (إيران – سوريا – حزب الله – حمـــاس) فالحرب بين إسرائيل وكل من المقاومة اللبنانية والفلسطينية هي في ظاهرها حـــرب بين إسرائيل وجماعتين إسلاميتين (حماس في فلسطين وحزب الله في لبنان)، لكنها حرب مبطنة بين إسرائيل والدول الراعية لحماس ولحزب الله (إيران وسوريا)، وهي تكشف عن جبهة خطرة تسعى لخلق "محور عسكري" يتكون من حماس وحزب الله وإيران وسوريا، تعتبر طهران المحرك الرئيسي له وللحرب الدائرة حالياً.

وكمـــا كـــان للحرب تداعياتها على البلدان العربية حكومات وشعوبا كان لها تداعياتها الخطيرة على صعيد الداخل الإسرائيلي، بعد الهزيمة العسكرية التي مني بهـــا الجـــيش العبـــري المصنّف الرابع عالمياً، وبعد أن كشفت الحرب عن افتقار إســـرائيل الحقيقـــي لقـــادة تاريخيـــين في اللحظة الراهنة، وتداعيات أخرى كثيرة سنحاول استعراضها في هذا الفصل الختامي.

أولاً: تداعيات حرب كسر الإرادة على الدول العربية

مـــن أهـــم الأمور التي كشفت عنها حرب كسر الإرادة كما سبق وأشرنا توا تخـــاذل بعض الدول العربية المحورية على صعيد دعم المقاومة، بل إنها تجاوزت مرحلة الصمت إزاء العدوان الصهيونى المتلاحق على فلسطين ولبنان إلى مرحلة الإدانة الواضحة والصريحة لأعمال المقاومة، وضاع زمن كنا فيه ننتقد الحكومات

العــربية علــى مواقــف الإدانة والشجب، ولعل عرضا سريعاً لمواقف دول مثل المملكــة العربية السعودية ومصر والأردن كفيل بتوضيح هذه الحقيقة التي كشفت عنها حرب كسر الإرادة.

أول مــن أعلــن مــوقفاً صريحاً مناهضاً للمقاومة في الجنوب اللبناني كانت المملكــة العــربية السعودية من خلال بيان رسمي صدر عنها، قالت فيه إن هناك فرقاً بين المقاومة الشرعية والمغامرات غير المحسوبة، وفي الوقت الذي أكدت فيه الــرياض على إيمانها التام بحق الشعوب الواقعة تحت الاحتلال بمقاومته، إلا أن الــسعودية أكــدت أن الــوقت قد حان لتتحمل العناصر التي تتحرك دون الرجوع للسلطات الرسمية بدولها المسؤولية كاملة عن الأزمة التي أوجدتها.

وجاء موقف السعودية في بيان صدر على لسان مصدر مسؤول لوكالة الأنباء السعودية جاء فيه "إن المملكة العربية السعودية كانت ولا تزال تؤمن بحق الشعوب الــواقعة تحــت الاحتلال في مقاومة هذا الاحتلال بجميع أشكاله ورفض إجراءاته غير الشرعية الرامية إلى طمس الهوية وتغيير الوقائع على الأرض.

ومــن هــذا المــنطلق كانت المملكة تقف دوماً وبكل إمكاناتها مع المقاومة الفلــسطينية المــشروعة التــي تستهدف مقاومة الاحتلال العسكري وتجنب إيذاء الأبرياء. ومن المنطلق نفسه وقفت المملكة بحزم مع المقاومة في لبنان حتى انتهى الاحتلال الإسرائيلي للجنوب اللبناني.

والمملكــة إذ تستعرض بقلق بالغ الأحداث المؤلمة الدامية التي تدور الآن في فلــسطين ولبنان تود أن تعلن بوضوح أنه لا بد من التفرقة بين المقاومة الشرعية وبــين المغامرات غير المحسوبة التي تقوم بها عناصر داخل الدولة ومَن وراءها، دون رجــوع إلــى الــسلطة الشرعية في دولتها ودون تشاور أو تنسيق مع الدول العربية، فتوجد بذلك وضعاً بالغ الخطورة، يعرض جميع الدول العربية ومنجزاتها للدمار دون أن يكون لهذه الدول أي رأي أو قول.

إن المملكة ترى أن الوقت قد حان لأن تتحمل هذه العناصر وحدها المسؤولية الكاملــة عــن هــذه التصرفات غير المسؤولة، وأن يقع عليها وحدها عبء إنهاء الأزمة التي أوجدتها".

وعلى نفس خطى السعودية سارت مصر والأردن، حيث حذّر الرئيس حسني مبارك والعاهل الأردني عبد الله الثاني بعد قمة عقداها في القاهرة إثر تدهور الوضع بين لبنان وإسرائيل أي طرف "من القيام بأعمال تصعيدية غير مسؤولة تستهدف جر المنطقة إلى أوضاع خطيرة، وتورطها في مواجهات غير محسوبة تتحمل تبعاتها دول المنطقة وشعوبها".

كما حذر الزعيمان بعد مناقشتهما مجريات الأحداث في لبنان من خطف الجنديين الإسرائيليين وما لحقه من "انجراف المنطقة إلى مغامرات لا تخدم المصالح والقضايا العربية". وعبّر مبارك وعبد الله عن دعمهما الكامل للحكومة اللبنانية في جهودها للحفاظ على مصالح لبنان وصون سيادته واستقلاله وبسط سلطتها على كامل التراب اللبناني. وأشار البيان الذي صدر بعد الاجتماع إلى ضرورة عدم السماح "بانزلاق منطقة الشرق الأوسط نحو أجواء حرب تقوّض فرص السلام، وتفتح الباب أمام دائرة جديدة من العنف والتوتر لا يعرف أحد مداها".

وأدان الزعيمان العمليات العسكرية الواسعة للقوات الإسرائيلية في لبنان والأراضي الفلسطينية، وطالبا بوقف التعرض للمدنيين واستهداف المنشآت والمرافق الحيوية اللبنانية والفلسطينية، مشيرين إلى تناقض ذلك وقواعد الشرعية الدولية ومبادئ القانون الدولي الإنساني. كما أكدا على ضرورة التوصل إلى تسوية للموقف الخطر الراهن على الجبهتين اللبنانية والفلسطينية بما يتيح إطلاق سراح الأسرى كوسيلة لإنهاء الوضع المتدهور الراهن. وأكد الزعيمان ضرورة التزام جميع الأطراف الإقليمية بأقصى قدر من ضبط النفس والمسؤولية.

صحف إسرائيل: الدعم العربي لنا شيء لا يصدق

المواقف العربية المتخاذلة وجدت لها أصداء إيجابية في صحافة إسرائيل، التي علقت على هذه الحرب يوم الأحد 23 يوليو 2006 بقولها إن هذه الحرب هي أسهل حرب تخوضها الدولة العبرية نتيجة للدعم غير المباشر الذي تلاقيه من

بعض الأنظمة العربية الراغبة في تفكيك حزب الله، والتي لا تمارس أي ضغوط من أجل وقف العمليات العسكرية ضد لبنان، ووصفت إحدى الصحف العبرية هذا الدعم بأنه "شيء لا يصدق".

شمعون شيفر، الخبير بالشؤون السياسية بصحيفة "يديعوت أحرونوت" كتب في مقاله الأحد 23 يوليو 2006 "إن إسرائيل لا تواجه أي ضغوط لإنهاء الحرب التي تخوضها على لبنان، حتى السعودية ومصر والأردن وقطر وأبو ظبي والأمم المتحدة تريد رؤية إسرائيل وهي تفتك بحزب الله حتى آخر قطعة".

وأضاف شيفر: "هذه الحرب فريدة بالنسبة لباقي الحروب التي خاضتها إسرائيل؛ فصانعو القرار كانوا في الحروب السابقة يخافون من أمرين: القوة العسكرية التي يقاتلونها، والمدة الزمنية الحصرية التي تدفع الأمريكيين لفرض وقف إطلاق النار في اللحظات الحاسمة، كما حدث في حرب يونيو 1967 وحرب أكتوبر 1973 وحرب لبنان 1982، أما الآن فلا يوجد أي من ذلك".

غير أنه أشار فقط إلى أن الانتقادات الخارجية التي تتعرض لها إسرائيل تنحصر فقط في مطالبتها بتوخي الحذر من إصابة المدنيين اللبنانيين.

وكانت إسرائيل حتى اليوم 11 من العدوان الذي تشنه على لبنان في أعقاب أسر حزب الله جنديين لها وقتله 8 آخرين الأربعاء 12 – 7 – 2006 قد قتلت قرابة 350 لبنانياً، واعتقلت مئات المصابين بينهم عشرات الأطفال والنساء.

وأشار الكاتب الإسرائيلي إلى "وجود مصلحة مشتركة بين الحكومات العربية وإسرائيل بالنسبة لتدمير حزب الله"، ونقل عن دبلوماسي أجنبي يتنقل بين بيروت والقدس المحتلة وغزة قوله: "إن رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت ورئيس الوزراء اللبناني فؤاد السنيورة يملكان مصلحة مشتركة في شل قدرة حزب الله العسكرية، ولكن هناك فجوة كبيرة بينهما في النظرة إلى جوهر التسوية.. إطلاق النار سيتواصل طالما لم تتقلص هذه الفجوة".

أما "ألكيس فيشمان" الخبير بالشؤون العسكرية بنفس الصحيفة فنقل عن وزير الدفاع الإسرائيلي، عمير بيرتس، قوله: "علينا أن ندرك أن المستفيد من عملياتنا في

نهايـــة المطـــاف هم: فؤاد السنيورة، والرئيس الفلسطيني محمود عباس، والرئيس المصري حسني مبارك".

دعـــم الأنظمـــة العـــربية للحرب الإسرائيلية على لبنان دللت عليه صحيفة "يديعوت أحرونوت" بمقال رئيس تحرير صحيفة "عرب تايمز" الكويتية أحمد جار الله السبت 21 – 7 – 2006، ورأى فيه أن الحرب الإسرائيلية على لبنان هي في صـــالح العـــرب، ووصفت تلك الصحيفة الإسرائيلية – في الموضوع الذي نشرته تحـــت عنوان "صحيفة بالكويت: أعمال الجيش الإسرائيلي لصالح العرب" – قائلة: إن الدعم العربي غير المباشر لإسرائيل في عدوانها "شيء لا يُصدق".

وتـــناولت صـــحيفة "يديعـــوت أحـــرونوت" موقف الشعوب العربية قائلة إنه يتناقض تماماً من مواقف الحكام العرب، "فغالبية الشعب العربي أصبحوا يرون في حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله هو المهدي المنتظر".

وضربت الصحيفة مثالا على ذلك بالموريتانيين الذين بدأوا يهرولون خلال الأيام الماضية على مكاتب السجل المدني لتغيير أسماء أبنائهم إلى حسن نصر الله.

ومـــن جهـــتها اعتبرت صحيفة "هاآرتس" أن الموقف الأمريكي من العمليات الإســـرائيلية فـــي لبنان صريح وواضح، ويقضي بمنح إسرائيل فرصة جديدة لمدة أسبوع لاقتلاع قوة حزب الله وتدمير بنيته التحتية عن آخرها.

وفـــي موضع آخر أكدت الصحيفة أن الهدف من دعوة أمريكا لإنشاء شرق أوسط جديد خالٍ من جماعات المقاومة يلقى قبول ودعم العديد من الدول العربية؛ لأنهم يهدفون من ورائه إلى تصفية المنطقة من التيارات المسلحة.

وكانـــت الـــصحف الإسرائيلية قد أبرزت الأسبوع الماضي اهتمام وترحيب مسؤولين بالحكومة الإسرائيلية بالبيان الذي نشرته وكالة الأنباء السعودية الرسمية، ودعا للتفرقة بين المقاومة الشرعية وبين "المغامرات غير المحسوبة" التي تقوم بها عناصر داخل دولة لبنان ومَن وراءها.

واتهـــم البيان "هذه العناصر" بجر المنطقة إلى "وضع بالغ الخطورة يعرض جميع الدول العربية ومنجزاتها للدمار دون أن يكون لهذه الدول أي رأي أو قول".

وانضمت مصر والأردن إلى السعودية في توجيه انتقادات غير مباشرة لحزب الله؛ فقد حذّر العاهل الأردني الملك عبد الله الثاني والرئيس المصري حسني مبارك من "انجراف المنطقة إلى مغامرات لا تخدم المصالح العربية".

مظلة عربية ضد حزب الله تنطلق من البيت الأبيض

في الوقت الذي كشفت مصادر دبلوماسية سعودية عن مبادرة ستطرحها الرياض على واشنطن لحل الأزمة اللبنانية خلال لقاء يجمع في وقت لاحق الأحد 23 - 7 - 2006 الرئيس جورج بوش ومسؤولين سعوديين رفيعي المستوى، اعتبرت صحيفة أمريكية أن اللقاء سيشهد بداية تدشين تُحالف عربي أمريكي معارض لحزب الله.

وذكرت صحيفة "نيويورك تايمز" في اليوم نفسه في تقرير لها أن الجهود الأمريكية لتكوين تحالف عربي مناهض لحزب الله يعمل على تفكيك تحالف جماعة المقاومة اللبنانية مع سوريا وإيران، ستبدأ اليوم الأحد في البيت الأبيض بلقاء بوش ووزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل والأمير بندر بن سلطان الأمين العام لمجلس الأمن الوطني السعودي، الذي شغل منصب سفير السعودية في واشنطن لفترة طويلة.

وبحسب مصادر دبلوماسية سعودية، فستتركز المبادرة السعودية على "الوقف الفوري لإطلاق النار وبسط نفوذ الجيش اللبناني على كامل أراضيه".

وذكرت صحيفة "صنداي تايمز" البريطانية اليوم الأحد نقلا عن مسؤولين أمريكيين أن الرئيس الأمريكي جورج بوش يسعى لبناء "مظلة من الحلفاء العرب ضد حزب الله مع إعطاء إسرائيل حرية الحركة في مهاجمة معاقل الحزب".

وقالت الصحيفة: إن مسؤولي الإدارة الأمريكية يعتبرون الأزمة في لبنان اختباراً لبوش لإعادة تشكيل الشرق الأوسط من خلال بناء معارضة عربية ضد حزب الله.

وأشار هؤلاء المسؤولون الذين لم يكشف عن أسمائهم إلى أن وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس ستضطلع بهذه المهمة من خلال زيارتها للمنطقة التي تبدأ في إسرائيل والأراضي الفلسطينية اليوم الأحد.

وأوضحت المصادر نفسها أن "ما نريده هو أن يقف حلفاؤنا العرب ضد حزب الله وإيران".

وأضافت الـ "صنداي تايمز" أن معارضي خطة بوش يعتبرون أن مثل هذا التوجه من شأنه أن يغذي التوترات السنية - الشيعية، ويدفع المنطقة إلى حرب أهلية أوسع، ويلهب التوجهات المعادية للولايات المتحدة في العالم العربي.

ودعت رايس إلى ضرورة خلق "شرق أوسط جديد" في تصريحات صحفية السبت 22 - 7 - 2006، وذلك بعد وقت قليل من تلميح بوش بأن رايس ستدعو قادة الشرق الأوسط لتعزيز الضغط على حزب الله سعياً لحل الأزمة في جنوب لبنان قائلاً: "ستوضح رايس لزعماء المنطقة أن حل الأزمة يتطلب مواجهة الجماعة الإرهابية التي شنت الهجمات والدول التي تدعمها"، قاصداً دور إيران وسوريا في دعم حزب الله.

ويدعم ما نشرته صحيفة "الصنداي تلجراف" ما ذكره مسؤولون أمريكيون من أن الولايات المتحدة تسعى إلى إيجاد سبل لإخراج سوريا من تحالفها مع إيران بحسب ما ذكرته صحيفة "نيويورك تايمز" في عددها الأحد 22 - 7 - 2006.

وقال مسؤولون في إدارة الرئيس بوش: إن البيت الأبيض لا ينوي حالياً إجراء محادثات مباشرة مع الحكومة السورية، وتحدث مسؤولون آخرون عن خطة أمريكية تقضي بأن يمارس بوش وكبار المسؤولين ضغوطا على السعودية ومصر من أجل دفع سوريا إلى التخلي عن علاقاتها مع حزب الله وإيران.

وقال مسؤول أمريكي رفيع المستوى للصحيفة: "نعتقد أن السوريين سيستمعون إلى جيرانهم العرب في هذه المسألة أكثر مما سيستمعون إلينا".

وأوضحت الـ "نيويورك تايمز" أن "هذه الجهود الأمريكية ستبدأ اليوم الأحد في البيت الأبيض" حين يلتقي بوش المسؤولين السعوديين.

وقالت "نيويورك تايمز": إن وزيرة الخارجية الأمريكية كوندليزا رايس تعمل على تأخير زيارتها إلى الشرق الأوسط المرتقبة اليوم الأحد إلى ما بعد اجتماع الأميرين فيصل وبندر مع بوش الذي يتوقع أن تشارك فيه مع نائب الرئيس الأمريكي ديك تشيني ومستشار الأمن القومي في البيت الأبيض ستيفن هادلي.

وفـي سياق متصل، أعلن فيصل المقداد نائب وزير الخارجية السوري اليوم الأحد أن بلاده مستعدة لإشراك الولايات المتحدة في حوار يرمي إلى حل المواجهة بين حزب الله وإسرائيل.

وقال المقداد لوكالة رويترز للأنباء: إن بلاده على استعداد لإجراء حوار مع الولايات المتحدة يرتكز على الاحترام المتبادل.

وأضـاف أن حل الأزمة يكمن في الوقف الفوري لإطلاق النار بوساطة من قوى دولية على أن يعقب ذلك بذل جهود دبلوماسية.

نصر الله للحكام العرب.. فكوا عنا

كل المواقف العربية المتخاذلة تجاه لبنان في حرب كسر الإرادة دعت الأمين العـام لحـزب الله حـسن نصر الله لأن يطالب الحكام العرب بالتزام الحياد تجاه الأزمـة في لبنان، مشيراً إلى أن توسع إسرائيل في عدوانها على لبنان لم يكن ليتم لولا الغطاء الدولي والعربي.

ووجّـه حسن نصر الله في مقابلة تلفزيونية خاصة مع قناة الجزيرة الإخبارية الخميس20 – 7 – 2006 انتقاداً لتصريحات صدرت عن حكومات عربية متحالفة مـع الولايات المتحدة ألقى بعضها باللوم على حزب الله. وقال: "أقول للحكام العرب.. أنا لا أريد سيوفكم ولا أريد حتى قلوبكم. بس فكوا عنا.. يعني قفوا على الحياد".

وأضـاف قائلاً: "بالنسبة للأنظمة العربية نحن لا نتوقع منهم إلا الحياد... أما أن يـشتركوا فـي دم الضحية، وأن يغطوا جرائم الجلاد.. هنا أنا أقول لك لم نكن نتوقع. نعم هذا مفاجئ".

ومـضى قائلاً: "أنا أجزم بأن رد الفعل الإسرائيلي على عملية الأسرى كان يمكن أن يكون قاسيا ولكن محدودا لولا الغطاء الدولي والغطاء العربي".

صحيفة ألمانية: الطغاة العرب يخافون الجميع

المواقف العربية المتخاذلة لم تتسبب في استياء نصر الله وحده، لكنها تسببت فـي انتقاد صحيفة "برلينر تسايتونج" الألمانية وصحف أخرى للموقف السلبي الذي يغلـف تحركات الدول العربية بشأن العدوان الإسرائيلي على لبنان، وأرجعت هذا

الموقف لخوف "الحكام الطغاة" من العرب من الولايات المتحدة وإسرائيل والإسلاميين ومن شعوبهم.

وقالت الصحيفة في عددها الصادر الخميس 20 – 7 – 2006 إن العديد من "الدول الأوروبية تكتفي بإطلاق نداءات التهدئة، أما الطغاة العرب فيخافون من الولايات المتحدة ومن إسرائيل ومن الإسلاميين ومن شعوبهم".

وأدانت الصحيفة أيضاً موقف الدول الغربية، مشيرة إلى أنها لم تفعل أي شيء يذكر لوقف الكارثة التي حلت بالشعب اللبناني جراء العدوان الإسرائيلي.

وكتبت الصحيفة تقول: "إن الدول الغربية ما زالت لا تُقدم على فعل أي شيء تجاه التصعيد في وتيرة العنف بالمنطقة، فمن جهتها تقوم الولايات المتحدة بعرقلة أي قرار يحاول مجلس الأمن الدولي استصداره، متصورة أن إرهاق حزب الله اللبناني وتفكيكه سيؤدي في الوقت نفسه إلى إضعاف إيران".

وتابعت الصحيفة: "إن الشعارات التي دأب الرئيس الأمريكي جورج بوش على إطلاقها، تسهم في تأجيج الصراع والمصادمات في المنطقة، بينما يرغب الفرنسيون في مواصلة لعب الدور الكلاسيكي المؤثر في دولة كانت تحت إدارتهم يوماً ما، أما الساسة الألمان فيخشون أن تكال لهم اتهامات بمعاداة السامية؛ ولذا فهم يتخذون موقفاً مبهماً".

أما صحيفة "فرانكفورتر الجماينه تسايتونج" فكالت الاتهام للإدارة الأمريكية "التي تخطط من منظور واحد لتشكيل وضع جديد في العالم؛ وهو ما انعكس سلبا على سياساتها في منطقة الشرق الأوسط تحديدا".

وقالت الصحيفة: "إن إدارة بوش هي التي دعت إلى (فكرة تصدير الديمقراطية) إلى شعوب المنطقة، وهذه الفكرة ذاتها هي التي أدت إلى صعود حركة (المقاومة الإسلامية) حماس، وفي الوقت نفسه لم تؤد إلى إضعاف حزب الله".

وأشارت الصحيفة الألمانية إلى أن "شكوكا تحوم بالإدارة الأمريكية الآن مفادها أن سبب عمليات التصعيد الأخيرة قد تكون نتيجة لفشل غزو العراق، وما تبعه من سقوط لالتزامات الولايات المتحدة تجاه الشرق الأوسط".

ومـــن جهـــته – حسب الصحيفة – يرى محور منتقدي الإدارة الأمريكية أن حـــرب لبـــنان، بجانـــب أنهـــا نتيجة للفشل في العراق، فهي أيضاً نتيجة لتقصير دبلوماسي أمريكي قامت به إدارة بوش تجاه الصراع بين الفلسطينيين وإسرائيل.

وعلى نفس الخط سارت صحيفة "زود دويتشه تسايتونج" الألمانية التي دعت إلـــى عـــدم إطلاق تصورات خيالية لما يمكن أن تؤديه الدبلوماسية الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط.

وقالـــت الـــصحيفة: "إن إدارة بوش فوتت على مدار السنوات الست الماضية جمـــيع الفـــرص الدبلوماسية لحل الصراع بين إسرائيل والفلسطينيين.. فواشنطن توقفت عن لعب دور الوسيط الذي كان سمة لفترة حكم بيل كلينتون.. فقد خسرت أمريكا هذا الدور بسبب مغامرتها في العراق".

ومـــن جهـــتها رأت صحيفة "تاجيز شبيجيل" الألمانية أن رغبة إسرائيل في مواصـــلة الأعمـــال العـــسكرية ستتم، خاصة في ظل الترحيب الأمريكي والتردد الأوروبي الصامت.

وأمـــام الجـــبهة الإسرائيلية تناولت صحيفة "تاجيز تسايتونج" الجبهة اللبنانية متمـــثلة فـــي حزب الله، مشيرة إلى أن الجيش الإسرائيلي لم يتمكن حتى الآن من "إسكات آلة الإعلام التابعة لحزب الله".

وقالت الصحيفة: "رغم أن مبنى محطة تليفزيون المنار قد سوي بالأرض بعد يومـــين فقط من بدء العدوان على لبنان، فإن المحطة ما زالت تبث إرسالها وتقدم نشرات أخبار، بل وحوارات أيضاً".

بين الهيمنة والمقاومة.. مأزق النظم العربية

كتب المحلل السياسي نبيل شبيب تعليقاً على اجتماع وزراء الخارجية العرب الذي انعقد بالقاهرة في 15 – 7 – 2006 مقالاً ملخصاً لتداعيات الموقف العربي المـــتخاذل تجاه الهجمة الإسرائيلية على لبنان في حرب كسر الإرادة، يقول فيه: لا يـــصحّ القول إطلاقاً بأن لقاء وزراء الخارجية العرب كان نسخة طبق الأصل عن لقاءات سابقة، ولا القول بأن نتائجه "روتينية" لم تخرج عن المتوقع مسبقاً من مثل

هـذه اللقاءات، بل يبدو أن المشاركين في اللقاء أدركوا أن ما يجري حولهم لم يَعُد يماثل ما اعتادوا عليه أو حاولوا من قبل الإسهام في الاعتياد عليه.

فـأوّل ما ينبغي تجنّبه هو السؤال الاستنكاري التقليدي القديم: ما الذي يُنتظر مـن هـذه الاجتماعات إزاء الأحداث؟ وكذلك تجنّب الجواب الاستنكاري التقليدي القديم أيضاً: لا شيء.

إن السؤال المحوري المطروح على أرض الواقع اليوم فجّر الإطار الرسمي "الروتيني" العربيّ من داخله، فلا تُجدي الأسئلة والأجوبة القديمة معه شيئاً. ولم يَعُد يوجد بديلٌ عن "خيار السلام الإستراتيجي" الوحيد(!) كما أرادته الحكومات العربية وأُعلن شكليّاً - وليس واقعياً - عن تأبينه الآن، سوى خيار وحيد آخر، هو التحوّل مـع التغييـر بصورة جذرية في اتجاه ما يلبّي إرادة الشعوب، إذا أرادت الأنظمة الحفـاظ على البقية الباقية من وجودها إقليمياً ودوليّاً، وربما استعادة بعض المكانة لنفـسها وللمـنطقة التي تحمل مسؤولية فرض القرار السياسيّ عليها منذ عشرات السنين، وبالتالي المسؤولية عن الوصول بها إلى حريق العراق ولبنان مع فلسطين.

العداء لمقاومة تفرض نفسها

رغـم الغـباء الـشديد الكامن في العجرفة السياسية الأمريكية تجاه المنطقة برمّتها، كان الرئيس الأمريكي بوش الابن - على النقيض من المعتاد عنه - أوّل مـن أدرك جانـباً هامّـاً من طبيعة الجولة الجديدة الدائرة حول مستقبل المنطقة، عندما:

- كرّر مواقفه العتيقة المعبّرة عن الارتباط الصهيو - أمريكي العضوي، بحديثه مجـدداً عـن "حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها" مُصِرّاً على قلب مفهوم هذه المقولة السياسية التقليدية رأساً على عقب.
- وكرّر البحث عن مسؤول عن الأحداث من خارج نطاق طرفي الجولة الدائرة، أي المقاومـة مـن جهة والهيمنة العدوانية الإسرائيلية من جهة أخرى، وذلك بتوجـيه الاتهـام إلى إيران وسوريا، ثم سوريا في الدرجة الأولى مع محاولة توظيف التواصل الغربي الجديد مع إيران عبر السعودية؛ لتقوم بدور ما باتجاه تلبية بعض الطلبات الأمريكية - الإسرائيلية في هذه الجولة.

- ولكــنه أضــاف العنــصر الأهم في موقفه، بما يشير إلى إدراكه مغزى البُعد الجديد في مجرى الحدث من الزاوية العسكرية والسياسية معاً، بقوله "إن على إســرائيل عــدم إلحاق الضرر بالحكومة اللبنانية"، ولم يستجب له العسكريون الإسرائيليون على أي حال.

إن الهجمــة الإســرائيلية الجديدة في لبنان العربي بعد قطاع غزة الفلسطيني العربي، تجاوزت من لحظاتها الأولى ما قيل في البداية عن أهدافها، بأسلوب أقرب إلـــى التضليل منه إلى استقراء الواقع. فليس الهدف الحقيقي حتماً هو هدف تحرير أسرى إسرائيليين، بل الهدف الأهم هو محاولة القضاء على "العدو الباقي" في وجه المــشروع العدوانـــي الصهيو - الأمريكي في المنطقة، أي القضاء على المقاومة الإسلامية، الصادرة عن القاعدة الشعبية أولاً وأخيراً.

ولكن علاوة على ذلك أخذت الهجمة الجديدة مسارها بما يوجّه واقعياً ضربة قاصــمة للأنظمة العربية نفسها، ولا يعني ذلك أن الطرف الصهيو - أمريكي يجد في الوضع الرسمي العربي القائم عقبة في طريق المشروع الصهيو - أمريكي، بل يعنـــي أنـــه يتحرك عسكرياً دون أن يراعي نتائج تحرّكه في التعجيل بانهيار هذا الوضــع، بعد أن ظهر للعيان عجز النظام العربي المهترئ، عن أداء الدور المراد لهــا صهيونيّاً وأمريكيّاً، وهو القضاء على تلك المقاومة عربيّاً، بما يجنّب الطرف الصهيو - أمريكي خسائر مباشرة ما أمكن.

العجز يعني الإخفاق رغم المحاولة، ويبدو أن بعض الأطراف العربية أدركت هــذا المغــزى أيضاً، فلم يكن يستدعي الاستغرابَ أن يظهر للعلن ما كانت بيانات القمــم واللقـــاءات الوزارية العربية تغطّي عليه سابقاً، وهو مساعي المشاركة في حــصار المقاومـــة الـــشعبية، وإضعافها، وتجفيف منابع قوّتها، جنباً إلى جنب مع الإعلانـــات الرســـمية المتكـــرّرة عن دعمها، ماليّاً، أو سياسياً وماليّاً، على حسب الظـــروف الآنية، وعلى حسب ما كان يتمّ تقديره رسميّاً بصدد ردود الفعل الشعبية التـــي يطلقـــون عليها عادةً وصف "صوت الشارع!" استهزاء بالإرادة الشعبية أو انتقاصاً من قيمتها.

بتعبير آخر بدا أن الاستهتار الإسرائيلي بمصير الحكومة اللبنانية، وما يماثل

ذلك عربيّاً، دفع إلى المسارعة المسبقة للحديث عن "مغامرات غير محسوبة" وعن "الإضـــرار بمصالح الشعوب العربية" - كناية عن مصالح الأنظمة – تأكيداً لإنكار الوصـــول إلى مرحلة العجز في ضرب المقاومة، وتأكيد الاستعداد لبذل المزيد في هذا الاتجاه.

لقد ظهر هذا الموقف للعلن قبل انعقاد لقاء القاهرة، فكان محتّماً أن يترك أثره علـــى اللقاء نفسه، ولكن سعي بعض الحكومات لدفع سائر الحكومات، إلى موقف علنـــي يعادي المقاومة المسلّحة في فلسطين ولبنان، كشف عن واقع النظام العربي مـــن جهة، وكشف في الوقت نفسه عن أن هذا الواقع تجاوزه واقعُ ما وصلت إليه المقاومة من جهة أخرى.

إن المطلوب أمريكيّاً وإسرائيلياً بصورة علنية وعبر تحرك عسكري وحشي، هـــو المقاومة، رأساً وجسداً ومفعولاً على أرض الواقع، وعلى هذا المحور بالذات يظهر العنصر الجديد في مؤتمر وزراء خارجية الدول العربية الأخير والذي ينفي القـــول إنـــه كان مؤتمراً تقليديّاً كالمعتاد سابقاً. إنه الموقف الذي يتمثّل – ببساطة مـــرعبة مـــؤلمة – فـــي الإعلان دون مواربة عتيقة، عن أن في الساحة الرسمية للأنظمة العربية مَن يريد المشاركة "العلنية" المباشرة في القضاء على المقاومة التي تحتـــضنها الإرادة الـــشعبية، بعـــد أن كان دور الأنظمة سابقاً يركّز على الحيلولة بـــصورة غيـــر مباشرة، عن طريق القمع الأمني والحصار المالي مثلاً، دون أن يحقّق هذا الاحتضان مفعوله على أرض صناعة الحدث بما يكفي.

لم يكن باستطاعة أنظمة أخرى أن تقفز هذه القفزة الخطيرة علناً، لا سيما من يعلـــم مـــنها علم اليقين، أن المقاومة أصبحت في هذه الأثناء هي الضمان الوحيد، لـــيس علـــى صـــعيد القـــضايا المصيرية والشعوب فحسب، بل حتى على صعيد استمرار وجود "الدول" نفسها أيضاً، بغضّ النظر عن نوعية الأنظمة القائمة فيها.

إن توجيه ضربات سياسية أو غير سياسية للمقاومة، علناً وليس وراء عنوان تـــضليلي يـــزعم الـــدعم المتواصـــل لها، هو سياسة انتحارية بمنظور العديد من الأنظمـــة، فـــلا يمكن تحقيق إجماع عليها، وكان البديل هو الإجماع على اختلاف علنـــي، واللجـــوء إلى مجلس الأمن الدولي، أي المجلس الذي لم تمضِ أيام على

استعراض استحالة استخراج قرار منه لا يعبّر عن انحياز كامل للطرف الإسرائيلي، وهذا إن لم يكن سياسة انتحارية فهو في أفضل الأحوال وبأبسط التعابير إعلان إفلاس مطلق.

ورقة الفتنة الطائفية

الموقف العلني من المقاومة تحت عنوان "مغامرات غير محسوبة" موقف سبق التمهيد له من قبل تفجّر الموقف في الساحة اللبنانية، بل وقبل وصول حماس عبر الانتخابات إلى السلطة. وكان هذا التمهيد بأساليب دموية وسياسية واسعة النطاق وعلى مختلف المستويات. من ذلك ما كان بمشاركة أمريكية في الدرجة الأولى، من معالمها:

- التركيز على تفجير المعركة من منطلق طائفي في العراق، عبر إدارة العملية السياسية، وكذلك عبر عشرات العمليات المشبوهة.
- التركيز على إبراز المخاوف من دور إقليمي لإيران ومن امتلاكها المستقبلي المحتمل لأسلحة نووية، مع ما يشبه الاستعراض السياسي لموقف عاجز عن الحيلولة دون ذلك، من جانب القوى الدولية الرافضة لوجود أي سلاح رادع بما فيه الكفاية في يدٍ عربية أو إسلامية.

وتكتمل صورة هذا التمهيد "الأمريكي" بسلسلة تصريحات رسمية عربية تحذّر من الخطر "الإيراني" حيناً، و"الشيعي" حيناً آخر، وكانت مصادر هذه التصريحات، هي عين الجهات التي بدأت تتحدث الآن عن "مغامرات غير محسوبة" مع توجيه أصابع الاتهام في ذلك إلى منظمة "حزب الله" الشيعية، بصورة خاصة، وهي على علاقات وثيقة معروفة بإيران. ولم تكن التصريحات ضد المنظمة تراعي سياساتها على الساحة اللبنانية خلال ربع قرن مضى، وقد غاب فيها العنصر الطائفي إلى حدّ بعيد، كما لم تكن تصريحات التحذير من "إيران الشيعية" ودورها في العراق، تراعي مواقف التحذير الإيجابية المتكرّرة الصادرة عن علماء الأمة والعديد من القادة المسؤولين من الاتجاهات الشيعية والسنية على السواء.

وللمشكلة هنا وجوه متعدّدة، منها:

1. قـــد يجد استخدام ورقة "الفتنة الطائفية" صداه شعبيّاً على نطاق محدود، يستند إلى مرحلة طويلة سابقة من النبش التاريخي لأسباب النزاعات الطائفية قديماً، وإعطائهـــا زخمـــاً جديداً في الوقت الحاضر، وممارسة مدارس مذهبية – من الجانبين – لمناهج تربوية خطيرة في هذا الاتجاه.
2. ولكـــنّ الـــتخويف مـــن خطـــر هيمنة شيعية مستقبلية "محتملة" لا يصلح على الـــنطاق الأوســـع شـــعبيّاً ليكون تعليلاً لأيّ شكل من أشكال التراجع الخطير أمـــام هيمـــنة صـــهيو – أمـــريكية دموية "قائمة" على أرض الواقع، وليست محـــتملة مـــستقبليّاً، وهـــو أمـــر يتبين من معظم عمليات استطلاعات الرأي الإعلامية.
3. ناهيك عن أن يصلح هذا التخويف تعليلاً للمشاركة في تقويض آخر معقل من المعاقـــل الـــشعبية الباقـــية – رغـــم الأنظمة – في وجه تلك الهيمنة الدموية التدميرية.

وبإيجـــاز شديد يمكن تعداد بعض العناصر الحاسمة في استقراء هذا المستقبل من منظور موقع المقاومة فيه فقط:

1. اســـتطاعت المقاومـــة حتى الآن أن تعتمد على الإرادة الشعبية أولاً وتجسيدها علـــى أرض الواقـــع، دون الدخول في صدام مفتوح مع الأنظمة القائمة غير المعبّـــرة عن تلك الإرادة الشعبية. وبقدر ما تنجح المقاومة في تجاوز ما يعنيه الموقـــف الجديد لبعض تلك الأنظمة، وتحافظ على معادلة التوازن المذكورة، بين الألغام السياسية وغير السياسية، يمكن أن تستمر في ممارسة سياسية قائمة على المفهوم الأصلي لصناعة الممكن، أي تأثير على الواقع وتغيير له، وليس تسليماً لواقع يصنعه الآخر وتراجعاً أمام عواقبه الوخيمة.
2. الإمكانـــات الذاتية، والظروف الإقليمية، والظروف الدولية، من العوامل التي ســـبّبت في الماضي وستسبّب في المستقبل نكسات صغيرة وكبيرة على طريق المقاومة، ولا يمكن أن يكون أيّ طريق لصناعة المستقبل دون هذه النكسات. وبمقدار ما تضع المقاومة وتضع الإرادة الشعبية المغذّية لها، تلك النكسات في حـــسبانها وتـــتجاوزها، تـــتمكّن من مواصلة الطريق. والاستمرارية هي التي

توصل إلى الأهداف، من وراء ما يتحقّق من نجاح بعد نجاح، ويقع من نكسات.

3. تحول الإرادة الشعبية إلى عطاء يساهم في صناعة الواقع ليس شعاراً يُرفع من طرف، ويستهين به طرف آخر، إنما هو عملية تطوّر نوعيّ يُصنع صنعاً. والوجود الحالي لفصائل المقاومة بحدّ ذاته دليل مباشر على قابلية صناعة هذا التطوّر، وثمرة جهود متواصلة على امتداد عدّة عقود. فلا بدّ من إحداث تحوّل محوري فيما يُسمّى حديثاً "ثقافة المقاومة"، من عالم الكلام عنها بأساليب التفاؤل والتشاؤم، إلى أسلوب التقويم الموضوعي، واستخلاص النتائج، وتوظيفها على متابعة الطريق نفسه، تخطيطاً وتنفيذاً، وليس على طريق حملات التيئيس حيناً، والحماسة المفرطة حيناً آخر.

4. إن المسؤولية العظمى على الصعيد الشعبي خارج نطاق فصائل المقاومة ومواطن تحرّكها الحالية، هي مسؤولية من يعتبرون أنفسهم في موقع "النخب"، فهم في مقدّمة من يقف مباشرة أمام المفصل التاريخي الجديد في مسيرة المقاومة، وفي الواقع الرسمي العربي والإسلامي الراهن.

إن كلّ حديث عن غياب التفاعل الشعبي، من مظاهرات للدعم المعنوي، أو تبرّعات للدعم المادي، أو ضغوط على المستوى السياسي الإقليمي، أو مقاطعة على مستوى تحقيق الاكتفاء الذاتي والضغوط في الساحة الدولية.. كلّ حديث عن غياب شيء من ذلك، هو في جوهره الحديث عن غيبة "النخب"، بمختلف أشكالها التنظيمية وشبه التنظيمية، وعدم انتقالها من أسلوب الكلام إلى أسلوب العمل الفعّال، دراسةً للمعطيات، وتوظيفاً لها في المخططات، وتوجيهاً للطاقات والفعاليات الشعبية، وتنميةً للإمكانات الذاتية، ومواجهةً للعقبات الخارجية، وتعبئةً لجميع ذلك على طريق التنفيذ فالتقويم والتطوير، في عملية مستمرة لا تنقطع، فهذه "النخب" التي تتحدّث عن الشعوب، هي التي تحمل المسؤولية الكبرى على صعيد ترجمة إرادة الشعوب إلى عطاءات منظورة وحركة فاعلة دائبة.

ثانياً: التداعيات الإقليمية لحرب كسر الإرادة

انقلبت المعادلة القديمة في الشرق الأوسط، إذ بات الخيار العسكري الإسرائيلي غير مجدٍ أمام مواجهة حركات دون الدولة، وفي إطار تشكل محور رباعي (إيران – سوريا – حزب الله – حماس).

فالحرب الدائرة رحاها في الشرق الأوسط اليوم بين إسرائيل وكل من المقاومة اللبنانية والفلسطينية هي في ظاهرها حرب بين إسرائيل وجماعتين إسلاميتين (حماس في فلسطين وحزب الله في لبنان)، لكنها حرب مبطّنة بين إسرائيل والدول الراعية لحماس ولحزب الله (إيران وسوريا)، وهي تكشف عن جبهة خطرة تسعى لخلق "محور عسكري" يتكون من حماس وحزب الله وإيران وسوريا، تعتبر طهران المحرك الرئيسي له وللحرب الدائرة حالياً.

طبقاً لذلك، فإن جولة الصراع الدائرة في الشرق الأوسط حالياً تختلف عن جولاته السابقة، وتكشف عن حجم التغيرات التي طرأت على السياسات العربية – الإسرائيلية خلال السنوات الأخيرة.

يتفق حول الاستنتاجات السابقة العديد من المحللين الأمريكيين في سياق رؤيتهم للأحداث التي تدور بالمنطقة، وإن اختلفوا بينهم في بعض التفصيلات الجزئية.

صراع مختلف.. ومعادلة تنقلب

الكاتب جون ألترمان مدير برنامج الشرق الأوسط بمركز الدراسات الإستراتيجية والدولية CSIS يرى في مقاله المنشور على موقع المركز يوم 14 يوليو 2006 تحت عنوان "صراع مختلف" أن مقدمة هذا الصراع كان الفوز المفاجئ لحماس في الانتخابات الفلسطينية الذي غيّر معادلة الصراع، فالحركة غير شريك في السلام كما كان الحال مع السلطة الفلسطينية، وهي ترأست الحكومة، ووجدت نفسها معزولة دوليا ليس فقط من أمريكا وإسرائيل، بل عربيا أيضاً بسبب توجس الدول العربية من تأليب الحركات الإسلامية والمعارضة عليها واتخاذ حماس نموذجا، كما أن الدول العربية خشيت من استمرار رفض حماس الاعتراف

بمـــبادرة بيـــروت العـــربية 2002، أمـــا الأوروبيون فقد فزعوا من فوز الحركة ووصـــولها للحكـــم علـــى خلفـــية ســـجلها في العمليات "الانتحارية" ضد المدنيين الإسرائيليين.

ويشير ألترمان إلى أن إسرائيل قد تغيّرت أمامها المعادلة، فحكومتها الجديدة بـــزعامة حـــزب كاديمـــا - في ظل غياب شارون - تواجه مأزقا عسكرياً وآخر سياســـياً. فحـــركة المقاومة الإسلامية حماس تريد تقديم نموذج لمعارضة إسلامية وصلت الحكم، ونفس الأمر فيما يتعلق بحزب الله الذي يشارك بالحياة السياسية في لبـــنان؛ ومـــن ثـــم فقد خلق لإسرائيل أعداء جددا ليسوا دولا أو حكومات بالمعنى العـــادي للكلمـــة، وبالتالي فقد انتهى العصر الذي كانت فيه المساعي الدولية توجه للحكومات، وباتت توجه إلى حركات دون الدول.

وعـــسكرياً، فـــإن إســـرائيل تحـــارب أولا على جبهتين، وهي ثانيا تحارب جماعات أو منظمات، لا دولاً، وعليه من الصعوبة بمكان أن تمارس الدول الحليفة لإســـرائيل أو التي ترتبط بعلاقات قوية معها ضغوطا على هذه الجماعات، خاصة أنهـــا تعتمد على نفسها من حيث التمويل والإمداد، كما أنه يمكنها الاستمرار دون وجـــود الكثير من المؤسسات الحيوية التي يمكن لإسرائيل مهاجمتها، وهي تعتمد على أيديولوجيات لا يمكن القضاء عليها حتى لو دمرت مؤسساتها.

ويـــرى ألتـــرمان أن سوريا وإيران بالطبع هما أكبر المستفيدين من الصراع الجاري، ولهما دور حيوي في الصراع، لا يمكن الإمساك به، فهو غير واضح في كل الأحوال.

إيران ثم سوريا.. مسؤولية مباشرة

وعلى عكس ما يراه ألترمان من وجود دور خفي لسوريا وإيران، فإن الكاتب مايكـــل لـــيدين الخبير السياسي الأمريكي، والذي عمل سابقاً مستشارا في وزارتي الـــدفاع والخارجية الأمريكيتين، نشر مقالا يوم 13 يوليو 2006 على موقع معهد أمـــريكان إنـــستيتوت AEI تحت عنوان "نفس الحرب"، ورأى فيه أن ما يدور في الشرق الأوسط هو حرب كالتي حدثت ضدنا منذ 27 عاماً - يقصد أكتوبر 1973 - لكنها تجري هذه المرة من حماس بغزة إلى حزب الله في لبنان وسوريا، وترتبط

بالتمــرد بالعــراق، ولكن العامل المحرك لكل ذلك هو النظام الملالي في طهران، فإيران لها اليد الطولى في كل ما يحدث بالمنطقة.

ويــصل لــيدين في تحليله لأبعد من ذلك، فهو يرى أن حزب الله هو ذراع لإيــران وســوريا في دعم الفوضى بالعراق، وأن الحزب مسؤول عن الكثير من أحداث العنف التي تقع في العراق بمشاركة سوريا وإيران نتيجة لدوره في تدريب وتــسليح المتمردين السنة، ودعمه العلني للعنف بالعراق عبر رعايته لمؤتمر عقد مؤخــراً للبعثيين والمسلحين السنة، الأمر الذي جعل واشنطن تسارع بانتقاد سوريا وطهران وتحمّلهما مسؤولية ما يحدث في لبنان والهجمات على إسرائيل.

ويقــول لــيدين: إن إيــران ومرشدها الأعلى "علي خامنئي" لم يواربا في هذه الحقــيقة، ففي ظل السجال حول أزمتها النووية، هدد خامنئي في نهاية عام 2005 بأن بإمكان إيران أن تجند آلاف "الإرهابيين" في هجمات ضد إسرائيل وأمريكا، وها هو لا يمــزح فهــو قد فعل، ويعلن دعمه العلني لسوريا ولحزب الله، ويهدد باستخدام أسلحة كيماوية قد تصل إلى إسرائيل النووية. أيضاً يستشهد ليدين بما ذكره الرئيس الإيراني أحمــدي نجــاد خلال مؤتمر لدول الجوار العراقي الذي رعته بلاده في مطلع يوليو 2006 بــأن وجــود إسرائيل لن يؤدي إلا لمزيد من تعاسة ومعاناة شعوب المنطقة، محذرا من أن غضب تلك الشعوب قد يؤدي إلى انفجار سريع لا حدود له في المنطقة.

ويــدلل الكاتب على محورية الدور الإيراني في لبنان بالإشارة إلى معلومات تــصدرها وزارة السياحة اللبنانية تقول إن عدد السائحين الإيرانيين إلى لبنان بلغ نحــو 60.888 سائحا في النصف الأول من عام 2006 - يعتقد الكاتب أن بينهم قــيادات من الحرس الثوري الإيراني - ويقارن ذلك بعدد السياح الإيرانيين لثاني أكبــر دولة يتجه إليها هؤلاء السياح وهي الفلبين (12 ألف سائح فقط)، كما يشير إلــى أن "عمــاد مغنية" رئيس العمليات في حزب الله قدم من إيران إلى لبنان بعد زيارة قام بها لسوريا بصحبة الرئيس الإيراني أحمدي نجاد.

إيران وسوريا.. الأكثر استفادة

ويــتفق مايكــل إيزنستادت مدير برنامج الدراسات العسكرية والأمنية بمعهد

واشـــنطن لدراسات الشرق الأدنى مع الرأي السابق، إذ يشير في مقال له نشر يوم 13 يولـــيو 2006 على موقع المعهد تحت عنوان "حزب الله يفتح جبهة ثانية" إلى الـــدور الإيراني والسوري في تلك الأزمة، حيث إنه من المؤكد أن الهجمات التي تـــشن علـــى إســـرائيل تم الإعداد لها جيدا في طهران، كما أن الدولتين من أكثر الرابحين جراء توسيع نطاق الحرب.

ففـــيما يتعلق بإيران، يتفق ليدين مع وإيزنستادت، على أن ما يقوم به حزب الله ضـــد إسرائيل يكشف عن أن الحزب ينفذ بالتأكيد غالبية القرارات المحورية السياسية التـــي ترســـمها القيادات الدينية الإيرانية، ولا يمكن تصديق أن الحزب لم ينل موافقة طهـــران قـــبل الإقبال على تلك الخطوة المحفوفة بالمخاطر، ويعتقدان أن توقيت تلك العملية يخدم هدف طهران الأساسي بتحويل الانتباه العالمي حول ملفها النووي، والذي بـــات يعانـــي جمودا حالياً بعد رفضها وقف تخصيب اليورانيوم، ورد الدول الغربية عليها بتحويل ملفها النووي مجدداً إلى مجلس الأمن، كما تهدف طهران من تلك الأزمة إلى تحويل الأنظار أيضاً عن الدور الذي تقوم به في العراق.

وفـــيما يتعلق بسوريا، يرى إيزنستادت أنها تستفيد من الأزمة الحالية، حيث تحـــولت إلـــى قبلة يحج إليها الدبلوماسيون العرب والأجانب، وباتت محطة أنظار الجمـــيع للدور المرتقب الذي يمكن أن تلعبه في الضغط على قيادات حماس لديها وبخاصـــة رئيس المكتب السياسي للحركة الذي يعيش في دمشق "خالد مشعل" من أجـــل التوصل إلى اتفاق للإفراج عن الجندي الإسرائيلي الأسير جلعاد شاليت، في حين أن خالد مشعل أظهر نفسه بأنه القائد الوحيد للحركة الذي يمكنه قيادة الجهود لإطلاق سراح الجندي الأسير، كما أن الرئيس السوري بشار الأسد يسعى للاستفادة مـــن الوضع الحالي لإخراج بلاده من العزلة الدولية المفروضة عليها، الأمر الذي يعني أن حزب الله يقدّم إلى دمشق فرصة لفرض هذه الأجندة.

كمـــا أن دمشق التي لها دور مباشر في تلك الأزمة – وإن لم يكن واضحا – تـــستفيد مـــن إمكانية الضغط على إسرائيل من خلال الحرب التي يشنها حزب الله وحمـــاس في ذات الوقت، وهو ما يصعب عليها وعلى إيران التوصل بسهولة إلى حل واتفاق بشأن الأزمة الراهنة.

وبناء على ذلك يرى ليدين أنه لا بد من العمل جديا على تغيير نظامي محاربي الحرية في العالم (سوريا وإيران) حيث يدعمان الإرهابيين في غزة ولبنان، والولايات المتحدة وحدها يمكن أن تنفذ ذلك.

إسرائيل.. مأزق سياسي وعسكري

بحسب ألترمان، وكما سبق، إسرائيل تواجه مأزقا سياسياً وعسكرياً، فهي في أزمة إستراتيجية عميقة، وتواجه الحكومة بقيادة أولمرت مخاطر حقيقية لانحسار التأييد لخطة فك الارتباط من أجزاء من الضفة الغربية أو "خطة التجميع"، خاصة أنها تحارب في مناطق انسحبت منهما عن طريق خيار أحادي، ولم يحقق ذلك السلام، وتبدو كل تقديرات أولمرت وكأنه يشوبها النقص والمشاكل.

ولوضع الخيارات الإسرائيلية الممكنة محل الاختبار، يفند إيزنستادت خبرة إسرائيل السابقة في التعامل مع هجمات سابقة شنتها المقاومة الفلسطينية وحزب الله على الأراضي الإسرائيلية، وتشمل الآتي:

- شن هجمات موسعة جنوب لبنان لتفكيك المليشيات المسلحة وتدمير بنيتها التحتية، وتأسيس منطقة عازلة شمال إسرائيل على طول الحدود مثل عملية نهر الليطاني في مارس 1978 وعملية الجليل في يونيو 1982.
- شن غارات جوية وهجمات صاروخية لتدمير البنية التحتية للمقاومة اللبنانية، تشمل محطات توليد الكهرباء كما حدث في إبريل 1996 ومطار بيروت في ديسمبر 1986 من أجل الضغط على الحكومة اللبنانية لتحجيم الجماعات المسلحة.
- شن ضربات جوية على محطة الرادار السورية في سهل البقاع بلبنان، حدث ذلك في فبراير ويوليو 2001، وضد أحد مراكز التدريب الفلسطينية في دمشق في أكتوبر 2003 لإجبار سوريا على الضغط على حزب الله.
- هجمات صاروخية على معسكرات تدريب حزب الله وقواعده، في يونيو 1994؛ وهو ما أسفر عن قتل العديد من المتدربين، بالإضافة إلى عدد من قيادات الحرس الثوري الإيراني، الأمر الذي اتخذ بعده الحزب احتياطات سرية لتدريب قواته ونقل بعضها إلى إيران.

• اختطاف أحد مسؤولي حزب الله مثل الشيخ عبد الكريم عبيد في يوليو 1989 والرئيس الأسبق للشؤون الأمنية لحركة أمل مصطفى ديراني اللذين تم تبادلهما في يناير 2004 بصفقة مقابل الإفراج عن جنود إسرائيليين اختطفهم حزب الله.

بيد أن الكاتب يرى أن هذه الهجمات أسفرت بشكل عام عن نتائج متواضعة ومتباينة، فبينما أدى الغزو الإسرائيلي للبنان في 1982 إلى ارتياح مؤقت، إلا أنه أوجد قوات دولية لحفظ السلام جنوب لبنان، وخلق معه الجذور الأولية لنشأة حزب الله الذي خطط لسنوات للقيام بمثل تلك العمليات، الأمر الذي يجعل من الغزو البري للبنان تجربة مريرة، لكن ربما يكون ذلك الحل الوحيد من وجهة النظر الإسرائيلية لتدمير الترسانة الصاروخية للحزب، والتي تقدر بنحو 10 آلاف صاروخ.

كما أن الهجمات المتواصلة على البنية التحتية اللبنانية ستؤدي للضغط على بيروت، لكنها قد تسفر في النهاية عن تغذية التأييد الداخلي لموقف الحزب.

وأما الهجمات الصاروخية الإسرائيلية فستكون محدودة التأثير في ظل التطور والتنوع الكبيرين اللذين أدخلهما حزب الله على عملياته وتقليل بنيته التحتية المهمة في الجنوب اللبناني، بل ستكون العمليات السريعة والخاطفة هي الأخرى محدودة الفعالية، كما أن إسرائيل التي لم تترك جثث أي من جنودها القتلى أو تتخلى عن جنودها المختطفين ربما لن تسعى للتخلي عن هذا الموقف في الأزمة الحالية في حين توسع نطاق هجماتها لتحقيق عدد كبير من الأهداف من بينها استهداف صواريخ حزب الله.

أيضاً لدى إسرائيل الخيار السوري وضرب مواقع سورية عسكرية حساسة من أجل اختبار قدرة سوريا على قبول دبلوماسية الإكراه التي من المحتمل أن تطيل أمد الأزمة الراهنة؛ لأن دمشق ترى أن اتجاه إسرائيل لضرب أهداف عادية دليل على عدم قدرتها على تقديم حلول للأزمات التي تواجهها على صعيد الصراع.

وأمام هذا الوضع المتشابك وغير المفيد جدا للجانب الإسرائيلي، يرى ألترمان أن على إسرائيل تكييف إستراتيجية جديدة للتعامل مع الحركات أو

المنظمات دون الحكومة؛ لأن المنطق الحالي لا يدفع إسرائيل إلا إلى توسيع نطاق عملـياتها المـسلحة والأهـداف التي تريد تدميرها في لبنان، وربما تتجه لضرب أهـداف حيوية في سوريا من أجل إنهاء أزمتها الحالية على أسس تعتبرها مقبولة سياسياً وعسكرياً.

بينما يقترح إيزنستادت أن أحد الخيارات لحل الأزمة الراهنة هو تدخل قوي وجـاد من الدول الكبرى طبقا لأهدافهم الإستراتيجية ووضع آليات لحل الأزمة... فأي الخيارات تقبل إسرائيل؟

صنع المقاومة.. سقوط معادلات الحكام وآليات الهيمنة

لا شكّ أنّ النكبات التاريخية في القرن الميلادي العشرين، ساهمت في انهيار اتجاهات وتقوية أخرى، كما يتردّد باستمرار عن النقلة من العصر الذهبي للقومية العـربية إلى ولادة الصحوة الإسلامية، ولكنّ العنصر الأساسي والمباشر في نشأة المقاومة الإسلامية، التي تعدّت حدود الإصلاح على مختلف المستويات، إلى تولّي مهمة الدفاع عن الوجود، وجود المنطقة نفسها، وبقائها على الخارطة الدولية، إنّما كان عنصرا جديدا، بمعنى ولادته عبر تطوّر ذاتي، وليس كردّ فعل وقتي ومباشر فقط، فقد نشأ نتيجة اجتماع عاملين أساسيين، هما نضوج الإرادة الشعبية، وظهور قيادات حكيمة.

الانتفاضـة الفلـسطينية والمقاومة اللبنانية، بغضّ النظر عن هويتهما الإسلامية، وهـي العنصر الجوهري الحاسم في نشأتهما، أوجدتا معا – ولا نغفل هنا عن مقاومة الغـزوات الأمريكية العسكرية وغير العسكرية في مناطق أخرى – معادلةً جديدة في حلبة الصراع، أسقطت سلسلة ممّا كان النظام الإقليمي العربي يطرحه ويرسّخه طوال العقـود الماضية في صيغة "مسلّمات"، ثمّ ينطلق منه في منحدرٍ كان أعمق ما وصل إلـيه هـو حضيض الاكتفاء بما سُمّي "خيار" السلام الإستراتيجي الوحيد والمعلَن من طرف واحد، والمرفوض مرة بعد أخرى من جانب الطرف الآخر.

ومن بين هذه المسلّمات المزعومة على سبيل المثال دون الحصر:

1. سـقطت مقولة إنّ الولايات المتحدة الأمريكية وحدها التي تملك صناعة القرار

أو بتعبير الرئيس أنور السادات "خيوط اللعبة وقواعدها بنسبة 99 في المائة". فالتـراجع الأمريكي إلى مستوى العجز الواقعي عن تحقيق الأهداف السياسية عـسكرياً قـد ظهر للعيان، وهنا يؤخذ بمقاييس التراجع والهزيمة مأخذا نسبيا عـند الحديث عن دولة كبرى، وانتشر هذا التراجع في مختلف مناطق العالم، بـدءاً بالجـوار في الأمريكتين الوسطى والجنوبية، مرورا بأرض الحلفاء في أوروبا، انتهاء بجنوب شرق آسيا، وبدأ تدريجياً بالظهور في المنطقة الإسلامية أيـضاً، فـشمل أفغانستان والعراق وساحة قضية فلسطين الأوسع من فلسطين جغرافيا.

2. سـقطت مقولة إنّ الشرعيّة الدولية هي ما يصدر عن مجلس الأمن الدولي من قرارات يجب أن تلتزم بها الأطراف العربية وإن لم يلتزم بها آخرون لا سيّما الإسرائيليون. فما يصدر أو يُمنع صدوره عن مجلس الأمن، بدءاً بالامتناع عن تنفـيذ قـرار الانـسحاب من الجنوب اللبناني حتى أرغمته عليه عام 2000 المقاومـة اللبنانـية كـرها، انتهاء بمذبحة قانا الثانية، لم يعد يخفي حقيقة أنّ مجلـس الأمن الدولي أخذ موقعه كأداة من الأدوات السياسية المستخدمة وفق المـوازين المتقلّبة بين القوى الدولية، وليس جهازا من أجهزة الالتزام بتطبيق الـشرعية الدولية، ليكون وسيلة شرعية للإلزام بها. إنّ من يصنع الواقع على أرض المـنطقة العـربية، الآن ومـستقبلا، سواء في ذلك القوى المعادية أو الأنظمة العربية أو منظمات المقاومة، هو الذي يصنع القرارات الدولية وليس العكس.

3. سـقطت مقولة أخرى وجدت تطبيقات عديدة، وهي أنّ العجز العربي – وهو مصنوع صنعا نتيجة سياسات لا ترقى إلى مستوى وصفها بالسياسات – يرغم المـنطقة العـربية منفـردة ومجتمعة، على تلبية المطالب الدولية، والمقصود الصهيو – أمريكية، وأنّ من لا يصنع ذلك، أو يمانع لسبب ما، تشارك أطراف عربية أخرى في حصاره ودفعه دفعا إلى الانكسار أو الانبطاح. والشاهد على سـقوط هـذه المقولة وتطبيقاتها، هو ما صنعته أمام القوّة الباطشة "المتفوّقة" أحجـارُ الانتفاضـة الأولـى وأجسادُ الرجال والنساء في الثانية، وما صنعته

صواريخ المقاومة اللبنانية وتصنعه حتى الآن، مع ملاحظة أنّ أبعدَ صواريخها مدى وقوّة لا يزن مائة كيلو جرام، أي لا يعادل زنة قنيفة واحدة من عشرات ألوف القذائف التي ألقيت في أفغانستان والعراق وفلسطين ولبنان، وجميعها صهيو - أمريكية. لقد انكشف للعيان أنّ جوهر القضيّة لا يكمن في موازين القوى، بل في صناعة الخلل فيها، ولا في حجمها، بل في الإدارة السياسية والعسكرية لها.

4. سقطت مقولة إنّ قضية فلسطين المحورية، وبالتالي مستقبل المنطقة، كانت وستبقى رهن القرار الرسمي للأنظمة، وسيّان بعد ذلك هل تتصرّف عن اقتناع ذاتي أم بإملاءات صهيو - أمريكية، للدفاع عن وجودها أو عن القضايا المصيرية، فالحصيلة واحدة. إنّ نشأة المقاومة الإسلامية في فلسطين ولبنان، لم يكن بقرار من الأنظمة قطعا، ولم يتمكّن أعداؤها بمشاركة مباشرة وغير مباشرة من جانب أنظمة محلية من القضاء عليها، أو الحيلولة على الأقلّ دون نمائها، وبات من المستحيل الترويج لتلك المقولة بعد سقوطها، بل على النقيض من ذلك؛ فقد أصبح مستقبل الأنظمة رهناً بتحوّل طبيعتها وطبيعة سياساتها، ذاتياً أو رغماً عنها، لتخرج من الارتباط التبعي بالهيمنة الصهيو - أمريكية، وتبحث عن مكان ما لها في حضن الإرادة الشعبية، التي صنعت المقاومة في رحم الأحداث الدامية الجارية ورغم سائر المعيقات الرسمية، المحلية والدولية.

الإرادة الشعبية والآلة العسكرية

إنّ أوّل ما افتقدته أو أضاعته وأهملته الأنظمة العربية في حقبة النكبات الماضية هو الالتحام بالإرادة الشعبية والتعبير عنها، بغضّ النظر عن النوايا وعن الاتجاهات، فإنّ الأنظمة الناشئة منذ الاستقلال، ملكية وجمهورية، يمينية ويسارية، مصنوعة وفق "سايكس بيكو" وأخواتها، أو وليدة انقلابات و"ثورات" محلية، قد تحولّت إلى أنظمة "أمنية" فحسب، وهي الكلمة التي تُستخدم اصطلاحيا لتجنّب كلمة "قمعية"، وإن تفاوتت درجات القمع ووسائله. وإنّ الانفصال عن إرادة الشعوب يولّد الرفض الشعبي تلقائياً، فلا يبقى أمام الأنظمة المتمسّكة بوجودها بأيّ ثمن، ووفق مقاييسها المنحرفة، سوى قمع ذلك الرفض، ومع ازدياد الرفض وازدياد القمع لا بدّ

أن تــولد ظاهرة المقاومة، وقد وُلدت وكان بعضها في البداية ضدّ الأنظمة وقُمع، علـــى اخـــتلاف توجّهات المقاومة وتوجّهات الأنظمة، كما وُلدت تدريجياً لمواجهة العدوّ الخارجي واستحال قمعها.

وإنّ وجود أنظمة تمارس السلطة المحضة بدلاً من السياسة، والفساد بدلاً من الاقتــصاد، والقمـــع بدلاً من الدفاع، لم يفقد الشعوب الثقة بها فحسب، بل بدأ في الــوقت نفــسه الــتطلّع الشعبيّ إلى قيادات وزعامات حقيقية، لا ترتبط بالأنظمة، وظهر الكثير منها وأدّى دورا في عملية التحوّل التاريخي الجارية، وكان من ذلك قــيادات واعية حكيمة ذات كفاءة، فاستطاعت صنع المقاومة، واستطاعت أيضاً – وهذا هو الأهمّ – أن تقودها بين حقول الألغام الدولية والإقليمية والمحلية المتفجّرة باستمرار، على طريق تحقيق الإنجازات.

هذا ما يؤكّد أمرين أساسيين:

1. أنّ الحديث عن خلل موازين القوى بين منظمات مقاومة محدودة العدد والعدة، والقــوة الــصهيو – أمريكية المعادية، حديثٌ استهدف باستمرار التيئيس من المخــرج الوحــيد الباقــي، بعــد خنق إمكانات التغيير في نفق "خيار السلام الإستراتيجي" الوحيد، وهو عند التأمّل الموضوعي فيه، واستيعابه وفق النتائج المــرئية علـــى أرض الواقع، حديث مقلوب رأسا على عقب، فالخلل الحقيقي لــيس في صالح الطرف المعادي، وهذا بالذات في مقدّمة الدروس المستخلصة مـــن أحداث فلسطين ولبنان، إذا أغفلنا ما لا يُحصى من الدروس عبر أحداث التاريخ، فجميع التحوّلات التاريخية كان الميزان فيها لصالح المقاومة المحدودة العـــدد والعدّة، ما دامت تنطلق من الإرادة الشعبية، فهي التي تحقّق النصر في الجولة الأخيرة، بعد تضحيات كبيرة، وإن واجهت النكسات مرّة بعد مرّة.
2. إنّ الإرادة الــشعبية موجودة، تعبّر عن نفسها بمختلف الوسائل وعبر مختلف القــنوات، فـــي حـــدود مـــا يمكن صنعه في حقبة زمنية جمعت عداء الغزو الخارجـــي وقمـــع الاســـتبداد الداخلي، ولكنّ الإرادة الشعبية وحدها لا تصنع مقاومـــة جماهيـــرية واســـعة النطاق، بدءاً بالمظاهرات الكبرى وصولاً إلى العـــصيان المدنـــي مثلاً، ناهيك عن صنع مقاومة مسلّحة ضدّ احتلال أجنبي

وعــدوان خارجــي. ومن هنا تبرز المسؤولية الكبرى على عاتق ما يوصف بالــنخب، فعندما يقع التحوّل على مستوى النخب، من كلام وإعلام ومؤتمرات ومواقــف – ولا يُــستهان هــنا بشيء من ذلك – إلى طاقات تخطيط وتنظيم وإدارة وقــيادة، فآنذاك ينبثق عن الإرادة الشعبية عمل جماهيري أوسع نطاقا وأبعــد تأثيــرا، وهو ما تعطي المقاومة الإسلامية بفلسطين ولبنان مثالا عليه، سيّان في ذلك إلى أين توصل الجولة الآنيّة من المواجهات المفتوحة.

إنّ مــا يطــرحه الطرف الصهيو – أمريكي المعادي، ومن يسير معه سرا وعلــنا، تحت عنوان "تجفيف المنابع" بمختلف المسمّيات والتسويغات، يعبّر تعبيرا مباشرا عن إدراكه أبعاد الجولات الجارية ما بين أفغانستان ولبنان وبين الصومال والشيــشان، وغيرها، وهو أنّ القضاء على منظمة لا يعني القضاء على الظاهرة، وأنّ كسب جولة عسكرياً لا يضمن عدم الاضطرار إلى خوض جولات تالية.

ولكــنّ سياســات "تجفيف المنابع" وممارساتها تخضع عند أصحابها لمنطق "القــوّة" أيــضاً، إلــى درجة الهوس به، ولا يمكن أن يصل بحصيلته إلى تجفيف "الإرادة الــشعبية" ولا قــدرتها علــى إيجاد وسائل بديلة، تكون أفضل وأقدر على الــتعامل مع المستجدّات، وبالتالي أسرع إلى تحقيق الأهداف من كلّ وسيلة يسبق "القــضاء علــيها بالقوّة"، بما في ذلك ما يجري على غير الصعيد العسكري، مثل "تغيير المناهج"، وليس مجهولا أن كل ما نشأ من اقتناعات راسخة، وأوجد ظاهرة جديــدة كظاهــرة المقاومــة، لــم يكن وليد "مناهج" إسلامية ووطنية غير تغريبيّة تصنعه، بل نشأ في حقبة سيطرة التغريب شبه المطلقة على وسائل التعليم والتوجيه والإعــلام والتوعــية والتــربية وغيرها، فيما يوصف بالمنظور الإسلامي بالغزو الأجنبي الثقافي وغير الثقافي.

إنّ التصعيد يولّد المقاومة ولا يقضي عليها، وإن قضى على منظماتها، ولبنان علــى وجه التخصيص شاهد أكبر على ذلك، فجريمة الاجتياح الإسرائيلي السابق للبــنان، قــضت على وجود "منظمات" للمقاومة الفلسطينية على الأرض اللبنانية، وكــان البديل بعد أقلّ من ربع قرن أكثر من انتفاضة فلسطينية، وأكثر من منظمة مقاومــة فلــسطينية في عمق الساحة الجغرافية للسيطرة الإسرائيلية، كما كان من

الحصيلة – الآن – العجز المشهود عن اجتياح عسكري مشابه ولو مصغّرا، رغم أنّ الآلة العسكرية الإسرائيلية أصبحت تملك من أدوات الفتك والتدمير أضعاف ما كانـت تملكه آنذاك، وأنّ جميع المتغيّرات الإقليمية والدولية في صالحها، باستثناء عنـصر واحد، هو ظهور المقاومة المنبثقة عن إرادة شعبية خارج إطار الأسلاك الشائكة للنظام الإقليمي والدولي.

إنّ العـصبة السياسية الحاكمة أو التي تحكم من خلالها آليات الهيمنة المادية، قـادرة عبر الآلة العسكرية الصهيو – أمريكية على الفتك والتدمير، وهذا يقوّض دولا، ويـصنع مآسـي فردية وجماعية كبرى، وجميع ذلك يجعلها عدوّا إجراميا بمخـتلف مقايـيس الـشرعية الدولـية والإنسانية، والدينية والسياسية. ولكن من المـستحيل في هذه الحقبة التاريخية وما يليها أن تتكرّر جريمة إبادة الهنود الحمر؛ كي تنشأ الولايات المتحدة الأمريكية على أشلائهم ومقابرهم، ولئن كان المسؤولون عن توجيه تلك الآلة ينطلقون من هذا المنطق بالفعل، فهو ما يساهم في التعجيل – بمقايـيس التاريخ زمنيا – بسقوط نهجهم، وظهور بديل يتراجع عنه، لا سيّما وقد بـات مـستحيلاً إضافة المزيد من الإجرام على طريق الهيمنة بعد أن بلغ الإجرام مداه.

ثالثاً: الالتفاف الشعبي أهم المكاسب

عقـب كل عدوان تتعرض له الأمة تخرج الجماهير العربية والإسلامية إلى الشوارع منددة بالعدوان، وبتخاذل حكوماتها عن نصرة أشقائهم في فلسطين ولبنان والعـراق أو أى دولة أخرى عربية كانت أم إسلامية، وشهدت حرب كسر الإرادة غـضبة شـعبية كبيرة، تجاوزت حدود الدول العربية والإسلامية، إلى بلدان العالم المخـتلفة، بدأت منذ بداية الاعتداء الإسرائيلي الوحشي على غزة في أواخر يونيو 2006، وتصاعدت مع انتقال مسرح العمليات إلى الجنوب اللبناني.

ولم تقتصر المساندة الشعبية لرجال المقاومة في فلسطين وغزة على الجمهور العـادي، لكـنه شـمل أيضاً نشطاء الإنترنت، وسنحاول أن نعرض لملامح هذه المساندة الشعبية.

كانت باكورة المساندة الشعبية للشعب الفلسطيني في حرب كسر الإرادة عقب صلاة الجمعة 30 يونيو 2006، حيث شهدت عدد من الدول العربية فعاليات تضامنية مع الشعب الفلسطيني؛ احتجاجاً على الاجتياح الإسرائيلي لقطاع غزة، عقب فترة من الهدوء لم تشهد حراكاً شعبيّاً طوال عدة أشهر مضت.

ففي مصر دعت الأحزاب والقوى السياسية ممثلي منظمات المجتمع المدني والمواطنين للمشاركة في تجمّع جماهيري عقب صلاة الجمعة بالجامع الأزهر بالقاهرة؛ للتضامن مع الشعب الفلسطيني.

وفي بيان لجماعة الإخوان المسلمين صدر يوم 29 يونيو 2006 حث الدكتور محمد حبيب النائب الأول للمرشد العام للجماعة الشعب المصري وقواه السياسية في المحافظات للتعبير عن غضبتها مما يحدث في الأراضي الفلسطينية بكل الوسائل السلمية. ووجه حبيب دعوة مماثلة للشعوب العربية والإسلامية والشعوب الحرة في كافة أنحاء العالم، بأن تهب لنصرة الشعب الفلسطيني. وطالب الشعوب بأن تمارس الضغوط على حكوماتها وحكومات العالم لاتخاذ موقف صارم تجاه العدوان.

وفي المغرب العربي دأبت بعض الهيئات السياسية والطلابية على تنظيم مسيرات احتجاجية بعد انتهاء صلاة الجمعة، وهو ما يلقى قمعاً من جهة سلطات الأمن.

ودعت الأمانة العامة لـ "المؤتمر القومي العربي" بالرباط إلى تنظيم "أوسع تحرك شعبي في الوطن العربي والعالم"؛ لوقف العدوان الإسرائيلي الغاشم على قطاع غزة.

وفي بيان أصدرته الأربعاء 28 يونيو 2006 طالبت جميع أعضاء المؤتمر في الوطن العربي والمهجر إلى "توسيع الاتصالات من أجل تحركات ومسيرات تضامنية تضغط على الحكومات العربية لاتخاذ المواقف المناسبة، وتؤكد لأهلنا في فلسطين أنهم ليسوا وحدهم".

مسيرة المغرب

كما شهدت المغرب أكبر مسيرة تضامنية مع الشعب الفلسطيني في مواجهة "عدوان الصيف" الإسرائيلي على قطاع غزة، حيث دوت هتافات نحو 100 ألف

مغربـــي بالعاصمة الرباط السبت 8 – 7 – 2006 مطالبين بدعم عربي وإسلامي أكبر للفلسطينيين ولحكومتهم ووقف كافة أشكال التطبيع مع إسرائيل.

وانطلقـــت المسيرة التي دعت إليها "مجموعة العمل الوطنية لمساندة العراق وفلـــسطين" و"الجمعـــية المغـــربية لمساندة الكفاح الفلسطيني" من ساحة باب الأحد بالـــرباط وتوقفت أمام البرلمان المغربي؛ حيث ردد المتظاهرون هتافات مناهضة للاحـــتلال الإسرائيلي، ومنددة بالصمت العالمي على جرائمه ومنها "لا حصار لا تجويع ونحن كالسد المنيع" و"فلسطين تقاوم والأنظمة تساوم" و"خيبر يا يهود جيش محمد سيعود" و"الانتقام الانتقام يا كتائب القسام".

كمـــا رفعـــوا الأعـــلام الفلسطينية والمغربية وصور الراحل الشيخ أحمد ياسين الزعيم الروحي لحركة المقاومة الإسلامية "حماس" الذي اغتالته إسرائيل عام 2004.

وكـــتب المتظاهرون على لافتات حملوها العديد من المطالب أبرزها "تطالب بـــدعم أكبـــر للشعب الفلسطيني ووقف كافة أشكال التطبيع مع العدو الصهيوني". وشـــارك بالمظاهـــرة عـــشرات الهيئات المدنية، إلى جانب ممثلين عن الجمعيات الثقافـــية وجمعيات المهنيين والحرفيين، وسط حضور ضعيف للأحزاب السياسية، بحسب مراسل إسلام أون لاين.نت.

وبحّـــت حناجـــر المتظاهرين لأكثر من 3 ساعات ونصف وهو الوقت الذي اســـتغرقته المسيرة. وكان لافتاً للانتباه حضور نساء طاعنات في السن إلى جانب كثيـــر مـــن المعاقين والشيوخ. وقدّر خالد السفياني رئيس مجموعة العمل لمساندة العراق وفلسطين التي دعت إلى تنظيم المظاهرة أعداد الحضور بأنه "تجاوز 100 ألف متظاهر".

ضد أمريكا والتخاذل العربي

نـــددت المـــسيرة الشعبية التي نظمت تحت شعار "جميعا لمناهضة الإرهاب الـــصهيوني ودعـــم صـــمود الـــشعب الفلسطيني" بعمليات الاختطاف للمسؤولين الفلسطينيين ووزرائه، والاعتقالات الجماعية، وتدمير البنى التحتية الفلسطينية التي قام بها الاحتلال تحت أنظار العالم.

كما نددت كلمات منظمي المسيرة بـــ "تخاذل الأنظمة العربية في الدفاع عن القضية الفلسطينية"، داعين الحكومات العربية إلى "نفض غبار الذل والهوان عنها"، و"عدم الخضوع للهيمنة الصهيونية والأمريكية".

ورفـــع المتظاهـــرون أيـــضاً لافـــتات مناهضة للولايات المتحدة الأمريكية، ومستنكرة "للدعم الأمريكي اللامسؤول للاحتلال الصهيوني".

وعـــن هذه المظاهرات الضخمة قال سعد الدين العثماني الأمين العام لحزب العدالـــة والتنمية الإسلامي في تصريحات لرويترز السبت 8 - 7 - 2006 "هذه رســـالة إلى الحكومات العربية التي يجب أن تخرج عن صمتها وتتحرك على كل الواجهات لتخفيف هذا الحصار وهذه المأساة الإنسانية". وأضاف "هي رسالة أيضاً إلى الأنظمة الغربية بأن الشعوب العربية تشعر بنوع من الغضب من سياسة الكيل بمكيالـــين الفاضـــحة فـــي الوقت الذي يسكت فيه المجتمع الدولي على ألفي أسير فلـــسطيني من بينهم مئات الأطفال والنساء ويطالب بإطلاق سراح جندي إسرائيلي محتل مدجج بالسلاح أسرته المقاومة".

مـــن جانبه وصف أحمد بن جلون الأندلسي رئيس الجمعية المغربية لمساندة الكفـــاح الفلسطيني هذه المسيرة بـــ "الرمزية لأن الشعب الفلسطيني في حاجة إلى دعـــم أكبر، وألا يكون هذا الدعم موسميا بتنظيم مسيرة أو وقفة احتجاجية"، داعياً المغاربة إلى جمع التبرعات للشعب الفلسطيني.

أمـــا عبد الرحمن بن عمرو الحقوقي والقيادي في حزب الطليعة الديمقراطي الـــذي ينتمي لاتجاه اليسار فقد أدان "الصمت الدولي الذي يقف صامتاً أمام جرائم ضد الإنسانية".

موريتانيا على الخط

وفـــي موريتانيا تعهدت المبادرة الطلابية (تنظيم طلابي نشط) بتحرك شعبي خـــلال الأيام القادمة رداً على العدوان الإسرائيلي الذي بدأ فجر الأربعاء في قطاع غزة في عملية عسكرية أطلق عليها "أمطار الصيف".

وذكـــر بيان للمبادرة الطلابية الخميس 29 - 6 - 2006 أنها تتعهد بتحريك

الشارع الموريتاني للتعبير عن غضبه سلمياً من الاجتياح الإسرائيلي لقطاع غزة. وطالب ائتلاف سياسي يضم 11 حزباً موريتانياً إلى تنظيم مظاهرات مؤيدة للفلسطينيين. ودعا منسقو الائتلاف – خلال مؤتمر صحفي عقدوه – الحكومة الموريتانية إلى قطع العلاقة مع "الكيان الصهيوني".

ودعت جبهة "الإصلاحيين الوسطيين" في موريتانيا في اليوم نفسه الحكومة الموريتانية إلى اتخاذ موقف حازم بعد تصاعد وتيرة العنف الإسرائيلي.

وفي العاصمة السودانية الخرطوم تظاهر في اليوم نفسه المئات من المواطنين السودانيين وأعضاء من منظمات المجتمع المدني؛ احتجاجاً على الاعتداءات الإسرائيلية.

وردد المتظاهرون شعارات استنكروا فيها ما دعوه صمت المجتمع الدولي تجاه تلك الاعتداءات على المواطنين الفلسطينيين. كما طالبوا بإنهاء ما وصفوه بالموقف السياسي السلبي للحكومات العربية إزاء ما يحدث بالأراضي المحتلة. ويأتي التفاعل الشعبي العربي مع الأحداث في الأراضي الفلسطينية، بعد فترة طويلة من الهدوء انتابت كافة البلاد العربية.

احتجاجات شعبية أوربية على عدوان غزة

شهد العديد من الدول الغربية مظاهرات ومسيرات احتجاجية شعبية ضد العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة، ففي فرنسا، نظمت أحزاب سياسية ومنظمات حقوقية تجمعات احتجاجية شعبية يوم السبت 1 يوليو 2006 في مدن "مرسيليا" و"مونبيليه" و"غرونوبل" و"ستراسبورج". كما شهدت ساحة "شاتلي" في قلب العاصمة تجمعا واسعا في اليوم التالي مباشرة.

وكان من بين منظمي التجمعات "الحزب الشيوعي الفرنسي" و"حركة ضد العنصرية ومن أجل الصداقة بين الشعوب"، ومنظمة "التحرك ضد الحرب"، و"اللجنة العربية لحقوق الإنسان بباريس"، وجمعيات أخرى مساندة للقضية الفلسطينية أبرزها منظمة "أورو فلسطين" التي دعت إلى "تنظيم لجان مساندة في مختلف المدن الفرنسية من أجل مساندة أهالي القطاع".

وطالــب الحــزب الــشيوعي الفرنــسي وممــثلوه فــي الجمعــية الوطنية الفرنــسية(البــرلمان) في بيان "الحكومة الفرنسية والبرلمان الأوروبي اتخاذ كافة الإجــراءات من أجل الوقف الفوري للقصف والعدوان، وسحب القوات الإسرائيلية من قطاع غزة"، كما طالب "بإطلاق سراح جميع الشخصيات الفلسطينية إضافة إلى الجندي الإسرائيلي جلعاد شاليت".

وكان وزير الخارجية الفرنسي فيليب دوست بلازي قد أدان يوم 29 – 6 – 2006 "العنف الإسرائيلي وطالب بإطلاق سراح الجندي جلعاد شاليت الذي يحمل الجنسية الفرنسية".

وفــي العاصمة النمساوية فيينا، نظمت منظمات عربية وإسلامية يوم الجمعة 30 يونــيو2006 وقفــة احتجاجــية أمام دار الأوبرا للتنديد بالاجتياح الإسرائيلي للقطاع. وتقدم ممثلو المنظمات المشاركة بمذكرة لممثل المفوضية الأوروبية بفيينا، طالــبوا فيها "بموقف أوروبي عادل تجاه الشعب الفلسطيني والخروج عن الصمت تجاه المجازر الإسرائيلية اليومية بحقه".

وقــال محمــد عــبد الغنــي – أحد المشاركين في الوقفة –: "الاعتصامات والمــسيرات الاحتجاجــية التــي تنظّم بالغرب لم ولن تؤثر على إسرائيل أو على الــسياسات الغــربية المواليــة لهــا، ولكنها توضح للمواطن العادي والرأي العام بالــشارع الأوروبي أن هناك من يهتم بالقضية الفلسطينية، وأحقية هذا الشعب في العيش بسلام".

أمــا عــادل عــبد الله – عضو برابطة فلسطين الخيرية بالنمسا – فأكد على أهمية الدور الذي يمكن أن تلعبه الجاليات العربية والإسلامية بأوروبا، مشيراً إلى أنهــا يجــب أن تركــز نــشاطاتها على ثلاثة مستويات، هي: المستوى السياسي والإعلامي والإغاثي.

تصاعد المساندة الشعبية بعد العدوان على لبنان

بعــد أن انتقلت حرب كسر الإرادة إلى مسرح العمليات في الجنوب اللبناني تــصاعدت حدة الاحتجاجات الشعبية والوقفات التضامنية مع المقاومة في جل دول

العالم، بل إن الأمر تخطى هذا الأمر إلى طرح مبادرات شعبية تتبنى دعم المقاومة والصمود الذي أبداه الشعب اللبناني بمختلف طوائفه على خطوط النيران أمام الهجمة الصهيونية التي استهدفت كسر إرادته.

250 شخصية عالمية لإغاثة اللبنانيين

إزاء وضع كارثي كان يحدق بمئات الآلاف من سكان لبنان المشرّدين والمحاصرين، طرحت شبكة "إسلام أون لاين.نت" فكرة تسمح بإيصال المساعدات الإنسانية لهؤلاء السكان بشكل عاجل وآمن.

وأوضحت داليا يوسف، مديرة تحرير قسم مسلمي أوروبا بشبكة "إسلام أون لاين.نت" الفكرة قائلة: "إنها تتمثل في تشكيل فريق إنقاذ من 250 شخصية عالمية معروفة من حوالي مائة دولة، انزعجت من الهمجية الإسرائيلية التي تصيب المدنيين، كي تقود قوافل إغاثة إلى المناطق المحاصرة، والتي تقطعت الأوصال بينها وبين سائر أنحاء لبنان، إثر تدمير الطيران الحربي الإسرائيلي لكافة الطرق والجسور التي تؤدي إليها".

وستعلن هذه القوافل مقدّماً عن الطرق والممرات التي ستسلكها لإيصال المعونات الإنسانية العاجلة للمناطق المحاصرة، فيما يمكن أن يطلق عليه "خريطة طريق آمنة" ستكون معلومة للمجتمع الدولي.

كما سترفع هذه القوافل شعاراً يتم الإعلان عنه مسبقا حتى لا تستهدفها القوات الإسرائيلية على أن تقودها شخصيات عالمية معروفة ومؤثرة على الصعيدين الإسلامي والدولي، وتضم علماء وسياسيين وفنانين ورياضيين.

القوى السياسية بمصر تبايع نصر الله زعيماً للأمة

الإسلاميون واليساريون واليمينيون.. قوى سياسية مصرية على اختلاف مشاربها نصّبت حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله اللبناني زعيما للأمة العربية، ووصفته بأنه "جيفارا العرب" الذي يقود معركة صمود في مواجهة آلة الحرب الإسرائيلية.

صـــورة تـــركيبية كبيرة تجمع الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر وحسن نصر الله تصدرت صدر الصفحة الأولى لصحيفة "العربي الناصري" اليوم الأحـــد 23 – 7 – 2006 بمناســـبة ذكرى ثورة 23 يوليو 1952 وأيضاً الذكرى الخمـــسين لتأميم الرئيس عبد الناصر لشركة قناة السويس شركة مساهمة مصرية، وكتـــبت أسفل الصور جملة "ناصر 1956 – نصر الله 2006"، بينما اعتلت نفس الصورة بشكل ثابت جميع الصفحات الداخلية "للعربي الناصري" ولازمتها عبارة " 50 عاماً على خط النار السويس – بيروت"، في إشارة إلى تقارب الشخصيتين في الصمود والتحدي في مواجهة إسرائيل على مر التاريخ.

وتحت عنوان "حسن نصر الله.. جيفارا العربي" استشهدت الصحيفة في عدد من مقالاتها الداخلية بأقوال مراقبين ومراسلين أجانب عن بطولة نصر الله، ونقلت الصحيفة عن "روبين رايت" المراسلة الدبلوماسية لصحيفة الواشنطن بوست قولها: "نـــصر الله رجـــل ديـــن وســـلاح وحكم وهو جيفارا إسلامي شعبوي وشخصية كاريزمية"، في إشارة إلى تشي جيفارا المناضل الأرجنتيني الذي ساهم في تحرير العديد من دول أمريكا اللاتينية التي كانت ترزح تحت نير الاستعمار.

ودللت رايت بقولها: "يكفي أن نصر الله يقف في قلب أكثر المواجهات شراسة بين إسرائيل وجيرانها لفترة ربع قرن".

الإخـــوان المـــسلمون أعلنوا فور وقوع عملية الوعد الصادق التي أسر خلالها حـــزب الله جنديين إسرائيليين وقتل 8 آخرين الأربعاء 12 – 7 – 2006 عن تأييدهم لعملية حزب الله، ونظموا مظاهرة تأييد وتضامن مع المقاومة اللبنانية بقيادة نصر الله الـــثلاثاء 17 – 7 – 2006 وهـــتف آلاف المـــصريين أغلـــبهم من جماعة الإخوان المسلمين تأييداً لنصر الله وللمقاومة: "همة.. همة.. همة.. نصر الله زعيم الأمة"، و"يا نـــصر الله يا حبيب.. اضرب.. دمر.. تل أبيب"، و"يا نصر الله يا بطل.. أنت بتحرر وطن"، ورفع متظاهرون صور نصر الله وأعلام حزب الله اللبناني.

ومن التيار اليميني صدرت صحيفة "الوفد" الناطقة بلسان أكبر حزب ليبرالي معـــارض في مصر في صفحتها الأولى في عدد الإثنين 16 – 7 – 2006 بشكل كامل صورة حسن نصر الله دلالة على بطولته وصموده.

وحـــول رؤيـــة حـــزب الأحرار المصري المعارض قال حلمي سالم رئيس الحزب في تصريحات لإسلام أون لاين.نت الأحد 23 – 7 – 2006: "رؤيتنا تتفق مع رؤية القوى المختلفة في مبايعة نصر الله زعيما للأمة ورمزاً للبطولة، ولا أقل مـــن أن يقف الشارع العربي بمؤسساته وأحزابه وقواه المختلفة صفّاً واحداً خلف نصر الله ضد العدوان الإسرائيلي على لبنان وفلسطين".

صفعات نصر الله

حـــزب الكرامة المصري (تحت التأسيس) أكد في بيان له "أن صفعات نصر الله ومقاتليه للكيان الصهيوني تفتح صفحات جديدة من العز والفخر في كتاب الأيام العربية المجيدة، وأن ما تمارسه المقاومة هو الفعل الإيجابي الشريف الوحيد على هذه الأرض العربية".

وأضـــاف البـــيان أن "لحظات المجد كما تحتاج منا إلى التكاتف والتوحد في مواجهة العدوان؛ تحتاج إلى دعم كل حركات المقاومة العربية وعلى رأسها حزب الله؛ رمح الأمة في قلب عدوها".

وربـــط حـــزب الكرامة بين تأميم قناة السويس وصمود المقاومة اللبنانية في مـــواجهة العـــدوان؛ حـــيث جاء عنوان دعوة لندوة نشرها موقع الحزب للاحتفال بمناســـبة مرور 50 عاماً على تأميم قناة السويس (المقاومة من عبد الناصر حتى حسن نصر الله).

واشـــتركت مواقع الأحزاب الإلكترونية المصرية عبر منتدياتها الحوارية في مبايعتها لنصر الله وتأييدها الكامل لحزب الله، وقال من أطلق على نفسه اسم حسام مـــؤنس في منتدى موقع حزب الكرامة: "حسن نصر الله، ليس زعيما لحزب الله، ولـــيس قائداً للمقاومة اللبنانية، ليس هذا فقط، لقد صار نصر الله بفعله وقوله معا، قـــيادة للأمة كلها، قيادة لكل الذين اختاروا واقتنعوا بالمقاومة حلا وحيدا لمواجهة العدو الإسرائيلي والأمريكي".

وقـــال المشارك مصطفي محمود في ذات الموقع: "عندما أشاهد الزعيم حسن نصر الله يخطب في جماهير لبنان، وتتفاعل معه تلك الجماهير بشكل لا يحدث في

أي قطر عربي، أتذكر الزعيم جمال عبد الناصر وهو يخطب في الجماهير.. عاش الزعيم نصر الله.. وعاشت لبنان حرة مستقلة"، وتابع قائلاً: "الحمد لله على أن هذه الأمـــة ما زالت تحتضن من يصون كرامتها ويرفع ويؤكد بشارات الانتصار على العدو الإسرائيلي".

واكتـــسب الخطـــاب الإعلامي لحسن نصر الله كذلك مصداقية وقدرة إقناعية عالـــية، أعادت للشارع العربي ثقته في المقاومة، وكان نصر الله قد قال في نهاية خطابه مساء الجمعة 14 - 7 - 2006 متوجها للإسرائيليين: "بما أنكم تعتبرونني أصـــدق مـــن حكامكم فإن بارجة حربية إسرائيلية ستدمر في الحال قبالة سواحل بيروت"، وبعد أقل من 3 دقائق أصيبت البارجة، وأكد الجيش الإسرائيلي فقدان 4 من جنوده على متنها.

ودخل القصف الإسرائيلي للبنان الأحد 23 - 7 - 2006 يومه الثاني عشر، مـــوقعاً أكثـــر من 350 شهيداً، معظمهم من المدنيين، وإصابة ما يزيد عن 1500 آخرين. فيما قتل حزب الله في الفترة ذاتها 35 إسرائيليا.

أساتذة جامعات مصر: المقاطعة سلاحنا

دعا رؤساء نوادي أعضاء هيئات التدريس بالجامعات المصرية إلى ضرورة تفعـــيل ســـلاح المقاطعة السياسية والاقتصادية الشاملة لكل من إسرائيل والولايات المتحدة، ودعم المقاومة العربية بعد أن استكان الحكام.

ففـــي مؤتمـــرهم العام الطارئ السبت 5 - 8 - 2006، والذي عقد بجامعة الأزهـــر فـــي القاهرة، قال الدكتور فؤاد طه عبد الحليم، نائب رئيس نادي أعضاء هيـــئة التدريس بجامعة المنيا: "القيادات العربية الآن مستكينة، ولا تعطي الفرصة للـــشعوب العربية كي تفعل شيئا، بالإضافة إلى أن الدبلوماسية العربية تقف موقفا مخـــزيا ولم تعلن حتى مجرد إعلان عن عزمها قطع العلاقات مع إسرائيل بسبب عدوانها على لبنان".

كمـــا طالـــب الـــشعوب العـــربية بـــ "مقاطعة شاملة للبضائع الأمريكية في الأسواق، بالإضافة إلى منع المسلسلات الأمريكية لتأثيرها على العقلية العربية".

واستطرد: "المقاطعة سلاح فعال حقيقي جربناه في مصر ضد محلات الأطعمة الأمريكية، وأدى إلى أثر، كما تم تجربته بنجاح ضد الدانمارك في أزمة الرسوم". وواجهت منتجات الدانمارك مقاطعة واسعة من المسلمين بعد أن نشرت إحدى صحفها في سبتمبر الماضي رسوما كاريكاتيرية مسيئة للنبي ﷺ.

وأضاف مندهشاً: "في ظل هذا الوضع المخزي تعلن دولة واحدة قطع العلاقات مع إسرائيل، وهي فنزويلا؟!".

وتتزامن دعوة المؤتمر للمقاطعة مع إطلاق نشطاء الجمعة 4 - 8 - 2006 حملة بالسعودية تدعو لمقاطعة البضائع الأمريكية، من خلال توزيع ملصقات تتضمن قائمة بالبضائع وبالشركات الأمريكية المطلوب مقاطعتها، باعتبار أن واشنطن هي الداعم الأول لإسرائيل في عدوانها على الشعب اللبناني، بعد أن رفضت عدة دعوات من أجل وقف فوري لإطلاق النار.

كما شهدت أكثر من دولة عربية من بينها مصر والأردن وموريتانيا تظاهرات تدعو للمقاطعة السياسية والاقتصادية لإسرائيل في ظل الحرب الإسرائيلية على لبنان وفلسطين.

وبجانب دعوة المقاطعة، تنوعت توصيات المؤتمر بين مطالب بدعم حركات المقاومة اللبنانية والفلسطينية، وبين إيصال الصوت العربي للغرب.

فقد طالب د.جعفر عبد السلام، الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية، بضرورة العمل على "دعم حركات المقاومة ضد إسرائيل بدلاً من الدعوات المستمرة لدخول الدول العربية إلى الحرب، وهو ما لا تستجيب له".

وأشار إلى أن "حزب الله حاليا، من المنظور القانوني الدولي، يعدّ حركة مقاومة شرعية؛ لأنه ملتزم بالكفاح لتحرير الأرض، ويعمل تحت قيادة واحدة، ويتقيد بأعراف وتقاليد الحرب؛ ولذا يجب على الجميع الاعتراف به".

وفي اقتراح يدعو إلى استغلال سلاح الإعلام، دعا د.حسين عويضة، رئيس نادي أعضاء هيئة التدريس بجامعة الأزهر، الدول العربية إلى أن "يكون لديها مؤسسات إعلامية داخل الولايات المتحدة، أو تبث إليها وإلى دول الغرب لتخفيف أثر الإعلام الصهيوني على تلك الدول، خاصة أن إسرائيل في ظل عدوانها

استطاعت بهذا الإعلام أن تعلن تأييد العالم لها.. بل وذكرت تأييد الحكومات العربية لها"، في إشارة إلى بعض الدول العربية الرئيسية التي انتقدت بشكل ضمني عملية حزب الله التي أسر خلالها جنديين إسرائيليين لمبادلتهم بالأسرى العرب في سجون الاحتلال.

د.آمنة نصير، أستاذة العقيدة بجامعة الأزهر، لفتت هي الأخرى إلى أن "فلسفة اليهود في الحرب.هي الإبادة التامة للشعوب المحيطة بها".

واعتبرت أن "الشعوب العربية مغيبة عن هذه الحقيقة.. وعليه فلا بد من العودة إلى نشر الفقه السياسي الذي يساعد على توضيح هذه الحقيقة، وإعادة تأهيل طلاب الجامعات سياسيا".

وحول مواجهة ما دمرته آلة الحرب الإسرائيلية، دعا المؤتمر إلى المشاركة في جهود إعادة الإعمار في لبنان وفلسطين بمجرد انتهاء الحرب. واقترح المؤتمر التبرع بأجر يوم من مرتبات أعضاء هيئة التدريس بمصر لصالح اللبنانيين المشردين، والبالغ عددهم مليون نازح، وكذلك من أجل المصابين الذين تجاوز عددهم ثلاثة آلاف، ثلثهم من الأطفال.

وفي الختام شدد المؤتمر على أن ما تقوم به إسرائيل من جرائم حرب لا بد من السعي إلى تفعيلها كقضايا أمام المحاكم الدولية، وتكوين محاكم افتراضية في مصر لهذه الجرائم.

علماء: لا وقت للخلاف مع الشيعة

رأى عدد من العلماء أنه لا وقت للخلاف حول مرجعية حزب الله الشيعي، وأن الوقت هو وقت توحيد صفوف المسلمين سنة وشيعة في مواجهة العدوان الإسرائيلي على لبنان والأراضي الفلسطينية، مطالبين بتغليب الرؤية السياسية والوطنية على الرؤية العقدية.

الشيخ جمال قطب رئيس لجنة الإفتاء بالجامع الأزهر سابقاً رأى أن من الخزي الحديث عن التفرقة بين السنة والشيعة في هذا التوقيت. وقال في تصريحات لـ "إسلام أون لاين.نت": "إذا كان اللقاء مفروضا بين العالم الإسلامي

مــن جهة، وبين الصليبية والصهيونية من جهة أخرى، فينبغي ألا يزعم مسلم أن هناك سنة وشيعة، أو سنة ومعتزلة أو سنة وروافض".

وناشد الشيخ قطب "كل مسلم يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر أن يحق الحق، ويــبطل الباطل، ولا يرى أمامه إلا عداوة ذات جذور غائرة في عمق التاريخ تكن للإسلام والمسلمين وللإنسان والإنسانية".

ويرى الشيخ قطب أن "الروافض إن كانت وصمة عار، فما الروافض إلا من يتــرك إسرائيل تفعل ما تفعل... وما الرافضة إلا هؤلاء الذين نكسوا على أعقابهم لا يــرون خــزي العــالم العربــي وتدني العالم الإسلامي وارتفاع راية إسرائيل والصهيونية معا".

ويذهب الشيخ قطب إلى أن "من يستحق وصف الخيانة والعمالة مع اليهود هم أولــئك الذين أغلقوا قصورهم على أنفسهم"، مشبها إياهم بزعماء بني قريظة حين خانوا الله ورسوله والوطن "فما أشبه الليلة بالبارحة".

وكان الأزهر الشريف أدان السبت 15 – 7 – 2006 الاعتداءات الإسرائيلية علــى الجــنوب اللبناني، ووصفها بالوحشية. وقال بيان صادر عن مجمع البحوث الإســلامية إن هذه الاعتداءات المستمرة على فلسطين ولبنان صدمت العالم؛ لأنها تخالف الشرائع السماوية التي ترفض العدوان.

وطالــب الأزهــر مؤســسات المجتمع الدولي، وعلى رأسها مجلس الأمن، باعتــباره الجهة الأولى المختصة في مثل هذه الاعتداءات، بسرعة التدخل لإيقاف العدوان الإسرائيلي.

الإخــوان المسلمون في مصر أكدوا بدورهم على أن الخلاف العقدي لا يؤثر في نصرة المجاهدين من حزب الله الشيعي. وكانت الكتلة البرلمانية لنواب الإخوان قــد أعلنت في بيان لها يوم 13 – 7 – 2006 موقفها المؤيد لحزب الله في دفاعه عن الأراضي اللبنانية.

ودعت الكتلة كل الأطراف الخارجية والداخلية لمساندة حزب الله ضدّ التغوّل الصهيوني تجاه لبنان بلداً وشعباً.

وفي ذات السياق ساند الشيخ راشد الغنوشي رئيس حركة "النهضة الإسلامية"

التونسية مقاومة حزب الله، واعتبر في لقاء مع قناة الجزيرة القطرية الفضائية يوم الخميس 20 يوليو 2006، أن "لبنان باتت تشكّل عقدةً للصهاينة؛ بسبب عجزها عن تحقيق انتصار عسكري على لبنان على طول المواجهات التي تمَّت بين الجانبين".

الشيخ سلمان العودة المشرف العام على موقع "الإسلام اليوم" رأى في مقال له تحت عنوان "قصف لبنان حدث أليم والحكومات قادرة على أكثر من (الكلام)" أن "من الواجب أن نستشعر الأزمة اللبنانية، وألا نترك إسرائيل كشرطي العالم يفعل ما يريد".

توحيد الصفوف هي الوسيلة في رأي العودة للخروج من الأزمة، وقال: "لنؤجل خلافاتنا إلى وقت آخر. علينا أن نتحمل مسؤولياتنا في هذه الأزمات، وليكن ذلك من منطلق إيماننا أن الله حكم عدل".

وفرّق الشيخ العودة بين الشيعة في لبنان والشيعة في العراق، مشيراً إلى فرق شيعية للموت في العراق "تستهدف أئمة المساجد والدعاة وتقوم بعمليات تصفية على الهوية"، وطالب المراجع الشيعية بأن "تبادر وتدين مثل هذا العنف والعدوان، وتسارع لإيقافه وتوحيد صفوف المسلمين".

علماء سنة وشيعة بلبنان ضد نزع سلاح المقاومة

اعتصم نحو 50 من علماء السنة والشيعة بالضاحية الجنوبية في بيروت الثلاثاء 15 - 8 - 2006 تضامناً مع المقاومة اللبنانية، ومعلنين في الوقت ذاته رفضهم القاطع لنزع سلاحها وإصرارهم على رفض أي فتنة أو اقتتال داخلي.

واجتمع العلماء بمبنى كلية الدعوة الإسلامية ببيروت، ثم انتقلوا بعد ذلك إلى مركز الأمانة العامة لـ "تجمع علماء المسلمين" الذي يضم علماء سنة وشيعة.. ثم وقفوا صفوفاً، رافعين لافتات كتب على بعضها عبارات تضامنية مع المقاومة، من بينها: (سلاح المقاومة أمانة وضمانة)، و(بالوحدة كان الانتصار.. بالوحدة نحافظ عليه) ثم انطلقوا إلى الضاحية الجنوبية.

وقال مراسل "إسلام أون لاين.نت": إن العلماء وقفوا على ركام قناة المنار الناطقة باسم حزب الله، وتجولوا بداخل الضاحية، وأخذوا يشدون من أزر سكانها

الـــذين بقوا بها رغم القصف أو الذين بدأوا العودة إليها مع بدء سريان الهدنة أمس بين إسرائيل وحزب الله.

وقال الشيخ السيد حسان عبد الله منسق "تجمع علماء المسلمين" في كلمة ألقاها أمـــام الحـــشد الذي شارك في الاعتصام: "هذا التجمع يضم علماء سنة وشيعة من طـــرابلس وعكار وبيروت وجبل لبنان والجنوب؛ لنقول للمقاومة وزعيمها (حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله) نحن معكم وسلاحكم سلاحنا".

وأضـــاف: "لا تستطيع أي قوة في العالم نزع السلاح منا؛ لأنه سلاح عزتنا وكـــرامتنا، ولا يـــستطيع أحـــد أن ينفذ ما فشل (الرئيس الأمريكي جورج) بوش و(رئـــيس الـــوزراء الإسرائيلي إيهود) أولمرت في تنفيذه"، داعياً الشعوب العربية والإسلامية للنهوض حتى يتغير الواقع العربي والإسلامي إلى الأفضل.

من جهته أكد الشيخ بلال شعبان أمين "حركة التوحيد الإسلامية" السنية أنه لا يحـــق الحـــديث عـــن نزع سلاح المقاومة قائلاً: "ليعلم الجميع أنه حتى المقاومة الإســـلامية ولا حزب الله لهم الحق أن يتحدثوا عن نزع السلاح؛ لأنه الآن لم يَعُد سلاح الحزب أو لبنان إنما سلاح أمة، ومثل هذا القرار تتخذه الأمة".

ومضى يقول: "على الجميع أن يتحول إلى المقاومة، وليكن هناك مقاومة في الجـــولان والأردن وفـــي مصر، وليكن هناك مشروع ممتد للمقاومة بعد أن فشلت مـــنظومة الـــذل العربـــي.. فليدافع عنا سلاح الشعب الأبي المقاوم ويداً بيد نصنع الانتـــصار. بـــالأمس كنا عند حولا ومرجعيون.. وقريباً.. قريباً يا أولمرت نكون على أبواب القدس".

أمـــا الدكتور عبد الناصر الجابري عميد كلية الدعوة الإسلامية ببيروت فأكد علـــى وحـــدة اللبنانيـــين قائلاً: "اللبنانيون يد واحدة على عدوهم الحقيقي إسرائيل وأمريكا".

وأضـــاف: "نقـــول للطابور الخامس الذي يتكلم عن نزع سلاح المقاومة (في إشـــارة إلـــى القـــوى اللبنانية المطالبة بنزع سلاح حزب الله) إن المقاومة لا تقدم ســـلاحها لأحد، فهي لا تريد لبنان جنين أخرى أو غزة أخرى حتى تقتلنا إسرائيل، ونحن لا نستطيع أن ندافع عن أنفسنا إلا بأجسادنا".

وأشــار مراســل "إســلام أون لاين.نت" إلى أن كلمات علماء السنة والشيعة تــوالت مــؤكدة على المضي يداً واحدة ضد "المخططات الصهيونية" لنزع سلاح المقاومة وإحداث فتنة داخلية بلبنان.

وفــي هذا الصدد قال الشيخ محمود نعمان: "إنها حضارة حمالة الحطب (في إشارة لإسرائيل) جاءت إلى لبنان لتضرب الحضارة والوحدة الإسلامية والوطنية".

وتابــع يقول: "راهنوا على الاقتتال الداخلي، ولكننا موحدون.. كلمتنا واحدة وربنا واحد وقرآننا واحد ونبينا واحد وقبلتنا واحدة وعدوّنا واحد. إنهم قتلة الأنبياء والمرسلين ليس لهم منا إلا الحديد والنار والمقاومة إلى قيام الساعة...".

ووجّــه نعمان كلمة للمقاومة قال فيها: "إننا معكم.. صامدون معكم ضد هذا العدوان البربري والتدميري لمستقبلنا وأطفالنا".

وأكمــل السيد سامي الخضرا ما بدأه نعمان قائلاً: "إسرائيل فشلت في إحداث الفرقة في لبنان"، مشيراً إلى أن "الأمة الإسلامية أمة واحدة، وأن الله تعالى أمرها بتوحيد الكلمة في مواجهة أعداء الإسلام والمسلمين".

كما وجه انتقاداً للغرب الذي ترك لبنان يرزح تحت العدوان الإسرائيلي قائلاً: "علــيكم أن تخجلوا من الكلام عن حقوق الإنسان أو حقوق المرأة أو حقوق الطفل والمعوقين".

وبعــد جــولة استمرت قرابة ساعة بالضاحية الجنوبية، عاد العلماء إلى كلية الدعــوة الإســلامية ببيروت، ثم انتقلوا عائدين إلى مناطقهم بعد أن تركوا رسالة أكــدوا خلالهــا وجهة نظرهم الشرعية الداعية إلى ضرورة "وقوف علماء السنة والشيعة صفاً واحداً ضد أعدائهم".

جمهور الإنترنت: المقاومة هي الحل

"حزب الله وحماس هما الدليل على أن الأمة لم تمت إكلينيكيا"، "المقاومة هي الحــل"، هذه بعض ردود جمهور شبكة الإنترنت المنهمرة على موقعي "إسلام أون لايــن.نــت" و"الجزيــرة.نت"، في تأييد جارف لعملية حزب الله التي أسر خلالها جنديين إسرائيليين، وقتل 8 آخرين.

هذا التأييد، المخالف لموقف الجماهير من الأنظمة العربية، رده خبراء إعلام وعلـم نفس، في تصريحات لـ "إسلام أون لاين.نت" الثلاثاء 18 - 7 - 2006، إلى الندية التي أظهرها حزب الله، وصموده أمام إسرائيل.

ففـي استطلاع على شبكة "إسلام أون لاين.نت" استمر 3 أيام، وانتهى مساء الإثنين 17 - 7 - 2006، اعتبر نحو 84.79% من إجمالي المشاركين، وعددهم 8961، أن عملـية حـزب الله هي صمود في وجه المشروع الصهيو - أمريكي، بيـنما اعتبـرها 4.87% مغامرة غير مأمونة العواقب، أما الـ 10.34% الباقية فاعتبرت أنها تخدم سوريا وإيران بشكل أساسي.

وفـي استطلاع آخر طرحه موقع الجزيرة.نت يوم 15 - 7 - 2006 رأى 91.6% أن المـواجهات بين حزب الله وإسرائيل هي مقاومة مشروعة، بينما عبر نحـو 8.4% عـن رأيهم في أنها مغامرة غير محسوبة، وهو الموقف الذي أعلنته دول عربية رئيسية في المنطقة.

وبجانب هذين الاستطلاعين، انهالت ردود المشاركين في ساحة الحوار التي أطلقـتها "إسلام أون لاين.نت" يوم 13 - 7 - 2006 للإجابة عن السؤال التالي: "هل أخطأ حزب الله؟".

وأيـد 70% مـن المشاركين ما أقدم عليه حزب الله قلبا وقالبا، معتبرين أن الأضـرار التي لحقت بلبنان هي نتيجة متوقعة، وأنها مهما كان حجمها فهي ثمن الحصول على العزة والحرية وإطلاق سراح الأسرى القابعين في سجون الاحتلال الإسرائيلي.

وقال أحد المشاركين: "الشعب اللبناني يمكنه أن يعيش بلا جسور وبلا كهرباء وبـلا ماء وبلا بنى تحتية لسنوات عديدة، وقد جرب هذه الأمور لسنوات، لكنه لا يـستطيع العيش لحظة واحدة بدون كرامة، ربما أخطأ حزب الله لأنه يحاول حفظ الكرامة العربية والإسلامية في زمن الخضوع والهزيمة!".

مـشارك آخر شدد على أن "حزب الله لم يخطئ؛ لأن هذا هو الحل لإطلاق سراح الأسرى الذين يعدون بالآلاف في سجون العدو الصهيوني، فالمقاومة حروف تكـتب بالـدم". وقال من سمى نفسه "الحافي": "لا يمكن استعادة الأسرى اللبنانيين

والعـــرب إلا بهـــذه الطـــريقة". ومستنكرة الوضع الحالي تساءلت من أطلقت على نفـــسها اســـم "الـــيمامة": "متـــى سندرك أننا يجب أن ننبذ الجانب العقائدي لنتوحد سياســـياً.. وسياســـياً هناك ما يوحدنا مع الشيعة أكثر مما يفرقنا". ومنتقدا الأنظمة العربية قال مشارك آخر: "النرويج تستدعي سفير إسرائيل محتجة (على العدوان)، والرياض والقاهرة وعمان تدين حزب الله ضمنياً".

بالمقابـــل أبـــدى نحـــو 10% مـــن المشاركين في ساحة حوار "إسلام أون لاين.نت" تحفّظهم على عملية حزب الله التي نفذها يوم 12 – 7 – 2006، ورأوا أنه من المحتمل أن يكون هدفها هو دعم موقف إيران في نزاعها مع الغرب حول الملف النووي الإيراني.

فقال عثمان: "عملية حزب الله جاءت في توقيت حساس، ولتحقيق عدة أهداف دفعة واحدة، أولا لاحظوا أن العملية تزامنت مع إحالة الملف النووي الإيراني إلى مجلـــس الأمن، فكان أن حركت إيران ذراعها في لبنان، حزب الله، لتوجيه رسالة واضحة لأمريكا وإسرائيل في حالة التفكير بعمل عسكري ضد إيران".

بينما قال مشارك آخر: "بعيداً عن نوايا الشيعة وسرائرهم، فنحن نفرح حينما يضربون عدونا التاريخي إسرائيل".

الدكتور صفوت العالم، أستاذ الدعاية في كلية الإعلام بجامعة القاهرة، قرأ في هـــذه النـــتائج والمـــشاركات أن "الجماهيـــر العربية عندما رأت درجة من الندية والمـــواجهة بين حزب الله وإسرائيل، فإن هذا خلق لديها حالة من الحماس تستعيد بها مشاعر الانتماء والوطنية".

وأوضح "العالم" لـــ "إسلام أون لاين.نت" أنه "منذ فترة طويلة، قاربت على 3 عقـــود وثـــلاث ســـنوات، لم نر حالة من حالات المواجهة الحقيقية مع إسرائيل، وعملـــيات حـــزب الله ومواجهـــته لآلة الحرب الإسرائيلية أعادت هذه الحالة إلى الواجهة، وساهمت في إذكاء مشاعر الوطنية".

ومضى قائلاً: إن "موقف الأنظمة العربية المتخاذل من المقاومة اللبنانية ساهم في تأجيج مشاعر المواطنين؛ ليدعموا، بديلا عن هذه الأنظمة، حزب الله الذي يقدم نموذجا في المقاومة والصمود في وجه العدوان الإسرائيلي".

ومنسجما مع رأي د. العالم، شدد الدكتور سعيد توفيق، أستاذ الفلسفة بجامعة القاهرة، على أن هناك "حالة من الانفصام بين الأنظمة العربية وواقع شعوبها".

وقـــال في تصريحات لـــ "إسلام أون لاين.نت" الثلاثاء: إن "موقف الأنظمة العـــربية من عمليات حزب الله أحدث صدمة لدى كل الشعوب العربية؛ حيث بدت تلـــك الأنظمـــة وكأنهـــا تبرر للعدوان الإسرائيلي، وهو موقف مناهض للمقاومة الحقيقية".

وفسر تأييد جمهور الإنترنت لحزب الله بأن "الشعب العربي يحاول من خلال دعم حزب الله إحياء مشاعر الوطنية التي كادت تتوارى، وإحياء جسد كاد يموت".

ولفت د. توفيق إلى أن "الشعوب العربية تواجه، بجانب القهر في الداخل، قهر الخارج، المتمثل في المواقف الدولية المتجاهلة للحقوق العربية".

وشـــدد علـــى أن "الأمـــة لا بد أن تدعم مواقف حزب الله، فهو حزب متعقل مناضل، له مشروع مناهض للهيمنة الأمريكية في المنطقة".

المساندة الشعبية ترغم الحكومات على تعديل مواقفها

تـــزامنت تصريحات الأمين العام لحزب الله بشأن توسيع حرب لبنان بقصف ما بعد حيفا (في إشارة للعفولة وتل أبيب)، وتصريحات شيمون بيريز نائب رئيس الوزراء الإسرائيلي بأن حرب لبنان أصبحت مسألة حياة أو موت، مع تصريحات أخـــرى تـــشكل تراجعاً وتحفظاً عربيّاً على مسار الحرب من جانب الأنظمة التي تعتبرها واشنطن من حلفائها في المنطقة، بعدما صرح الملك عبد الله ملك السعودية بأن هناك مخاطر حرب إقليمية، وقال الرئيس مبارك إن ما يحدث في المنطقة هو فوضى هدامة لا خلاقة!

وزاد مـــن تعمـــيق ظهور هذا التراجع، إفشال واشنطن لجهود مؤتمر روما لوقـــف إطـــلاق النار الفوري في لبنان، وتصاعد الموقف الشعبي العربي الرافض للعـــدوان والمـــنادي بحسن نصر الله زعيم المقاومة في لبنان قائداً للأمة، والمنتقد بـــشدة للحكـــومات العـــربية لدرجة وصفها بالخيانة للمقاومة، وظهور تصريحات أخرى من مصر والسعودية تنتقد عدم قيام واشنطن بدورها في وقف الحرب، وأنها

– كما قال مبارك لمجلة تايم – "لم تفعل شيئاً يذكر في الوقت المناسب.. كان يمكن احتواء الموقف في مرحلته الأولى".

ومع أن بوادر التراجع في الموقف العربي الرسمي لحلفاء واشنطن لا يؤشر على تغيّر يذكر في مواقف هذه الأنظمة من المقاومة، وربما جاء بفعل الضغط الشعبي والمظاهرات، فالتوقعات تشير إلى أن الخشية من فقدان هذه الدول – خصوصاً مصر – لدورها الإقليمي فيما يخص حل أزمتي فلسطين ولبنان بعدما أثبتت المقاومة قوتها، في ظل تصاعد الحديث الدولي (روسيا وأوروبا) عن دور لسوريا وإيران في حل الأزمة، ربما كان له دور في هذا التراجع في مواقف حلفاء واشنطن، خصوصاً بعدما أظهرت الخطط الإسرائيلية والأمريكية أن الهدف هو شرق أوسط جديد تهيمن عليه إسرائيل، وهو ما سبق أن رفضته مصر والسعودية.

فمن الواضح أن التحرك العربي المحدود (الأردني المصري السعودي) في بداية الحرب والمضاد للمقاومة، كان يرتكز على تصور أن المعارك سوف تتوقف عند هذا الحد مع قدوم رايس للمنطقة، وتبدأ خطط وقف إطلاق نار مع نشر الجيش اللبناني في الجنوب، بيدَ أن تطور المعارك وتهديدها بحرب إقليمية تهدد الدول الثلاثة، وتثير غضب الرأي العام الشعبي بعدما ظهر وجود تنافر في الموقفين الرسمي والشعبي العربي أثار مخاوف الحكومات؛ فظهر هذا التراجع على لسان القادة.

وساعد على هذا التحول الإعلامي في الموقفين المصري والسعودي فشل محاولة عقد قمة عربية، وسحب اليمن دعوتها لعقد هذه القمة بسبب تلكؤ غالبية الدول العربية وهروبها من استحقاق المشاركة، وبالتالي الخروج بموقف رسمي قوي يرضي الشارع العربي.

ورغم أن مسؤولين مصريين سبق أن تحدثوا عن (نظرية الفوضى الخلاقة) – التي هي محور الشرق الأوسط الجديد، والتي تعتبر أن الفوضى التي ستفرزها عملية التحول الديمقراطي في البداية هي من نوع الفوضى الخلاقة المبررة كمخاض للحرية – فهذه هي المرة الأولى التي يتحدث فيها الرئيس مبارك بغضب عن الخطط الأمريكية وفكرة الفوضى الخلاقة التي دشنتها وزيرة الخارجية

الأمريكية رايس وجناح اليمين المتطرف في إدارة بوش، ويوجه لها نقداً لاذعاً لحد وصفها بأنها "هدامة" لا "خلاقة".

أيضاً بدأت الحكومة السعودية في التراجع عن مواقف أولية أعلنتها في الأيام الأولـــى للحرب، وحمّلت فيها حزب الله المسؤولية، وطالبته بأن يحل المشكلة التي خلقها، وبدأت تطالب أمريكا بوقف فوري للنار في لبنان وتعرض مبادرات سلام، وتخـــصص أياماً لجمع التبرعات للبنانيين برعاية الملك، وتركز على نقد العدوان الصهيوني.

وإذا كـــان مثلث الدول الحليفة الذي يضم مصر والأردن والسعودية قد ظهر معارضـــاً لحــزب الله في بداية الأزمة بسبب المخاوف من أن يكون التصعيد في لبـــنان إيرانـــي الهوى والتخطيط، ومن ثَم المخاوف من آثار انتصار هذا المعسكر علـــى نفـــوذ ومصالح هذه الدول، فقد أسهمت التصريحات الأمريكية عن الشرق الأوســـط الجديد، وكشف الأهداف الحقيقية للعدوان الإسرائيلي في تعميق مخاوف حلفـــاء واشـــنطن من أن يأتي الشرق الأوسط الجديد على حساب وحدتها الترابية (تأليب الأقليات) ولصالح إسرائيل.

صـــحيح أن مواقف هؤلاء الحلفاء كانت مبررة، وتتلخص في الخشية من أن يـــنعكس انتـــصار المقاومـــة في فلسطين ولبنان على مواقف هذه الأنظمة، وعلى تعزيز قوة التيار الإسلامي الذي بات يطرح نفسه كبديل لهذه الأنظمة، إلا أن إطالة أمـــد الحـــرب واتساع نطاقها وتصاعد الغضب الشعبي، وظهور الأهداف الحقيقية للحرب في "الشرق الأوسط الجديد" الذي ستقوده إسرائيل، دفع هذه الأنظمة للتراجع نسبيّاً عن مواقفها المتشددة ضد المقاومة.

وسائل أخرى لإضعاف المقاومة

بـــل إن هـــناك مـــن يرى من الخبراء والمحللين أن مسارعة الدول العربية الحليفة لواشنطن بالمبادرة من أجل تمويل إعادة الإعمار في لبنان، وتعزيز القوى السياسية المؤيدة للغرب على حساب حزب الله، هدفه إضعاف حزب الله والمقاومة بوسائل أخرى، وحرمان المقاومة ومَن وراءها (إيران) من جني ثمار الحرب، بما

قد يحولها لقوة أكبر وأكثر وزناً في المعادلة العربية الإسرائيلية على حساب الأنظمة الحليفة لواشنطن.

واللافت هنا أن هذا الموقف العربي الرسمي يتقاطع مع مواقف أمريكية وغربية باتت على يقين بأن حزب الله فاز، وسيخرج منتصراً من المعارك بعدما صمد أمام العدوان وجرائم الحرب الصهيونية، وأنه سوف يترتب على هذا دور أكبر لحزب الله في الساحة اللبنانية ومَن وراءه (إيران وسوريا)، ومن ثَم عادت للتأكيد على ضرورة مساندة الحكومة اللبنانية ومساعدتها في بسط نفوذها في الجنوب، ومطالبة تل أبيب بوقف الضربات التي تضعف الحكومة والجيش اللبناني على أمل تعزيز "السنيورة" والقوى السياسية اللبنانية المؤيدة للغرب والمعارضة لحزب الله.

وضمن هذا التصور يمكن فهم مسارعة السعودية بإيداع مليار دولار في مصرف لبنان المركزي لتعزيز احتياطه ودعم الليرة اللبنانية، وتقديمها مساعدة بقيمة 500 مليون دولار لإعادة إعمار لبنان، والجسر الجوي المصري لمساعدة لبنان، وتنظيم حكومات الخليج مهرجانات للتبرع للبنان، ربما لاستباق دور "أصدقاء حزب الله"، بعدما وعد الأمين العام لحزب الله حسن نصر الله بإصلاح الدمار عن طريق "أصدقاء جديون قادرون على مساعدتنا بمال طاهر شريف دون ثمن سياسي" في إشارة واضحة لإيران!

قد يبدو بالتالي أن هناك بوادر انقلاب في الموقف الرسمي لحلفاء واشنطن العرب؛ بسبب المواقف الأمريكية المنحازة لتل أبيب على حساب تدمير لبنان، رغم اتفاق الجميع على تحجيم دور المقاومة في فلسطين ولبنان بهدف القبول بما تعرضه تل أبيب والتوصل لأي سلام، لكن حقيقة الأمر تشير ضمناً إلى السعي لاستخدام "وسائل اقتصادية" لإقصاء نفوذ المقاومة التي لا يزال الحلفاء يوجهون لها نقداً حاداً.

وربما لهذا عادت كوندوليزا رايس إلى الشرق الأوسط – بعد مناورة مكشوفة بالسفر لماليزيا لإظهار نفض يدها من وقف إطلاق النار – بهدف ترتيب الأوضاع الجديدة في المنطقة بعد وقف إطلاق النار تضمن عدم قطف حزب الله ثمار

صـــموده أو انتصاره المعنوي على جيش الاحتلال، أو قطف المقاومة الفلسطينية ثمـــار هذا الصمود اللبناني وهز الأمن الصهيوني من العمق لأول مرة في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي!

هجوم رايس المضاد

اســتهدف قــدوم رايس للمنطقة منذ البداية إخراج تل أبيب من ورطتها أمام حــزب الله بمــا يحفظ ماء وجهها، خصوصاً أن الأهداف الإسرائيلية من الحرب تحققــت وتم ضرب وهدم كل الأهداف في لبنان، ولم يَعُد يخسر من الحرب سوى الاقتصاد الإسرائيلي والشعب اليهودي الذي ينام في الملاجئ منذ أكثر من أسبوعين لأول مرة منذ نشأة الدولة العبرية.

بــل لقــد وجّه محللون يهود انتقادات لأمريكا من زاوية أن واشنطن تريد أن تحــارب تــل أبيب مكانها لضرب حزب الله وتنفيذ الخطة الأمريكية لشرق أوسط جديــد خــال مــن المقاومة، وقالوا إن استمرار الحرب مع صمود حزب الله في المعارك البرية وتطوير عمليات القصف بحيث باتت على أبواب تل أبيب، يتطلب ســرعة وقف القتال، بل يبدو أن تضخيم المؤسسة الإعلامية العسكرية الإسرائيلية لخــسائر حزب الله في القتال بالقول إنه تم قتل 200 وتدمير نصف قوته والقضاء على صواريخه.. كل ذلك مقدمة لحفظ ماء الوجه والإيحاء بأن الجيش الإسرائيلي حقــق أهدافــه، ومن ثَم قبول وقف إطلاق النار وقبول تل أبيب لهدنة، ثم التركيز علــى المعــركة السياسية – بالتعاون مع القوى اللبنانية الموالية للغرب – المتعلقة ببــسط ســلطة الجيش اللبناني على الحدود، ونشر قوات دولية، والسعي لإضعاف حزب الله.

فهــل التــراجع الظاهر في الموقف العربي الرسمي ونقد واشنطن يستهدف امتــصاص الغــضبة الشعبية والتعبير عن انزعاج من أن إطالة أمد الحرب يضر الأنظمــة واستقرارها؟ أم أنه غضب عربي حقيقي على الموقف الأمريكي؟ أم أنه تحــول ضمني لوسائل أخرى لقلب الطاولة على المقاومة التي باتت تهدد شرعية الحكومات العربية وتقدم نفسها كمحرر للأراضي العربية المحتلة؟

رابعاً: تداعيات حرب كسر الإرادة
على إسرائيل

كـــان لحـــرب كسر الإرادة تداعياته الكبيرة على صعيد الداخل الإسرائيلي، فالهزيمة العسكرية فتحت الباب للتحقيق مع كبار قيادات الجيش، في عملية تذكرنا بمـــا حـــدث بعد حرب أكتوبر 1973، كما أظهرت عدم قدرة إيهود أولمرت على قـــيادة الـــبلاد في المراحل الصعبة من الصراع، وهو ما دعا الكثير من المحللين داخل إسرائيل للقول بأن بلادهم تعاني من فقر في القيادات.

وأقر رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت للمرة الأولى بوجود "إخفاقات" في الحرب على لبنان، وأعلن تشكيل لجنة تحقيق في أداء الجيش الإسرائيلي، كما طالب الدولة العبرية بضرورة الاستعداد لمواجهة التهديد الإيراني.

قـــال أولمـــرت في مؤتمر لرؤساء البلديات في مدينة حيفا بشمال إسرائيل التي تـــضررت مـــن صواريخ حزب الله، مساء اليوم الإثنين 28 – 8 – 2006: "لم نكن مستعدين كما يجب، لم نحصل على النتائج المرجوة، حصلت نواقص وحتى إخفاقات، وحتى إن كانت الحصيلة العامة إيجابية فإن علينا ألا نتجاهل هذه الثغرات".

وأعلـــن أولمرت في تصريحات نقلتها وكالة الأنباء الفرنسية عن تشكيل لجنة تحقيق عامة في حرب لبنان. وقال: "إن الحكومة التي أترأسها ستعين لجنة برئاسة ناحـــوم أدمونـــي (رئـــيس ســـابق للاستخبارات الإسرائيلية الخارجية "الموساد")، وستكلف بدراسة أداء الحكومة خلال الحرب، وكل جانب آخر تراه ضرورياً".

وتطـــرق رئـــيس الـــوزراء الإسرائيلي للأصوات الداعية لاستقالته والقيادة الإسرائيلية قائلاً: "أسمع أصوات المنتقدين، وأشم منها رائحة الانتهازية السياسية"، ولكـــنه قـــال: "الـــسؤال ماذا سنفعل مع هذه الانتقادات؟ كيف يمكن أن نستخدمها لإصلاح هذا البلد؟".

وأعلـــن أولمرت أنه يتحمل المسؤولية كاملة عن قرار الحرب، وتعهد بإعادة الجنديـــين الإسرائيليين المأسورين لدى حزب الله، وقال: "أعدكم بأن يعود الجنديان الإسرائيليان إلى منزلهما".

وطالـــب أولمـــرت الدولـــة العبـــرية بضرورة الاستعداد للتعامل مع التهديد الإيرانـــي قـــائلاً: "يجـــب أن نُعِدّ لتهديد من إيران، حيث إن رئيس إيران (محمود أحمدي نجاد) يكره إسرائيل".

وأضـــاف: "ليس لدينا الترف لنضيّع سنوات في التحقيقات التي لن تفيد بشيء مع تعلّم الدروس والإعداد للمستقبل". وتابع: "هذه ليست حرباً ضد حزب الله فقط"، متّهماً سوريا وإيران بدعم الحزب عسكرياً.

لجنة الفحص تنذر بصدام سياسي عسكري

أصـــدر وزيـــر الحرب الإسرائيلي عمير بيريتس قرارا بتشكيل لجنة فحص لتقـــصي الحقائـــق حـــول أداء الجيش الإسرائيلي خلال الحرب على لبنان، دون التعرض للجانب السياسي الممثّل في الحكومة، مما أثار موجة من تبادل الاتهامات بـــين قـــادة الجـــيش والزعماء السياسيين حول تحمّل المسؤولية تنذر بصدام بين العسكر والساسة حسبما رأى مراقبون.

وأبلـــغ بيـــريتس رئـــيس هيئة أركان الجيش الأسبق أمنون شاحاك بقرار تكليفه برئاســـة اللجنة، التي تضم كلا من الجنرال هرتزل بودينجر قائد سلاح الجو الأسبق؛ والجنـــرال إيلان بيران مدير عام وزارة الحرب الإسرائيلية الأسبق، والجنرال عامي سجيس رئيس شعبة الإمداد السابق، وإيلي هورفيتس رئيس شركة تيفع للأدوية.

وجـــاء فـــي قرار تشكيل اللجنة أنها مكلفة "بفحص المجالات التالية: جاهزية واســـتعداد الجيش الإسرائيلي والمؤسسة الأمنية للقتال في الساحة اللبنانية وحماية الجبهة الداخلية؛ إلى جانب فحص عمليات الجيش الإسرائيلي والمؤسسة الأمنية في الساحة اللبنانية منذ اختطاف الجنديين، وحتى موعد دخول وقف إطلاق النار حيز التنفيذ".

غيـــر أن قرار بيريتس صورته النخبة العسكرية وجانب من الطبقة السياسية ووسائل الإعلام على أنه محاولة لحصر مسؤولية فشل إسرائيل في الحرب بالجيش وقـــيادته فقـــط، والتستر في المقابل، على أوجه القصور الكبيرة في أداء المستوى السياسي ممثلا في بيريتس نفسه ورئيس الوزراء إيهود أولمرت.

وسارع عدد من جنرالات الجيش باتهام بيريتس بأنه يحاول دفع المسؤولية عن نفسه وعن رئيس الوزراء إيهود أولمرت، مشددين على أن وزير الدفاع من منطلق موقعه يمثّل المستوى السياسي المكلف بالإشراف على الجيش وهو حلقة الوصل بين الحكومة وقيادة الجيش، حيث يعمل رئيس هيئة الأركان تحت إمرته.

ليس هذا فحسب، بل إن عددا من جنرالات الجيش الذين طلبوا عدم ذكر أسمائهم شددوا أكثر من مرة على أن المستوى السياسي الممثل في أولمرت وبيريتس هو الذي منع الجيش من شن الحملة البرية عند بداية الحرب، على اعتبار أن هذا كان من الممكن أن يعزز فرص الجيش في القضاء على عدد أكبر من منصات إطلاق الصواريخ على شمال إسرائيل، فضلاً عن أنه كان من الممكن أن يدفع حزب الله والحكومة اللبنانية إلى الموافقة على النسخة الأولى من الصيغة الفرنسية الأمريكية التي اقترحت لتكون نص قرار مجلس الأمن لوقف إطلاق النار قبل تعديلها.

الجنرال بني جنتس قائد سلاح المشاة قال في مقابلة مع صحيفة "ديفنس نيوز" الأمريكية المتخصصة في الشؤون العسكرية أول أمس: "لم يكن هناك أحد في القيادة العسكرية الإسرائيلية العليا ادعى أن قوة جوية يمكنها حسم المعركة دون عملية برية".

واتهم جنتس القيادة السياسية صراحة بأن اعتباراتها هي التي أدت إلى عدم تحقق خطة الجيش في الأسابيع الأولى من القتال.

وقال: "بينما خطط الجيش الإسرائيلي لحملة مشابهة لحركة قطار سريع، فإن الأمر الذي حصلنا عليه عملياً كان حافلة صغيرة توقفت عدة محطات بالطريق".

من ناحيته لم يقف بيريتس مكتوف الأيدي حيال الاتهامات، وحاول رد الصاع صاعين لقيادة الجيش، حيث نقلت عنه صحيفة "معاريف" في عددها الصادر الخميس 17 - 8 - 2006 قوله إنه عندما تسلم مهام منصبه، قبل نحو 4 أشهر، كانت مسألة حزب الله وتهديد الصواريخ من لبنان في أدنى سلم الأولويات للمواضيع التي عرضت عليه من قبل قيادة هيئة الأركان؛ وبذلك يحمّل بيريتس الجيش المسؤولية عن واحدة من أكبر مصادر الخطر في تلك الحرب.

وعـــزز موقـــف بيريتس خروج عدد من كبار ضباط الاحتياط الذين خدموا خلال الحرب وانتقدوا رئيس هيئة الأركان دان حالوتس، مطالبين إياه بالاستقالة.

هؤلاء الضباط قرروا الشروع في حملة جماهيرية لمطالبة حالوتس بالاستقالة من منصبه فورا، على اعتبار أنه المسؤول عن معظم مظاهر القصور في الجيش.

ونقلـــت الـــصحيفة عن أحد الجنرالات قوله عن حالوتس: "فليغادر هذا الوقح الـــذي لا يفهـــم بالأمـــور العسكرية"، دون أن يرفع المسؤولية عن بيريتس وبقية السياسيين.

ناحوم برنيع المعلق السياسي البارز بصحيفة "يديعوت أحرونوت"، اعتبر في مقـــال نشرته الصحيفة الخميس قرار بيريتس تشكيل لجنة الفحص بأنه يمثّل "ورقة التـــين التـــي تحاول القيادة السياسية أن تغطي بها تقصيرها في أداء مهامها أثناء الحرب".

أمـــا عـــوزي بنزيمان المعلق السياسي بصحيفة "هاآرتس" فقال إن المستوى السياسي لا يمكنه أن يطهّر نفسه من المسؤولية.

وحـــول حجة أولمرت بأنه عارض توسيع العمليات البرية، يتساءل بنزيمان: إن كـــان أولمرت قد عارض توسيع القتال، فلماذا صادق على ذلك، وكيف يجرؤ أعوانه على إبعاد اللوم عنه بشأن نتائج الحرب؟".

وبـــدوره يعتبـــر الكاتب والمفكر عاموس كرميلي في مقال نشرته "يديعوت أحـــرونوت" أنـــه "وفق كل المؤشرات، فقد فشل كل من أولمرت وبيرتس في هذا الاختبار العسير؛ ولهذا فإن عليهما أن يغادرا السلطة".

ويـــسخر الجنـــرال رؤفين فيدهستور، الذي شغل في السابق مناصب رفيعة بـــسلاح الجـــو من الذين يقولون إن إسرائيل تلقت مجرد "صفعة" في هذه الحرب، ويقـــول في مقابلة مع الإذاعة الإسرائيلية: "المصطلح الأكثر ملاءمة لوصف نتيجة الحـــرب هو أننا تلقينا ضربة قاضية. نحن لسنا أمام فشل عسكري فقط. هذا فشل إستراتيجي لم تتضح بعد تبعاته وإسقاطاته السلبية بعيدة المدى".

ويضيف: "نحن مثل الملاكم بعد أن يتلقى الصدمة، نحن ما زلنا جاثمين على الأرض في شبه إغماء محاولين فهم ما حدث لنا. ومثلما أفضت حرب الأيام الستة

(1967) إلـــى تغيّر إستراتيجي في الشرق الأوسط وتكريس مكانة إسرائيل كدولة إقليمية عظمى، قد تؤدي حرب لبنان الثانية إلى عملية ذات نتائج معاكسة تماما".

نواب إسرائيليون يطالبون باستقالة رئيس الأركان

"دان حالوتس"، رئيس هيئة أركان الجيش الإسرائيلي الذي توقع له الكثيرون أن يـــصبح رئيـــساً للوزراء، بات يواجه إمكانية عدم البقاء في منصبه حتى نهاية ولايـــته التـــي تبلغ 3 أعوام، أمضى منها عاماً واحداً... ليس ذلك فحسب، بل من المتوقع إبعاده تماماً عن لعب أي دور في الحياة السياسية.

وبعـــد حملـــة انـــتقادات قوية طالته بسبب الإخفاق العسكري الإسرائيلي في المـــواجهة مـــع حـــزب الله، تصاعدت الأربعاء 16 - 8 - 2006 حملة إعلامية شرســـة ضد حالوتس بالتوازي مع مطالبة نواب بالكنيست بتقديم استقالته، بعد أن كـــشفت صـــحيفة عبرية عن "فضيحة" اهتمامه ببيع أسهم له عقب أسر حزب الله لجنديـــين إسرائيليين بساعتين فقط؛ وذلك لتوقّعه أن أسعارها ستنخفض، وانصرافه عـــن التفكيـــر فـــي كيفـــية التصرف لاسترداد الجنديين اللذين أسرهما حزب الله لمبادلتهما مع الأسرى العرب بالسجون الإسرائيلية.

وكشفت صحيفة "معاريف" العبرية الثلاثاء 15 - 8 - 2006 النقاب عن أن حالـــوتس اتـــصل يـــوم 12 يوليو الماضي، وبعد ساعتين فقط على أسر الجنديين الإســـرائيليين وقـــتل 8 آخرين، بمستشاره المالي، وطلب منه بيع أسهمه التي تبلغ قيمتها 27 ألف دولار.

وقالـــت الـــصحيفة: إن حالوتس بدلاً أن يمعن في الساعتين الحرجتين اللتين أعقبـــتا عملية أسر الجنديين في كيفية التصرف على الجبهة اللبنانية لاستردادهما، حصر تفكيره في كيفية الحفاظ على أمواله الخاصة.

والأمر الذي أثار مزيدا من الغضب ضد حالوتس، كما يرى منتقدوه، أنه باع أســـهمه بعـــد أن تبين له أن الحرب ستندلع، وأن قيمة الأسهم ستنخفض، كما هو الحال عند اندلاع الحروب.

وتـــراجعت مؤشـــرات الأسهم الرئيسية في إسرائيل بحوالي 12% في بداية

العدوان على لبنان، ثم تحسنت أسعار الأسهم تدريجيا، وهي الآن أقل قليلاً من مستوياتها قبل الحرب.

وبين عشية وضحاها تحوّل حالوتس، الذي وصف "بالخائن" إلى "نجم" السخرية بأحد البرامج التليفزيونية الترفيهية الشهيرة. ويقول "رفيف دروكر"، مقدم أحد البرامج الحوارية في القناة العاشرة بالتليفزيون الإسرائيلي مساء الثلاثاء: إن "الغوص في الجحيم، هو أفضل لحالوتس وأفراد عائلته".

وقال والد أحد جنود الاحتياط الذين قتلوا في المعارك مع حزب الله في مقابلة مع الإذاعة الإسرائيلية صباح الأربعاء: "إنه لأمر مشين أن يوضع مصير جيشنا وجنوده في أيدي شخص مثل حالوتس لا يهمه إلا مراكمة ثروته الخاصة، فيما يُقتل أبناؤنا ويأسرون ويصابون في المعارك".

والد جندي آخر قال: "الآن انجلت الصورة قليلاً بالنسبة لي حول الأسباب التي أدت لخسارتنا المروعة، فالذين كان يتوجب عليهم أن يديروا الحرب كانوا مشغولين في شؤونهم الخاصة، هل هذه الدولة التي حلمنا بها؟! هل هذا الجيش الذي أملنا أن يدافع عنا؟!". كما وجه آخرون لحالوتس تهمة "خيانة أسرى وقتلى وجرحى الحرب".

يشار إلى أن القانون الإسرائيلي لا يحظر على العسكريين شراء وبيع الأسهم، إلا أن الانتقادات جاءت بسبب توقيت بيع حالوتس لأسهمه.

أعضاء لجنة الخارجية والأمن بالكنيست استغلوا مثول حالوتس الأربعاء أمام لجنتهم لمطالبته بالاستقالة فورا. واعتبر "تسفي هندل"، عضو اللجنة عن حزب الاتحاد الوطني أن "سلوك حالوتس يمثّل فضيحة حقيقية لا يليق بدولة إسرائيل أن تمر عليها دون محاسبته، وإجباره على دفع الثمن الشخصي المطلوب".

وانضم إلى هندل في طلبه عدد آخر من النواب، كما انطلقت دعوات في هيئة أركان الجيش تطالب بإقالته.

الحرج أصاب أيضاً رئيس الوزراء إيهود أولمرت، ووزير حربه عمير بيرتس، اللذين رفضا التعليق على الفضيحة. واعترف الجنرال حالوتس ببيع الأسهم في تصريحات للصحفيين، لكنه نفي ارتكاب أي أخطاء.

ونقلـت "معاريف" عن حالوتس قوله: "صحيح أنني بعت حافظة الأسهم يوم 12 يولـيو، لكن من المستحيل ربط ذلك بالحرب. حينها لم أكن أتوقع أو أفكر أنه ستكون هناك حرب".

وقـال حالـوتس في تصريحات منفصلة للصحفيين: إن "هذه تقارير متحيزة وخبيثة لا أعرف مَن وراءها، ولا أنوي الانجرار إلى موضوع يلوث نزاهتي".

ويتعرض حالوتس بالفعل للهجوم من بعض المعلّقين العسكريين الإسرائيليين جـراء إدارتـه للحملة ضد حزب الله، والتي كلفت إسرائيل خسائر بشرية ومادية فادحة نظر إليها العديد من المعلّقين على أنها فضيحة في تاريخ إسرائيل العسكري.

ففـي أقـل من خمسة أسابيع، هي عمر العدوان الإسرائيلي على لبنان، سقط 157 إسرائيلياً، بينهم 117 جندياً، معظمهم خلال المعارك الضارية بين حزب الله وبين قوات الصفوة التي دفعت بها إسرائيل إلى جنوب لبنان.

كما أطلق حزب الله قرابة 3970 صاروخا على مدن شمال ووسط إسرائيل؛ وهـو مـا أسـفر عـن إصابات مباشرة في آلاف المنازل، و57 مصنعاً وورشة صـغيرة، و570 محـلاً تجارياً و1200 سيارة، وكذلك تدمير 42 حقلاً زراعياً، فـضلاً عن تضرر أكثر من 10 آلاف شجرة. كما اضطر أكثر من مليون ونصف المليون إسرائيلي من سكان الشمال للتحول إلى لاجئين.

ويقتـرن اسـم حالوتس بالعديد من المجازر في الأراضي الفلسطينية، ومنها الأمـر الذي أصدره يوم 15 - 7 - 2002 بوصفه قائدا لسلاح الجو آنذاك، بإلقاء قنبلة تزن طنا على حي "التفاح" بغزة بهدف اغتيال الشيخ صلاح شحادة القائد العام لكـتائب الـشهيد عـز الدين القسام، الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية (حماس).

وأسـفرت العملـية عن مجزرة راح ضحيتها، بجانب شحادة، 16 فلسطينيا، ضـمنهم تسعة أطفال. وفي تعليقه على هذه المجزرة قال حالوتس: إنه نام في هذه الليلة بشكل "ممتاز"!

كمـا كـان حالوتس صاحب الأمر بإطلاق طائرات الأباتشي الإسرائيلية يوم 22 - 3 - 2004 عـدة صـواريخ من طراز "هايل فاير" الحارقة على الكرسي

المتحرك الذي كان يجلس عليه الشيخ أحمد ياسين، الزعيم الروحي ومؤسس حركة حماس، بعد خروجه من المسجد عقب صلاة الفجر.

ويـــومها قال حالوتس للصحفيين: لقد ضاعفت عدد القبلات التي طبعتها على وجنة زوجتي، ابتهاجا بمقتل ياسين!

وكان حالوتس أيضاً ضمن الطيارين الذين قصفوا المفاعل الذري العراقي في عـــام 1981، وقـــصف مقـــر منظمة التحرير في "حمامات الشط" بتونس في عام 1986.

وبوصـــفه قائـــدا لسلاح الجو، كان مسؤولاً عن معظم عمليات الاغتيال بحق نشطاء المقاومة الفلسطينية.

جنرالات يدعون لثورة في سياسة التجنيد بإسرائيل

يطالـــب جنـــرالات إســـرائيليون بـــثورة حقيقـــية في سياسة التجنيد للجيش الإسرائيلي، كإحدى العِبَر التي تم استفادتها من الحرب مع حزب الله.

ونقلـــت النـــسخة العبـــرية من موقع صحيفة "يديعوت أحرونوت" على شبكة الإنترنت مساء الجمعة 25 – 8 – 2006 عن كبار قادة الجيش الإسرائيلي قولهم: إنـــه فـــي ظل السياسة الجديدة يتوجب إلغاء إعفاء الكثير من الفئات التي كان يتم إعفاؤهـــا بـــشكل تقليدي من الخدمة العسكرية، مثل اليتامى والأبناء الوحيدين في أسرهم.

لكـــن أكثـــر الخطوات دراماتيكية التي يطالب بها هؤلاء الجنرالات هي عدم تطبـــيق قانـــون تقصير فترة خدمة جنود الاحتياط، وهو القانون الذي حرص على سنّه وزير الحرب الأسبق شاؤول موفاز.

ويقـــول مراســـل إســـلام أون لاين.نت: إن هذه الدعوات تدل بشكل لا يقبل التأويل على حجم التأثير الذي تركته هذه الحرب على اتجاهات التفكير لدى دوائر صـــنع القرار في الدولة العبرية. فحتى قبل عدة أشهر كانت هناك دعوات إلى سن المـــزيد مـــن القوانين لإحداث مزيد من التقليص في الفترات التي يخدم فيها جنود الاحتياط.

"بـن كاسبيت"، المعلق الرئيسي في صحيفة "معاريف" العبرية قال في حديث مـع القـناة الثانية بالتلفزيون الإسرائيلي أمس الجمعة: إن الذين كانوا يدعون إلى تقلـيص فترة خدمة الاحتياط كانوا يستندون إلى حجتين أساسيتين: غياب تهديدات جديـة على إسرائيل من العالم العربي، لا سيما بعد خروج مصر من دائرة العداء للدولة العبرية بتوقيعها على اتفاقية "كامب ديفيد"، وسقوط العراق وضعف سوريا، والحجـة الثانية تقوم على أنه في زمن التقدم الهائل في مجال التقنيات العسكرية، فإنـه قـد حدث تراجع كبير في الاعتماد على العنصر البشري في حسم المعارك. لكن المعركة في مواجهة حزب الله أثبتت العكس.

وكمـا يقول "ألون بن دافيد"، المراسل العسكري للقناة العاشرة في التلفزيون الإسـرائيلي: إنه على الرغم من التجنيد الواسع لقوات الاحتياط في مواجهة بضع مئات من عناصر حزب الله، فإن ذلك تبين أنه غير كاف.

وينقل بن دافيد عن قادة في الجيش الإسرائيلي قولهم: إن الجيش السوري كان بإمكانه "استغلال تلك الأوضاع، واستغلال قلة كثافة الوحدات الإسرائيلية المتمركزة في هضبة الجولان، ومفاجأة إسرائيل باحتلال الهضبة والسيطرة على المستوطنات الـيهودية فيها بسرعة البرق". والذي يزيد من وضوح المفارقة هنا، هو حقيقة أن بعـض مراكـز الأبحاث في الدولة العبرية المرتبطة بمؤسسة الحكم قد أعدت قبل الحـرب دراسـة حول تطبيق النموذج الأمريكي في الخدمة العسكرية، بحيث يتم إلغـاء الخدمـة الإجبارية، والاعتماد على القوات النظامية التي يعمل في إطارها الجنود والضباط والقادة مقابل أجر مالي، وهو ما يطلق عليه بـ "الجيش المهني"، فـي حين أن إسرائيل طبقت منذ العام 48 نموذج "جيش الشعب"، الذي يعتمد على التجنيد الإجباري لمعظم فئات الشعب.

مـن الأمـور التي لا يختلف عليها اثنان في إسرائيل هو ضعف أداء قوات الاحتياط في الحرب الأخيرة، على الرغم من أن كتائب الاحتياط التي خدمت كانت توصـف بأنهـا أفضل كتائب الاحتياط في الجيش، لا سيما كتيبة "الإلكسندرون"، المكونة من خريجي لواء "جولاني" والمظليين. وحسب تقييمات هيئة أركان الجيش، فـإن الأداء الـضعيف لقـوات الاحتياط لم يؤدِّ فقط إلى سقوط المزيد من القتلى

والجرحى في صفوفهم؛ بل أيضاً أدى إلى المس بالروح المعنوية لبقية جنود الاحتياط وأسرهم، بشكل أدى إلى التأثير سلبا على دافعية بقية جنود الاحتياط للتجند للخدمة في الوحدات القتالية.

ويرجع أليكس فيشمان المراسل العسكري في صحيفة "يديعوت أحرونوت" الأداء الضعيف لقوات الاحتياط إلى عدم اهتمام قيادة الجيش بتدريب جنود الاحتياط بشكل جدي. ويضيف أن جميع جنود الاحتياط الذين قاتلوا في الحرب الأخيرة لم يتدربوا إلا لمدة خمسة أيام خلال العام الحالي فقط؛ حيث ساد اعتقاد لدى هيئة الأركان أنه لن يكون هناك حاجة لهؤلاء الجنود. من هنا فإن أحد استخلاصات الحرب الهامة بالنسبة لهيئة الأركان هو الاهتمام بجنود الاحتياط وإعداد خطط سنوية لتدريبهم بشكل مناسب، لا سيما أن دوائر صنع القرار تتعامل الآن على أساس أن الحرب القادمة هي مسألة وقت.

ومن الاستخلاصات الهامة للحرب الأخيرة كما يراها قادة الجيش الإسرائيلي هو أن الانتفاضة الفلسطينية قد أدت إلى تآكل القدرات العسكرية للقوات النظامية الإسرائيلية. ويقول الجنرال "زئيف شيف" كبير المعلّقين في صحيفة "هاآرتس": إن ألوية الصفوة والوحدات المختارة في الجيش بدلاً من أن تقوم بعمليات التدريب التي تؤهلها لخوض حرب على شاكلة الحرب الأخيرة مع حزب الله، فقد انشغلت في مهام تقوم بها عادة أجهزة الشرطة، مثل مطاردة واعتقال عناصر المقاومة الفلسطينية، ومداهمة المدن والبلدات ومخيمات اللاجئين، إلى جانب إدارة الحواجز العسكرية.

ويؤكد شيف أن جنود ألوية الصفوة والوحدات المختارة فوجئوا بظروف المعركة في جنوب لبنان، وأنهم لم يستوعبوا ظروف المنطقة؛ الأمر الذي أثر على أدائهم العسكري. في نفس الوقت، فإن الجيش يوجّه جل طاقته للقيام بالعلميات العسكرية في الضفة والقطاع التي تتراوح بين عمليات اغتيال واعتقال وتدمير منازل.

ويقول "أمنون إبراموفيتش" كبير المعلّقين في القناة الثانية الإسرائيلية: إن الجيش الإسرائيلي يحتفظ بثلاثين كتيبة في الضفة الغربية وعشر كتائب في قطاع غزة.

ويـــوجّه الكثيـــر مـــن المعلّقين العسكريين انتقادات حادة إلى وزراء الدفاع ورؤســاء هيــئة الأركـــان الــسابقين لعدم انتباههم إلى هذه المشكلة، معتبرين أن الاحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزة قد أدى إلى استنزاف الجيش وبدد طاقاته.

بعد الفشل العسكري.. الفساد يلاحق أولمرت

"دولـــة فـــي أقبـــية التحقيق" هذه العبارة تتردد على ألسنة معظم المعلّقين في إســـرائيل على مدى اليومين الماضيين، في إشارة إلى حجم وخطورة قضايا الفساد التـــي يـــتورط فيها قادة إسرائيل، لا سيما كبار قادة حزب "كاديما" الحاكم بزعامة رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت.

ويقـــول مراســـل إســـلام أون لايـــن.نت للشؤون الإسرائيلية إنه بعد الفشل العـــسكري الإســـرائيلي أمام المقاومة اللبنانية لمدة نحو خمسة أسابيع تأتي ملفات الفـــساد لتـــضيق الخناق على أولمرت وحكومته، وهو ما قد يجبره في النهاية إلى الاتفـــاق مـــع زعـــيم حزب الليكود المعارض "بنيامين نتنياهو" على حل البرلمان والدعوة لانتخابات برلمانية جديدة.

فحـــزب كاديمـــا أصبح مصاباً حالياً بحرج شديد بعد أن تبين أن معظم قادته ســـتوجه إلـــيهم لـــوائح اتهام، أو سيخضعون للتحقيق في اتهامات بالفساد. فلم يكد يـــصدر المستـــشار القضائي للحكومة الإسرائيلية ميني مزوز قراره أمس الخميس بـــتقديم لائحـــة اتهـــام ضد وزير القضاء حاييم رامون، أحد قادة الحزب، وأكثر المقربين من أولمرت، تتعلق بقيامه بالتحرش جنسياً بإحدى المجندات مؤخرا، حتى تقدمت موظفة سابقة في الكنيست بشكوى للشرطة ضده حول قيامه بالتحرش جنسياً بها قبل ثلاث سنوات.

في نفس الوقت قرر مزوز تقديم لائحة اتهام ضد النائب ساحي هنغبي، رئيس لجـــنة الخارجـــية والأمن، أهم لجنة برلمانية في الدولة العبرية، وأحد قادة كاديما، تـــتعلق بقـــيامه باخـــتلاس أموال الدولة وأموال جمعية جماهيرية أسسها في وقت سابق.

الأكثــر إحراجاً هو قرار الشرطة بالتحقيق مع أولمرت نفسه وزوجته عليزا تتعلق بحصولهما على تبرعات بشكل غير قانوني من رجل أعمال يهودي أمريكي لشراء منزلهما الخاص.

في الوقت نفسه سيتم التحقيق مع القائم بأعمال رئيس الحكومة شيمون بيريز، الــرجل الثاني في الحزب لقيامه بتلقي تبرع من أحد رجال الأعمال، تشك الشرطة أنــه كان مجرد رشوة، وزير المالية أبراهام هيرزون أحد قادة الحزب وأمين سر أولمرت سيتم أيضاً التحقيق معه فيما يتعلق بسوء إدارة المال العام، وسيتم التحقيق مع رئيس كتلة الحزب في الكنيست أفيغدور يتسحاكي في قضايا فساد مماثلة.

يذكر أن مؤسس حزب كديما رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق إريل شارون الــذي يرقد مريضا في المستشفى منذ نحو 8 أشهر تم التحقيق معه ومع نجليه في عدة قضايا فساد.

فساد أحزاب أخرى

ويخــشى الكثيــرون من وزراء ونواب "كاديما" أن تؤدي التحقيقات مع قيادة الحزب في قضايا الفساد إلى تهاوي شعبية الحزب بشكل كبير. لكن على الرغم من أن عــدداً كبيــراً من قادة "كاديما" متورطون في قضايا فساد، فإن ساسة في معظم الأحــزاب الإسرائيلية الأخرى إما تقرر تقديم لوائح تحقيق ضدهم في قضايا فساد، أو تقرر التحقيق معهم حولها.

فقــد تقرر فتح تحقيق في عملية جمع التبرعات لحزب الليكود في الانتخابات الأخيــرة فــي مارس الماضي، بعد أن بدت شبهات حول ارتكاب مخالفات جنائية أثناء ذلك.

فــي الوقت نفسه، فإن كلاً من داني نافيه ويسرائيل كاتس النائبين في الحزب اللذين شغلا مناصب وزارية في الحكومة السابقة سيتم التحقيق معهما حول قيامهما بتعيــين الكثير من أعضاء الحزب كمديرين عامين في وزارتيهما بدون أي مسوغ مهني ومن أجل مراكمة التأييد لهما في أروقة الحزب. إلى جانب ذلك فهناك لائحة اتهــام حــول قضايا فساد ضد افيغدور ليبرمان رئيس حزب "إسرائيل بيتنا"، أحد

الأحـــزاب الرئيـــسية فـــي البـــرلمان، كما أن عدداً من نواب حركة شاس الدينية يواجهون تهماً بالفساد.

وبالإضـــافة إلـــى كل ما سبق فإن الشرطة الإسرائيلية أجرت تحقيقا في قيام رئـــيس الدولـــة موشـــيه كتساف بإجبار إحدى الموظفات في مكتبه على ممارسة الجـــنس معـــه. وقد بدت الطبقة السياسية في الدولة العبرية أكثر فساداً مع مرور الـــوقت. فحـــسب معطيات لجنة الكنيست الإسرائيلية، فإن الشرطة الإسرائيلية قد حققـــت مـــع أكثر من 10% من أعضاء دورة الكنيست السابقة حول تهم بالفساد وسوء إدارة المال العام.

ويتـــضاعف تأثير قضايا الفساد ويجعلها أكثر خطورة على مستقبل الحكومة الإســـرائيلية ورئيسها بسبب الفشل الإسرائيلي في الحرب على لبنان التي استمرت لأكثـــر مـــن شـــهر وعدم التمكن من كسر صمود حزب الله رغم الآلة العسكرية المتطورة وقوات الصفوة الإسرائيلية التي أرسلت إلى لبنان.

ومن المتوقع أن يتم تشكيل لجنة تحقيق رسمية لتقصي أسباب فشل الدولة العبرية في هذه الحرب، ودور كل من المؤسستين السياسية والعسكرية في هذا الفشل.

وأصـــدر وزير الحرب الإسرائيلي عمير بيريتس قرارا بتشكيل لجنة فحص لتقـــصي الحقائـــق حـــول أداء الجيش الإسرائيلي خلال الحرب على لبنان، دون التعرض للجانب السياسي الممثل في الحكومة، مما أثار موجة من تبادل الاتهامات بين قادة الجيش والزعماء السياسيين حول تحمل المسؤولية.

ويقول حنان كريستال المعلق الخاص بالشؤون الحزبية في الإذاعة الإسرائيلية العامـــة الجمعـــة 25 – 8 – 2006 إنه في حال إذا خرجت أي لجنة يتم تشكيلها للتحقـــيق فـــي مسار الحرب على لبنان بأن لأولمرت دورا في الفشل في مواجهة حـــزب الله، كما هو متوقع على نطاق واسع، فإن هذا سيدفع أولمرت للزاوية، وقد يجبره في النهاية إلى الاتفاق مع زعيم المعارضة بنيامين نتنياهو على حل البرلمان والدعوة لانتخابات برلمانية جديدة.

المحامي يؤييل شراغا رئيس منظمة "سلامة الحكم" التي تعنى بمحاربة الفساد في دوائر الحكومة في إسرائيل قال إن "الفشل في الحرب ضد حزب الله إلى جانب

قـضايا الفـساد المتفجرة من كل حدب وصوب تقضي على ثقة الجمهور بالدولة ومؤسـساتها، الأمـر الذي قد يدفع قطاعات واسعة في إسرائيل إلى رفض تحمل الواجبات التي تفرض عليهم من قبل الدولة".

وتأتـي هذه المعطيات في ظل إدراك الشارع الإسرائيلي بالدور الذي تقوم به عصابات الإجرام المنظم في التأثير على الحكومة وعلى الأحزاب. فحسب دراسة أعـدها مؤخـراً ديفيد نحمياس من "مركز هرتسليا" متعدد الاتجاهات، فقد تبين أن أكثـر من 50% من الإسرائيليين يعتقدون بأن عصابات الإجرام المنظم قد تسللت بالفعل إلى داخل مراكز الحكم في الدولة العبرية.

وتشير الدراسة إلى عشرات الأدلة التي تؤكد أن الإجرام المنظم أصبح جزءاً أساسياً ومؤثراً في الحياة السياسية الإسرائيلية.

مفكرون إسرائيليون: دولتنا تعاني فقراً في القيادة

حـذر مفكـرون ومعلقـون سياسيون في إسرائيل من أن بلادهم تفتقد للقادة الـسياسيين الأكفـاء القادرين على خلافة القيادة السياسية الحالية للدولة، والتي من المـتوقع أن تجبر على الرحيل جراء مسؤوليتها عن الإخفاق في الحرب الأخيرة ضد حزب الله.

وقـال "عكيفا إلدار" المعلق السياسي لصحيفة "هآرتس" الإسرائيلية: إن "كل المرشـحين المتوقعـين لخلافـة رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت ووزير الـدفاع عميـر بيـرتس دلت التجربة على أنهم ليسوا أهلاً لثقة الجمهور، وليس بإمكـانهم أن يكونوا رجال دولة يمكن الركون إلى قيادتهم في ساعة الشدة وعندما يحيق الخطر بالدولة".

وفـي جلسة نقاش بثها التليفزيون الإسرائيلي، قال إلدار: "مع كل أسف، وفي ظـل مـوازين القوة السياسية داخل الحلبة الحزبية لدينا، فإن كل المرشحين لتولي قيادة الدولة هم من ذوي المستويات المتدنية في إدارة الحكم وقيادة الدولة".

وشدد المعلق السياسي على أن معظم هؤلاء المرشحين لقيادة الدولة سبق لهم أن كانوا في دائرة صنع القرار، وفشلوا في مهامهم.

المفكر الإسرائيلي ذو التوجهات اليسارية "ميرون بنفنستي" حذر بدوره من أن الإســـرائيليين قــد يــندمون نــدماً شديداً في حال إذا أُجبر أولمرت وبيرتس على الاستقالة.

وفــي مقـــال نــشر صــباح الخميس 24 - 8 - 2006 في "هاآرتس"، قال "بنفنــستي": "هــناك احــتمال أن يتولى قيادة الدولة قادة اليمين المتطرف الأغرار والمتعجــرفون أمــثال أفيغدور ليبرمان زعيم حزب إسرائيل بيتنا الذي يمثّل قمة التطــرف في الحلبة السياسية الإسرائيلية، والذي سيقود إسرائيل إلى مغامرات لا تحمد عقباها".

وحــذّر المفكّر الإسرائيلي "نشطاء حركات السلام" من المشاركة في الأنشطة الاحتجاجــية ضد الحكومة جراء إخفاقاتها في الحرب باعتبار أنهم "يعجلون بعودة اليمين المتطرف للحكم".

وفـــي الاتجـــاه ذاته، يرى "أوري دان"، المستشار الإعلامي لرئيس الوزراء الإســـرائيلي الــسابق إريل شارون، في مقال نشر بصحيفة "معاريف" الإسرائيلية الخميس أن الدولة بالفعل تفتقد إلى جيل السياسيين القادر على قيادتها، واصفاً الجيل الحالــي بـــ "الهزيل"، ومشدداً على أنه لن يكون بالإمكان إعادة هيبة إسرائيل بهذه النوعية من الساسة.

ويقول مراسل "إسلام أون لاين.نت" للشؤون العبرية: إنه من اللافت للنظر أن ساســـة إســـرائيليين يطـــرحون فقط اسمي رئيسي الوزراء الأسبقين إيهود باراك وبنيامين نتنياهو كمرشحين لخلافة أولمرت وبيرتس.

ويــستفز هــذا الطـــرح النخب العسكرية المثقفة في إسرائيل على اعتبار أن بـــاراك ونتنياهو فشلا خلال قيادتهما للدولة فشلاً ذريعا في كل مجال من مجالات الحكم تقريباً، على حد قولهم.

ويـــصب الجنرال "عوزي ديان"، الرئيس السابق لمجلس الأمن القومي، جام غضبه على الذين يريدون إعادة باراك للحكم.

ويقول في مقابلة مع الإذاعة الإسرائيلية صباح الخميس: "إذا كنا نريد أن نعيد باراك للحكم لكي يصلح الضرر الذي تكبدته إسرائيل بسبب الحرب، فإن علينا أن

نذكر دائماً بأن باراك هو أحد المسؤولين عن نشوب هذه الحرب".

ويعيد "ديان" للأذهان حقيقة أن باراك عندما كان رئيساً للوزراء أمر في عام 2000 بفرار الجيش الإسرائيلي من جنوب لبنان أمام ضربات حزب الله، وهو بالتالي من منح حزب الله القدرة على إثبات أنه أول طرف عربي يستطيع هزيمة إسرائيل، على حد قوله.

"موشيه شاحال" أحد زعماء حزب العمل، والذي شغل في السابق منصب وزير الأمن الداخلي، يرى أن صفات باراك الشخصية لا تؤهله لقيادة الدولة، مشيراً إلى أن باراك أجبر على الاستقالة بعد مضي أقل من نصف ولايته.

أما عن نتنياهو، فيقول مراسلنا: إن عدد الرافضين لعودته أكبر من أن يحصى، وإن جميع منتقديه يشيرون إلى قضايا الفساد التي تفجرت في عهده، بالإضافة إلى ضعف قدراته القيادية.

وينوه "دان مريدور" الذي شغل منصب وزير المالية في حكومة نتنياهو، بأن الأخير لا يمكنه التخلص من ميله الفطري نحو الكيد لزملائه بالحكومة والكذب عليهم بشكل لا يليق بمن يقف على رأس الدولة.

وحول الجانب نفسه، قال "مشعال" مقدم البرامج الحوارية الشهير في القناة الثانية بالتليفزيون الإسرائيلي الثلاثاء الماضي إنه سأل 90% من نواب الكنيست حينها عن مصداقية نتنياهو، فقالوا إن الكذب هو أكثر ما يمكن أن يوصف به.

بجانب ذلك، فإن الكثير من المفكرين الإسرائيليين يحذرون من العودة إلى حكم الجنرالات، ويفضلون الساسة من ذوي الخلفيات العسكرية.

ويقول الباحث والجنرال المتقاعد، "رؤفين فيدهستور": إن التجربة دلت على أن الجنرالات لم يساهموا إلا في تدهور مستوى السياسة في إسرائيل.

ويلفت "فيدهستور" إلى أن معظم العسكريين الذين يشار إليهم حالياً بالبنان، وتحاول الأحزاب إقناعهم بالانضمام إليها، كان لهم دور كبير في الضربة القوية التي تلقتها إسرائيل في الحرب الأخيرة ضد حزب الله التي دامت 34 يوماً.

خامساً: التداعيات العسكرية

لحرب كسر الإرادة

كان للنصر الذي حققه حزب الله على الجيش الإسرائيلي تداعياته على الصعيد العسكري، على خلفية أن حزب الله ميليشيا مقاومة، وليست جيشا نظاميا، وبالتالي يرى البعض أن الحروب القادمة في المنطقة ستكون حروبا شعبية تقودها حركات التحرر والمقاومة في ظل عجز صانع القرار العربي عن اتخاذ قرار الحرب، أو حتى تصوره.

ومن التداعيات العسكرية الأخرى لحرب كسر الإرادة ما يراه البعض بأن هذه الحرب جعلت المقاومة اللبنانية تدشن جيلا جديدا من الحروب، على صعيد التكتيك العسكري الميداني، وسنحاول أن نعرض لأبرز ملامح هذه التداعيات.

بعد لبنان.. الحروب الشعبية قادمة

حول المحور القائل بقدوم الحروب الشعبية على أنقاض الحروب التقليدية كتب المحلل السياسي نبيل شبيب على شبكة إسلام أون لاين.نت مقالا تحت عنوان "بعد لبنان.. الحروب الشعبية قادمة" قال فيه: أراد أنور السادات أن تكون حرب 1973م آخر الحروب العربية – الإسرائيلية، وكان له ما أراد، فجميع ما جرى بعد إخراجه مصر من حلبة الصراع المحوري في المنطقة العربيّة، وجلبه للهيمنة الأمريكية المباشرة والمتعدّدة الميادين، لم يكن حروبا نظامية بين الدول العربية والثكنة العسكرية الصهيو – أمريكية بفلسطين، بل كان اعتداءات من طرف واحد دون ردّ عليها، من قبيل تدمير المفاعل النووي العراقي، أو من قبيل اجتياحات عسكرية استهدفت لبنان دون سواه في حماية الهدوء الطويل على الجبهات الثلاث، المصرية والسورية والأردنية، بالإضافة إلى عمليات التقتيل والتدمير الهادفة إلى ترسيخ الأقدام الإسرائيلية واجتثاث أهل البلاد الأصليين في الأرض الفلسطينية.

المشروع الصهيوني في المنطقة سارع من خطاه بعد اتفاقات كامب ديفيد، ولهذا أسبابه المباشرة والواضحة، وفي مقدّمتها أنّ حصيلة كامب ديفيد أعطته المجال لتنفيذ ما أراده من الأساس، استناداً إلى قاعدة "فرض الأمر الواقع بالقوة".

والواقـــع المـــراد فرضــــه عبر المشروع الصهيو - الأمريكي هو الهيمنة على ما يوصـــف بالـــشرق الأوسط الكبير أو الصغير، القديم أو الجديد. ففي كافة الأحوال الهيمنة الهدف الرئيسي، ويمكن توضيح ذلك على النحو التالي:

مـــن الناحية السياسية.. وهذا ما بدأ بالانتقال بالعالم العربي من حقبة تأسيس جامعـــة لدولـــه، إلـــى الحقبة الراهنة التي تُحرّك فيها عوامل الفتن الطائفية وغير الطائفية لمزيد من التفتيت لما سبق تقسيمه إلى أقطار.

واقتـــصادياً.. لا يخفـــي مـــدى ما وصل إليه مصير الثروة النفطية استهلاكاً ضائعاً واستثماراً خارجياً، وما وصل إليه الانهيار في الدول غير النفطية، ارتباطا خارجـــيا، وفـــسادا داخلـــيا، جنـــبا إلى جنب مع حملات "التطبيع" التجاري وغير التجاري.

وعسكرياً.. ما فُتحت الأبواب إليه بمقولة "آخر الحروب" التي انطلقت من جانب واحـــد، وترتّب عليها - إضافة إلى تعطيل معاهدة الدفاع المشترك وتوظيف الجيوش لحمايـــة الـــسلطات - تخفيض عدد القوات المسلحة العربية الأقدر من سواها، وربط تـــسليح جـــيوش دول أخرى بالرقابة الأجنبية المطلقة توريداً واستخداماً وتدريباً وعبر الاستخبارات الأجنبية المعتمَدة رسميا داخل تلك الدول، علاوة على تعطيل أي مشروع لصناعة حربية. وهذا مقابل ما كان من تطوير السلاح الإسرائيلي إلى مستوى التفوّق من حيث التجهيزات على الدول العربية منفردة ومجتمعة.

إن الهيمـــنة السياسية والاقتصادية تمنع تلقائيا من التعبئة العسكرية، فالتبعية الأجنبـــية على صعيد الطاقات الذاتية وصناعة القرار تجعل من الحديث عن إعداد عـــسكري حـــديثَ هَزل من قبيل المضحكات المبكيات، وينعكس في التصريحات الرسمية العلنية المتكررة بشأن عدم القدرة أو عدم الرغبة أو عدم النية لإيجاد قدرة عـــسكرية ما. كما أن الاستبداد بدوره يحول دون التعبئة التي لا تتحقق في أيّ بلد دون أن تشمل الطاقات الشعبية، فهي المصدر الأكبر للقوة الذاتية، دفاعية كانت أم هجومية.

هذه المعطيات يلخّصها عنوان "خيار السلام الإستراتيجي" الذي طُرح دون أن يكـــون إلـــى جانبه أي خيار آخر، وبالتالي لم يعد خياراً بل "حتمية"، ولكنّها حتمية

ناقصة، لا يمكن تحقيقها، على الرغم من الرغبة الرسمية "العربية" فيها، فهي حتمية من جانب واحد، مقابل الطرف الآخر، العسكري بتكوينه، ونواياه، وتطبيقاته لفرض الأمر الواقع، مرحلة بعد مرحلة، تتحدّد مواعيدها وفق ما يصل إليه هو من قدرات ذاتية على تحقيق أهدافه، وليس نتيجة حسابات ردود فعل ما لدى طرف آخر لا يظهرها قطعا، كما كان مع الاجتياحات والهجمات العسكرية على لبنان.

معطيات جديدة عبر لبنان

كما هو معروف فإن الحرب على لبنان هي مواجهة وليست حربا بالمعنى العسكري للكلمة، فالسماء المفتوحة أمام القذائف والمذابح الجماعية، ووقوف الجيش الإسرائيلي المتفوّق على الجيوش العربية عدة وسلاحا، في مواجهة منظمة من منظمات المقاومة، في أصغر البلدان العربية حول فلسطين، ووسط أشدّ الأوضاع تعقيدا وتأزّما في التركيبة اللبنانية، جميع ذلك يجعل من إطلاق كلمة "حرب" على ما جرى من الأحداث أمراً متناقضاً مع مختلف المصطلحات العسكرية والسياسية والقانونية الدولية.

الأصل أنّ الطرف العدواني، الصهيو - أمريكي، أرادها عدوانا خاطفا لتحقيق هدف معين، هو اجتثاث منظمة المقاومة من الجذور، عسكرياً وسياسياً، ولكنّها فاجأته ومَن وراءه ومَن هاجمها ومَن أيّدها، بإعدادات مسبقة، وطاقات ذاتية، وقدرة على الصمود والردّ، بصورة حوّلت العدوان إلى "مواجهة".

هنا لا تتّخذ عملية أسر جنديين إسرائيليين مكانا لها سوى أنّها صورة من صور المقاومة لتحقيق هدف هو تحرير أسرى لدى عدوّ ما زال يحتلّ جزءاً من أرض لبنان ويخترق أجواءه باستمرار. ولا قيمة لتوظيفها من جانب العدوّ لتكون ذريعة شكلية في بداية العدوان، فقد ظهرت أبعاده وأهدافه الرسمية الفعلية، كالتي أعلنتها وزيرة الخارجية الأمريكية بصورة متسرّعة وهي تتحدّث عن ميلاد "شرق أوسط جديد".

إنّ تحوّل العدوان من طرف واحد إلى مواجهة مع طرف مدافع قَلَب الموازين والمعادلات رأساً على عقب، وأوجد على أرض الواقع، من صنع طرف

عربـــي هــذه المـــرة، معطيات جديدة، لا يمكن تجاوزها الآن، ولا في المستقبل المنظور، وفي مقدّمتها:

- الإمكانـــات المتوافرة محدودة، وهذا من طبيعة المقاومة في أيّ حقبة تاريخية وفـــي أي مـــنطقة جغرافية، ولكنّها كافية لمواجهة إمكانات عسكرية عدوانية ضخمة، بمختلف المقاييس، ورغم عظم التضحيات الشعبية.
- التناغم بتنسيق أو دون تنسيق مع المقاومة في فلسطين، يرفع من فعالية الدور الذي تقوم به المقاومة هنا وهناك، علاوة على التعاون المشروع - فلا ينبغي التبرؤ منه ولا الانـــسياق وراء تصويره اتهاما - مع بعض الأنظمة، وهذا بغضّ النظر عن أهدافها، فهو تعاون يمثّل عنصرا إضافيا لرفع مستوى فعالية دور المقاومة.
- مـــا كان يدور الحديث عنه على مستوى "النخب" تحت عنوان ثقافة المقاومة، تحـــوّل عبر أحداث لبنان إلى ممارسة تطبيقية، ومع استعراض نشأة المقاومة في لبنان في ظروف الاجتياح الإسرائيلي الأول، وكذلك مع استعراض ما نشأ بعـــد الاحـــتلال العسكري "السريع" للعراق، يتأكّد أنّ الهيمنة العسكرية القائمة جعلت نشأة المقاومة ظاهرة راسخة، قابلة للتكرار، وبالتالي للتوسع، وللتنسيق والتعاون، ولتحقيق أهدافها مرحلة بعد أخرى.

وبـــناء على ذلك يمكن القول إن عصر الحروب لم ينته، ولكنّ هذه الحروب ســـتتخذ أشكالاً أخرى، لا تتحكّم فيها سياسات الأنظمة القائمة على مختلف الأسس إلا أســـاس الإرادة الـــشعبية حتما، وإنّما سيكون للمقاومة المنبثقة من تلك الإرادة الشعبية مباشرة دور حاسم في مجراها ونتائجها.

الخيار القادم

عـــند الاجتـــياح الأول للبنان دون أيّ تدخل عربي كانت التوقّعات تقول إن المـــنطقة العـــربية لم تعد تملك شيئاً سوى الانصياع للسياسات الصهيو - أمريكية مدعـــومة بالآلـــة العسكرية، ومع تحوّل الاجتياح إلى احتلال زادت هذه التوقعات انتـــشاراً في حملة تيئيس واسعة النطاق، وفي تلك الظروف ولدت ظاهرة المقاومة في لبنان، وحققت إنجازها الأول بدحر الاحتلال.

ومع الحرب الأولى ضدّ العراق بمشاركة عربية، ثم القضاء عليه دولةً وطاقةً عبر الحصار والحرب الثانية، بدا أنّ الأبواب فُتحت أمام المشاريع الصهيو - أمريكية، بما فيها ما سمي "الشرق الأوسط الكبير"، وفي تلك الظروف وُلدت المقاومة في العراق، بغضّ النظر عما أحيطت به وتحاط من أسباب التخذيل من جهة ومحاولات إثارة الفتنة الطائفية من جهة أخرى.

ومع الانتقال من حقبة "كامب ديفيد" إلى حقبة مدريد وأوسلو ولدت الانتفاضة الفلسطينية الأولى فالثانية، وما زالت نتائجها تؤكّد استحالة القضاء على المقاومة وعلى الإرادة الشعبية التي صنعتها. مجمل هذه الأحداث إضافة إلى الأداء القوي لحزب الله في مواجهة آلة الحرب الصهيو - أمريكية خلال معارك "الحرب السادسة" يكشف عن أن ظاهرة المقاومة قد تجاوزت مرحلة المخاض، وأنّ تكرارها بعشرات الصور، وعشرات المنظمات، هو الاحتمال الأرجح، وسيّان ما تصنع الأنظمة الراهنة، لن تستطيع أن تقف في وجه تنامي حجم المقاومة الناشئة، وتحوّل مهمّة الدفاع عن المنطقة، من الجيوش، إلى المنظمات، ومن القرار الرسمي المقيّد ذاتيا وخارجيا، إلى القرار الشعبي المستقلّ عن الأنظمة.

نقطة التحوّل ومخاطرها

الطريق إلى تحقيق الأهداف المشروعة المعقودة على المقاومة، تحريرا للأرض، وتحريرا للإرادة الشعبية، وكذلك تحريرا لصناعة القرار الرسمي العربي نفسه، طريق بالغة الخطورة، عظيمة العقبات، وكبيرة التضحيات أيضاً، فقد أثبتت المواجهات في فلسطين ولبنان بل في العراق وأفغانستان أيضاً، أنّ الوسيلة التي اتُبعت - ويمكن أن تتكرر في غياب الوجود العسكري العربي الرسمي في الميدان - متعدّدة الأشكال، يمكن رصدها على النحو التالي:

- محاصرة سائر الطرق والسبل لدعم المقاومة أثناء المواجهة، وهو ما اتّخذ في فلسطين صيغة الحصار المطلق حول الحكومة المنتخبة، وفي لبنان صورة حملة تحطيم الجسور والطرقات والموانى والمطارات قبل أيّ خطوة أخرى.
- أن تكون التضحيات على صعيد الشعوب، من المدنيين - عبر الملاحقات

الأمنية والمذابح الجماعية - سيّان هل كانوا متعاطفين مع المقاومة بصورة مباشرة - فيما يطلق عليه إستراتيجية "تجفيف المنابع" - أو كانوا أبعد نسبياً عن المقاومة لسبب ما.

- استعراض عمليات انتهاك سائر القوانين والأعراف الدولية، والإنسانية، دون عقاب، للتأكيد أنّه لا يوجد مَن يمكن أن يوقف آلة "الذبح والقهر" سواء في لبنان أو العراق أو فلسطين أو أفغانستان، أو أيّ بلد إسلامي آخر.
- ممارسة الأنظمة لأقصى ما تستطيع ممارسته من الضغوط، دون المخاطرة بوقوع انفجار شعبي جماهيري، للحيلولة دون مجرّد التعبير "الحماسي" للوقوف إلى جانب شعب إسلامي يتعرّض للقصف، ناهيك عن الوقوف إلى جانب المقاومة بصورة مباشرة.

يضاف إلى ما سبق سلسلة من الحقائق القديمة التي جدّدت المواجهات بين حزب الله وإسرائيل الكشف عنها، ومنها:

- لا وجود لمجلس الأمن الدولي بمعنى جهاز دولي قانوني حيادي يحفظ الأمن والسلام الدوليين كما يقرّر ميثاق الأمم المتحدة.
- لا تصل الخلافات الدولية صراعا وتنافسا إلى أصل القضية، عندما تكون قضية اغتصاب واحتلال ومقاومة وتحرير، أو عدوان وصمود، أو حرب إبادة إجرامية، ما دامت ترتبط ببلد إسلامي، بل تبقى تلك الخلافات في حدود اختيار الوسائل المراد اتباعها من أجل تحقيق قدر أكبر من النفوذ على حساب القوى الدولية الأخرى، كما هو الحال عند المقارنة بين المواقف الأمريكية والأوروبية بشأن فلسطين، أو الأمريكية والفرنسية بشأن لبنان.
- المنظمات العربية كجامعة الدول العربية، والإسلامية كمنظمة المؤتمر الإسلامي، قامت واستمرّ وجودها على أسس تجعلها عديمة الفعالية، وما لم يتحقّق تطويرها من الجذور، فلن تكتسب في المستقبل المنظور أيّ قيمة.

إن الحروب القادمة عبارة عن عدوان ومقاومة، وسط ظروف دولية ومحلية مساعدة للعدوان ومعيقة للمقاومة، ولا يعني ذلك وقف الجهود الهادفة عادة إلى التحرّك لتغيير تلك الظروف أو التأثير فيها، عبر الرأي العام أو المنظمات غير

الحكومية أو سوى ذلك من الوسائل، ولكنّ هذه الجهود توضع في حدود الدور الإضافي المساعد، الذي لا يرفع من مفعوله إلاّ ما يتحقّق على أرضية واقع المواجهات، عبر ما تصنعه المقاومة المعتمدة على طاقاتها الذاتية، وقياداتها الواعية، وتواصلها مع الإرادة الشعبية.

إنّ المواجهة في لبنان إلى جانب المواجهة في فلسطين والعراق وسواهما، تجعل مستقبل المنطقة مرتبطاً إلى حدّ كبير بمستقبل العمل الشعبي، وهو ما لا يمكن أن يتحوّل إلى مصدر قوّة للمقاومة والصمود وتعطيل مسيرة المشاريع العدوانية، إلا بقدر ما ينبثق من طاقات متجدّدة باستمرار، عنه وعن النخب المسؤولة عن تفعيله.

المقاومة اللبنانية دشّنت جيلا جديدا من الحروب

وحول التداعيات التي خلّفتها حرب كسر الإرادة على صعيد التكتيك الميداني قال محمد عبد الحليم المحرر بشبكة إسلام أون لاين.نت: أسفرت حرب الـ 33 يوماً بين إسرائيل وحزب الله عن نتيجة حتمية خلص إليها رهط من العسكريين حول العالم، وهي أن صورة الحرب في القرن الحادي والعشرين اختلفت شكلا وموضوعا؛ فالعالم مقدم على حقبة تقدم فيها الجماعات المسلحة وأشباه الدول أداء عسكرياً يفوق أداء الجيوش النظامية للدول نفسها.

وقد حار هؤلاء العسكريون في تعريف وتسمية هذا النوع الجديد من الحرب؛ فهناك من سماه بـ "نزاع غير تقليدي أو لا متماثل"، وهناك من وصفه بـ "الحرب الحديثة" باعتباره نواة الشكل الأحدث لحرب القرن الحادي والعشرين، ولجأ البعض لمصطلحات فنية من قبيل "حرب الشبكات" أو "الجيل الرابع من الحروب".

ربما اختلفت التعريفات قليلاً أو تباينت الأوصاف، ولكنها جميعاً تشترك في رسم ملامح عامة لنزاع بين قوة صغيرة، لا مركزية، تنبثق من جماعة لا دولة، تتحول في إطاره مميزات وإيجابيات وأفضليات الجيوش النظامية الكبيرة التابعة لدولة والمتمثلة في قدرة نيرانية هائلة، وتكنولوجيا متقدمة متفوقة، وتسلسل قيادي هرمي واضح، إلى عوامل ضد هذه الجيوش، وتجعل بذلك كسب الحرب على المستوى السياسي والإعلامي أهم وأولى بالاعتبار والاهتمام من حساب الخسائر وعد الطلعات الجوية وتعداد المقذوفات.

وحـيث إن التكتيكات العسكرية هي فن وعلم كسب المعارك، فإن التكتيكات التـي اتـبعها مقاتلو حزب الله وضعت تحت مجهر مكبّر لبحث كيفية نجاحها في إدارة معركة والبقاء صامدة في وجه جيش مصنف بأنه الرابع على مستوى العالم بعد جيوش الولايات المتحدة وروسيا والصين.

حرب العصابات المعصرنة

أهم هذه العوامل في نظر هؤلاء المحللين هو الإعداد الجيد للمقاتل؛ فمنذ سنوات وحزب الله يعد العدة لذلك النزال مع إسرائيل، صحيح أنه تلقى العون والمدد من إيران فـي شكل السلاح والذخائر لا سيما الصواريخ، وصحيح أن سوريا سهّلت له وصول تلـك الأسلحة، لكن هذه هي العدة والعتاد، فماذا عن الإعداد، بمعنى كيف نظّم نفسه؟ وكـيف حوّل تلك الأسلحة والذخائر إلى درجة عالية من الفاعلية؟ مع ضرورة التشديد علـى أنه لا يعمل كجيش نظامي، كما أن أساليب القتال التي يتّبعها مغايرة للمعروف والمأثور عن طرق وأساليب حرب العصابات المعروفة.

الإجابة تتلخص في حرب الشبكات (البعض أسماها "حرب عصابات معصرنة")؛ فهناك لدى الحزب 4 مستويات من الأفراد؛ اثنان قتاليان، واثنان احتياط:

1. القـوات الخاصة وهم عبارة عن مقاتلين محترفين سبق لهم الخدمة في جيش نظامي تم تدريبهم على مدى 6 سنوات من خلال فرق ودورات تدريبية عالية المستوى يرجح أنها تمت في كل من سوريا وإيران.
2. الجـنود العاديون، وهؤلاء أفراد عاديون ذوو خبرة بسيطة بالقتال أو بدونها، وهـؤلاء يوكل إليهم عمليات الدعم والإمداد أو اللوجستيات والأنشطة المعتادة في أثناء دوران المعارك فيما عدا القتال مع إمكانية مشاركتهم في الاشتباكات بصورة غير أساسية.
3. مستوى الاحتياط الأول، وهؤلاء أنهوا تدريبات عسكرية مع الحزب بعد أدائهم للخدمة العسكرية الإلزامية بحيث لا تزيد مدة بُعدهم عن الأجواء العسكرية عن 3 سـنوات، ومن منظور أنهم ما زالوا يحتفظون بذاكرة هذه الأجواء يوكل إليهم بالعمليات اللوجستية وجمع المعلومات، ونادرا ما يتم الدفع بهم في خطوط الجبهة.

4. مستوى الاحتياط الثاني، وهؤلاء يختلفون عن المستوى الأول بزيادة مدة بُعدهم عن الأجواء العسكرية عن 3 سنوات.

علــى أنـــه مـــن الأهمـــية ذكره أن المستويين الأخيرين يخضعان لتدريبات عسكرية منتظمة تمتد من شهر لثلاثة أشهر لتنشيط ذاكرة القتال لديهم.

ويــضـاف لهــؤلاء الأربعـــة أنواع من الفرق، الفرق الفدائية المعروف عن أفــرادها القليل، ويتميزون بالهدوء والكتمان والسرية والقدرة الفائقة على عدم لفت الانتـــباه لهـــم، ولا يـــتلقون تدريبات ويقضون أوقاتهم في العبادة ويميلون للعزلة والتأمل، والذي شارك بشكل قوي وفعال في الحرب المستويات الثلاثة الأولى من المستويات الخمس.

وقد أتقن حزب الله تكتيك الكر والفر الذي يطلق عليه الغرب "اضرب واجرِ" بحيث يعجز الإسرائيليون عن استهدافهم باتباع أساليب الحرب التقليدية، وفيما يشبه الخلايا العنقودية التي في عالم الحركات والمنظمات السرية، فإنهم يقاتلون في شكل جماعـــات مـــن 5 إلـــى 6 عناصر، وكل مجموعة مستقلة تماماً عن المجموعات المجاورة فيما أُطلق عليه "الشبكات" في دنيا الحروب والعسكرية.

كل مجموعة من تلك المجموعات لديها تعليمات عسكرية عامة ترسم لهم أطر ارتجـــال أي خطة حركة يتفقون عليها تقتضيها الظروف قبل وفي أثناء الاشتباك، وهـــذا يـــسمح لهـــم بالعمـــل حتى في حالة الانقطاع الكلي للاتصالات مع قواعد القـــيادات، أو الانقطـــاع الميدانـــي وهو ما حدث فعلاً خلال الحرب بعدما دمرت إســـرائيل الطـــرق التي تصل بين بلدات الجنوب وهذه البلدات والعاصمة بيروت، ويـــؤمن هـــذا النظام أيضاً عدم تنصت أي أحد عليهم في أثناء نقاشهم. وفي حالة وقـــوع أي منهم في الأسر لدى الإسرائيليين فإنه تحت الضغط لن يدلي بمعلومات إلا عن مجموعته فقط.

تتـــنقل كل مجموعة مستخدمة الدراجات النارية، مما يسمح لهم بمرونة فائقة تـــتواءم مع الطبيعة الخاصة بلبنان، والتسليح الأساسي لكل واحدة هو بنادق خفيفة ورشاشات ومضادات للدروع وقنابل يدوية، وبأقل قدر من الخسارة الذاتية، يمكنهم هذا النمط من إلحاق خسائر بالغة في العدو.

كيف تواصل القصف الصاروخي لحزب الله؟

أكثـــر ما لفت الأنظار في الحرب الإسرائيلية مع حزب الله هو قدرة الأخير علـــى مواصـــلة ضرب المدن والبلدات الإسرائيلية بالصواريخ وقصفها، رغم دفع الإســـرائيليين بألـــوية قـــوات خاصة في الهجوم البري، ووحشية وكثافة القصف الجوي، والمدفعي والصاروخي، والحصار البحري، والتفوق الإسرائيلي في الرصد بالأقمار الصناعية وطائرات الاستطلاع.

الإجابـــة، بحسب مصادر عسكرية لبنانية وغربية متطابقة، تتلخص في أن 3 دراجات نارية هي التي تقوم بالعمل بشكل يضمن مرونة التحرك كالتالي:

1. يربض فرد على مسافة للمراقبة والبحث عن أي طائرات استطلاع أو مروحيات أباتشي.
2. تقـــوم مجمـــوعة من فردين على دراجة نارية بنصب بطارية الإطلاق بدون تعمير القاذف بالصاروخ في زمن قدره 5 ثوانٍ، ثم تنسحب.
3. تقـــوم مجمـــوعة من فردين على دراجة بتسليم الصاروخ ثم تنسحب في زمن قدره 3 ثوانٍ.
4. تقـــوم مجموعة بتعمير القاذف بالصاروخ وتطلقه وتنصرف في زمن يتراوح بين 10 و20 ثانية.
5. تقـــوم المجمـــوعة الأولى بالعودة لجمع منصة الإطلاق وسحب القاذف، وإذا أبلغهـــم فـــرد المراقبة بأن الجو خال وأمان، يقومون بإخفائه في مكمن تحت الأرض حتـــى يتـــسنى اســـتعماله في عملية أخرى، وتتفرق كل المجموعات الصغيرة في اتجاهات مختلفة.

الطـــريف أنـــه قـــد يقـــوم راكبو الدراجات النارية أيضاً بإغراء المدرعات والـــدبابات واســـتدراجهم إلى كمائن معدة سلفاً أو لتعريضهم لمرمى نيران مقاتلين مـــزودين بأســـلحة مـــضادة للدبابات مختبئين في الأنفاق، وبعض هذه الأنفاق من الطـــول لدرجة أنهم يتنقلون فيها بين البلدات المتجاورة دون رصدهم، ثم ظهورهم المفاجـــئ في ساحات القتال، بحيث يباغتون العدو الذي يعتمد على الصور الجوية

في رصد مسارح العمليات، وهذا النمط تسبب في إلحاق خسائر بالغة في صفوف وآليات الإسرائيليين في أثناء تقدمهم بجنوب لبنان.

تكتيكات مبتكرة

اتضح من سياق المعارك أنها شهدت أيضاً تكتيكات مبتكرة جديدة درس فيها حزب الله العدو الإسرائيلي جيداً، واستلهم وهضم التكتيكات الكلاسيكية وطورها بما مكّن مقاتليه من تكبيد الإسرائيليين خسائر فادحة، فقد بلور نمطاً جديداً من القتال يختلف عن القتال التقليدي وعن القتال غير التقليدي. وكان نمطه المستند في كل معاركه على القدرات الصاروخية نمطاً ثالثاً، فهو يستخدم طائفة من الصواريخ "سطح سطح" في قصف العمق الإسرائيلي، وتدمير بارجة وزورق بحريين إسرائيليين، وصواريخ مضادة للدروع والدبابات، وصواريخ مضادة للطائرات.

كذلك اعتمد رجال المقاومة أسلوب قتال يعتمد على المواجهة المباشرة والتصدي للقوات المتسللة، وهو يختلف عن كل التقنيات وأساليب قتال العصابات القائمة على مبدأ "تجنب المواجهة المباشرة" (الفر في التقدم، والكر في السكون والتراجع). هذا الأسلوب حمل العدو على القول بأننا لا نحارب مليشيا بل لواء من القوات الخاصة من الجيش الإيراني، ربما ليخفف من حجم الهزيمة التي لطخت وجهه في بلدة مارون الراس.

وأروع من ذلك التكتيك الميداني المتمثل في المواجهة المباشرة، والالتفاف حول القوة المهاجمة، كان مقاتلو حزب الله ينفذون تكتيك الاندفاع نحو المواقع الخلفية للعدو بمجموعات صغيرة جدّاً، وإنزال ضربات في القوى الموجودة والانسحاب تحت وابل من صواريخ تستهدف المدن والمستوطنات وخطوط الإمداد والدعم، ثم اعتماد مبدأ الحركة الدائمة وعدم إخلاء الميدان، ما يحول دون تحول الاختراق إلى احتلال، وفرض مفهوم إنشاء مناطق اشتباك بدل الأرض المحتلة، ثم تنوع أساليب القتال أو نمط العمل التكتيكي الميداني؛ من السد الواقف والضرب على الأذناب، إلى الوعاء الحاضن ثم المدمر، إلى الكمائن البسيطة أو المركبة والمتعددة، إلى الاستدراج إلى مناطق التقتيل، إلى الغارات المركبة أو البسيطة، إلى الأفخاخ البسيطة أو ذات القوة التدميرية الهائلة.

كــل ذلــك يعني أن المقاومة نوّعت نمطها القتالي بحيث لم يستطع العدو أن يتنــبأ بـــه في أي نقطة من مناطق المواجهة، وكان يفاجأ دائما ويتكبد الخسائر في خط تصاعدي.

وفـــي أثـــناء تقدم المعتدي لجأت المقاومة أيضاً إلى زرع العبوات ضد جنود الاحــتلال على جانبي الطرق، ولما استطاعت القوات الإسرائيلية مواجهة العبوات الناسفة المفخخة السلكية عبر قطع الأسلاك والتشويش على العبوات اللاسلكية التي تفجّر عبر موجات الراديو، قام مقاتلو حزب الله بتطوير أجهزة التحكم في التفجير عبـــر هاتـــف خلـــوي، ثـــم عـــدة هواتـــف خلوية بمنظومة مركبة بعد أن أبطل الإســـرائيليون هـــذه الطريقة، وأخيراً استخدم حزب الله تفجير عبواته الناسفة من خلال أجهزة تحكم تستخدم الخلايا الضوئية كتلك المستخدمة مثلا في المصاعد.

كيف أغرقت "ساعر"؟

اســـتخدمت المقاومـــة بـــذكاء أيضاً سلاح المناورة، وتجلى ذلك عبر إطلاق صـــاروخين، أحدهما على مستوى عالٍ والآخر على مستوى منخفض فوق سطح الماء، على أمل أنه إذا كانت الرادارات تعمل يقوم الصاروخ الأول المرتفع بإشغال الـــدفاعات الـــتابعة للـــسفينة في وقت يكون الصاروخ الثاني المنخفض في طريقه لإصابة البارجة "ساعر".

كمـــا اســـتغلت نقص المعلومات الاستخبارانية لدى الإسرائيليين عن القدرات الصاروخية لحزب الله عندما رست القطع الحربية البحرية الإسرائيلية على مسافة قريبة من الشاطئ اللبناني ظنا منهم أنه ليس لدى حزب الله صواريخ تصل لها.

كمـــا استثمر الحزب استهتار الإسرائيليين؛ إذ لم يقوموا بتشغيل نظام الرصد والمـــراقبة الـــذي يعمل على رصد صواريخ كهذه وتنشيط الدفاعات الصاروخية الموجـــودة علـــى السفينة آلياً للتصدي لأي هجمات قادمة، ومن ثم تمّت مباغتتهم وإصابة السفينة مباشرة.

